MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم(13)

إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالبة ختام اسليم القرالة والموسومة بـــ:

" الشعر الاموي في تاريخ الطبري دراسة موضوعية وفنية"

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

القسم: اللغة العربية وآدابها.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. علي ارشيد المحاسنة		2004/12/23	مشرفاً ورئيسا
د. زايد خالد مقابلة		2004/12/23	عضواً
د. حسن ربابعة		2004/12/23	عضواً
أ.د. زريف المعايطة		2004/12/23	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. أحمد القطامين

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤتة – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهـــداء

إلـــى والديّ الكريمين، وإلى من تربع حبه في قلبي أبدياً: ابني الصغير هشام وإلى زوجي بسّام العريض، وإلى إخوتي وأخواتي جميعاً.

ختام اسليم القرالة

الشكر والتقدير

وبعـــد أن منَّ الله عليَّ بإتمام هذه الرسالة لا يسعني إلاّ أن أتقدم بعميق الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور علي المحاسنة الذي كان لي مُنْذُ البداية خَير المرشد، وكان معيـــناً لـــي على تحمّل عناء هذه الرسالة، فقدّم لي الكثير من علمه الوافر وقدّم لي النصيحة والعون فله من الله كل الخير والعرفان.

كمـــا ويســـعني في هذا المقام أن أتقدم بوافر شكري واحترامي وتقديري إلى الدكتور زايد المقابلة على ما قدمه لي من مساعدة خلال فترة إنجاز هذه الرسالة.

كمـــا لا يفوتنـــي أن أتقـــدّم بجزيل الشكر إلى أعضاء هيئة المناقشة الأستاذ الدكـــتور زريـــف المعايطة أستاذ التاريخ في كلية العلوم الاجتماعية، والدكتور زايد المقابلـــة، والدكـــتور حســـن ربابعـــة لتفضلهم بقبول مناقشة الرسالة وتحملهم عناء قراءتها وتقويمها وإغنائها بوافر علمهم القيّم، فلهم كل الشكر والأمتنان.

ختام اسليم القرالة

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الفصل الرابع: مواكبة الشعر للأحداث.

الفصل الخامس: الدراسة الفنيّة.

ملخص الدراسة

الشعر الأُموي في تاريخ الطبري "دراسة موضوعية وفنيّة"

ختام القرالة

جامعة مؤتة، 2004

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة الشعر الأُموي في تاريخ الطبري دراسة موضوعية وفنيّة.

وجعلت الرسالة في مقدمة وستة فصول تناول الفصل الأول حياة الطبري وصفاته وسلوكه وأهم شيوخه وتلاميذه وثقافته العلمية ومصنفاته، أما الفصل الثاني فقد تناول الحياة السياسية في العصر الأموي وتناول الفصل الثالث جوانب من الحياة الاجتماعية في العصر الأموي وتناول الفصل الرابع دراسة موضوعية لأهم أغراض الشعر الأموي التي وردت في تاريخ الطبري، أما الفصل الخامس فقد تحدث عن مواكبة الشعر للأحداث السياسية التي كانت سائدة في العصر الأُموي، وتناول الفصل السادس دراسة فنيّة للشعر الأُموي في تاريخ الطبري، وينتهي البحث بخاتمة تعالج أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

ABSTRACT

The Omayyad poetry in Tareekh AL-Tabaree
(ASubjective Artistic study)

Khetam al-karalleh

Mu'tah university, 2004

This study aims at studing the Ommayyad Poetry in Tareekh AL-Tabaree.

This study consists of an introduction and six Chapters . The first chapter discusses all aspects that are related to his life , the second chapter approaches the political life in the Ommayyad era , the third chapter discusses some aspects of the social life in the Omayyed era , the fourth chapter is a subjective study of the most important purpose of the Omayyed poetry , the fifth chapter is an artistic study of the Omayyad poetry. The study ends with a conclusion that shows the most important result of the study.

الفصل الأول

حيـــاة الطبــري

1.1 المقدمة:

يُعــدُ كــتاب "تــاريخ الأُمــم والملوك "لمحمد بن جرير الطبري" من الكتب التاريخـــية التي تمتلك درجة من الموثوقيّة والموضوعيّة، وقد أورد الطبري في هذا الـــتاريخ مـــادّة شـــعريّة غزيرة ووفيرة، توزع الشعر فيه على الأغراض الشعريّة المختلفة، وجاء مواكباً للأحداث السياسية التي أرَّخ لها الطبري.

وقــد جـــاء اختـــياري لهذه الدراسة الموسومة بـــ "الشعر الأُموي في تاريخ الطبري دراسة موضوعية وفنية" بعد أن اقترح عليَّ الأستاذ الدكتور علي المحاسنة هذا الموضوع، أمّا بالنسبة للدراسات السابقة حول الأشعار في تاريخ الطبري فهناك دراســـة الدكـــتور زايد مقابلة الموسومة بـــ "الشعر العباسي في تاريخ الطبري في القرنيين الثاني والثالث للهجرة دراسة موضوعيّة وفنيّة" وكما علمت أيضاً أن هناك دراســـة للأشعار الواردة في تاريخ الطبري لفترة ما قبل الإسلام، ولاستكمال حلقات دراسة الشعر في هذا التاريخ جاء اختياري لهذا الموضوع.

وســـيكون كتاب الطبري هو المرجع الأول الأساسي في هذه الدراسة مستعيناً ببعض المصادر القديمة، والمراجع الحديثة المُثبتة في نهاية البحث.

وقـــد جاءت الدراسة في ستة فصول تناولت في الفصل الأول حياة الطبري العالم الجليل، والمؤرّخ الشهير، فكانت إضاءة ساطعة على حياته، واسمه، وولادته، وعائلـــته، ونســـبه وأصله وشخصيته وأخلاقه ووفائه، ثم تحدثت عن شيوخ الطبري وأثـــرهم في حياته العلميّة ممّا تلقاه عنهم، ووضحتُ مكانته العلميّة، ثمّ تحدثت عن مصنفاته وتلاميذه.

وتناولـــت في الفصل الثاني الحياة السياسية في العصر الأُموي، وذكرت أهم العوامـــل التـــي أدت إلى سقوط الدولة الأُمويّة منها: أن الحكم الأُموي قد بُني على الضغط والقهر والاستبداد، والتعصب للعرب دون غيرهم، كما تحدثتُ عن أهم الفتن والثورات الداخليّة التي عجّلت في سقوط الحكم الأُموي.

وتحدثت في الفصل الثالث عن الحياة الاجتماعية في العصر الأُموي حيث درستُ طبقات المجتمع الأُموي والحضارة والثراء والترف، والملاهي والغناء.

وتناولت في الفصل الرابع أغراض الشعر الأُموي من رثاء ومدح وفخر وهجاء، وقسمّت الرثاء أربعة أقسام هي: رثاء الخلفاء، رثاء آل البيت، رثاء الولاة والقادة، ورثاء أصحاب المذاهب، وقسمّت المدح قسمين هما: مدح الخلفاء، ومدح الولاة والوزراء ورجالات الدولة. وقسمّت الفخر قسمين هما: الفخر القبلي والفخر الشخصي، أمّا الهجاء فقسمته قسمّين هما: هجاء الخلفاء والأمراء وهجاء الولاة والقادة.

وبيّنت في الفصل الخامس مواكبة الشعر الأُموي للأحداث من مثل: انتقال السلطة للأمويّين، والصراع بين الأمويّن والزبيريين، والصراع بين الأُمويّن والخوارج، والصراع بين الأُمويّن والشيعة، والفتن والثورات الداخلية، والحروب الخارجيّة.

وخصّصتُ الفصل السادس للدراسة الفنيّة وقسمّته إلى ثلاثة أقسام: دراسة في اللغة والأُسلوب، ودراسة في الخيال والصورة، ودراسة في الأوزان والقوافي.

2.1 نشأته وصفاته وسلوكه:

هو محمد بن جرير بن يزيد، وقد اختلف المؤرخون في نسبه بعد جدّه، فمنهم من قال: "يزيد" هذا هو ابن كثير بن غالب[1]، ومنهم من قال: إنّ "يزيد" هو ابن خالد [2] وعلى ذلك فاسمه: "محمد بن جرير بن (يزيد أو خالد) بن كثير بن غالب، وكنيتهُ أبو جعفر.

---

(1) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ج18، ص40، إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1986م، ج3، ص89.

(2) الفهرست، ابن النديم، دار الفتوى، بيروت، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط2، 1997م، ص287، وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ج4، ص191، الوافي بالوفيات،

وقـــد لا تكـــون قضـــية االنسب مهمةً -أحياناً- لأن الرجل قد يُشهر بتآليفه وتصانيفه وما يُخلِّده من أعمال في مسيرة حياته، فيكون النسبُ الذي لا يمتُّد به إلى جـــدوده الأول كافياً، ولا أدلُّ على ذلك من كلام الطبري نفسهِ فقد سُئل الطبري عن نســبهِ فقـــال: "محمـــد بـــن جرير، فقال السائل: زدني في النسب، فأنشد لرؤبة بن العجّاج[1].

قد رفع العجّاج ذكرى فادعنُي بآسمي إذا الأنساب طالت يكفني

وكانـــت ولادة الطبري في أواخر سنة 224هـــ، أو أوائل سنة 225هـــ، ولم يجزم أحدٌ من المؤرخين بتحديد زمن ولادته، والسبب في ذلك ما ذكره أبو جعفر في جوابـــه علـــى تلميذه ابن كامل عن سبب الشك في سنة مولده فقال: كان أهل بلادنا يؤرخون بالأحداث دون السنين، فأُرّخ مولدي بحادثٍ كانَ في البلدِ، فلما نشأتُ سُئلتُ عـــن ذلكَ الحادثِ، فاختلفَ المخبرون لي ....، فقال بعضهم: كانَ ذلكَ في آخرِ سنةِ 224هـــ، وقال آخرون: كانَ ذلك في سنةِ 225هـــ[2].

ولـــدَ الطـــبري بـــآمل مـــن أعمـــال طبرستان لذلكَ لُقّبَ بالطبري نسبةً إلى (طبرســـتان) وفـــي حديثِ أبي جعفر مع أبي حاتم ما يؤكد نسبةُ إلى طبرستان حيثُ يقـــولُ الطبري: "قال لي أبو حاتم: من أيِّ بلدٍ أنت؟ فقلتُ: من طبرستان، فقال: ولمَ سُميّت طبرستان؟ فقلتُ: لا أدري، فقال: لمّا افتتحت وابتدئى ببنائها كانت أرضاً ذات شـــجرٍ فالتمســـوا ما يقطعون به الشجر، فجاء وهم بهذا الطّبر الذي يُقطع به الشجر فسمّى الموضع به[3].

صـــلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: محمد بن إبراهيم بن عمر، ومحمد بن الحســـين بـــن محمـــد، ط2، 1974م، ج2، ص284، كشـــف الظنون، اسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1992م، ج6، ص26.

(1) معجم الأدباء، ج18، ص47.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص48.

(3) المصدر نفسه، ج18، ص48.

كان الطبري أسمرَ إلى الأدمة أعينَ مُلْتَفَّ الجسم، مديدَ القامة، فصيحَ اللسان، وكان السوادُ في شعر رأسه ولحيتهِ كثيراً[1].

وفي الطبري من الزهدِ والورع والخشوع والأمانة والصدق ما دلَّ عليه كتابه في آداب النفوس[2]، عازفاً عن الدنيا تاركاً لها ولأهلها يرفع نفسهُ عن التماسها[3]، ومن مظاهر الورع عنده أنّهُ عندما أراد أن يؤلفَ كتابَ التفسير قال: "استخرت الله تعالى في عملِ كتابَ التفسير وسألتهُ العونَ على ما نويتهُ ثلاثَ سنين قبلَ أن أعملهُ فأعانني"[4].

كانَ الطبري بالإضافةِ إلى ورعهِ وتقواه عفيفَ النفس معتمداً على نفسهِ، راضياً بالقليل، فعندما ترعرع سمح لهُ أبوه بالسفر، وكان أبوه يُرسل إليه المال حيثما كان، ولكن في يوم ما أبطأ عنه أبوه النفقة، فأضطر إلى فتقِ كُمَّي القميص وبيعهما فيقول الفرغاني سمعتُ الطبري يقول: "أبطأتْ عني نفقةُ والدي، واضطررت إلى أنْ فتقتُ كمّي القميص، فبعتهما"[5].

وكان متّوقفاً عن الأخلاق التي لا تليق بأهل العلم ولا يؤثرها إلى أن مات، ويُحب الجدَّ في جميع أعمالهِ[6]، وكان تلاميذهُ معجبينَ بورعه وتقواه مُحاولين أن يسلكوا مسلكهُ في الحياةِ، زاهدينَ مثلهُ، ومن تلاميذ الطبري المتأثرين به، ابن كامل

---

(1) المحمدون من الشعراء وأشعارهم، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم القفطي، تحقيق: رياض عبدالحميد مراد، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط2، 1988م، ص265.

(2) معجم الأدباء، ج18، ص60.

(3) المصدر نفسه، ج18، ص61.

(4) المصدر نفسه، ج18، ص62.

(5) طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وآخرين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج3، ص125.

(6) معجم الأدباء، ج18، ص79.

حيثُ يقول: "ولقد حرصتُ مراراً أن يستوي لي مثلَ ما يفعلهُ فيتعذر عليّ اعتيادهُ، قال: وما سمعتهُ قط لا حناً ولا حالفاً بالله عز وجل"[1].

تربى الطبري في عائلةٍ ورعة تقيةٍ فجمعَ إلى العلمِ كرمَ الأخلاق[2]، ولا عجب في ذلك فقد نشأ في بيتٍ ورعٍ تقي فانعكس ذلكَ على أخلاقه.

وللطبري شعرٌ يصورُ أنفتهُ ويصورُ رضاهُ بقلةِ المال، بلْ سعادتهُ بهذه القلة وإيثارهُ ذلكَ على الغنى المشوبِ بمهانةِ النفس وعزتها، والطبري يذمُ في الغنيّ أن يكونَ مزهواً بغناهُ، ويذمُ في الفقير أن تستدلهُ الحاجة وينصحُ الأغنياءَ بألاّ يبطروا، وينصحَ الفقراء بألاّ يذلوا يقول[3]:

إذا أعسرت لم يعلمْ رفيقي	وأستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظٌ لي ماءَ وجهي	ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو أني سمحتُ ببذل وجهي	لكنتُ إلى الغنى سهلَ الطريق

وأنشد أيضاً[4]:

خُلقانِ لا أرضى طريقَهما	بَطَرُ الغنى ومذلةُ الفقر
فإذا غنيت فلا تكن بطراً	وإذا افتقرت فَتُهْ على الدهر

وكان الطبري متفائلاً بطبعه، فقد كان تفاؤلهُ وقناعتهُ بما يُرْسَلُ إليهِ من نصيبهِ في المزرعةِ التي خلفها أبوه وشغفهُ بالعلم، وانقطاعهُ لهُ، وزهدهُ وايمانهُ[5].

عاش الطبري أعزب عفيفاً، فربما اعتقد أن الزواج يلهيه عن طلب العلم، لذلك كان حصوراً لا يعرف النساء؛ فقد رحل في طلب العلم منذ أن كان صغيراً،

(1) معجم الأدباء، ج18، ص90.

(2) الطبري، عبدالرحمن حسن العزاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ط1،1988م، ص19.

(3) المحمدون من الشعراء، 264، انظر أيضاً: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبدالرحمن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1992م، ج13، ص216.

(4) المحمدون من الشعراء، ج 13، ص216–217.

(5) الطبري للعزاوي، ص26.

وفي حديث للطبري: "... فأنا لا ولد لي وما حللت سراويلي على حرام ولا حلال قَط"[1].

كان الطبري كثيراً ما يرفض الهدايا والمنح من الخلفاء والوزراء، وكان مبدؤه في ذلك ألاّ يقبل هدية لا يستطيع أن يكافئ بمثلها، فإن كانت فوق طاقته ردَّها، واعتذر إلى مهديها، ومن ذلك عندما وجّه إليه أبو الهيجاء بن حمدان ثلاثة آلاف دينار فلما نظر إليها عَجِبَ منها ثم قال: "لا أقبل ما لا أقدر على المكافأة عنه، ومن أين لي ما أكافئ عن هذا؟ فقيل: ما لهذا مكافأة، إنما أراد التقرب إلى الله عز وجل فأبى أن يقبله وردّهُ إليه"[2].

وكان الطبري يعطف على من يتعامل معه، خاصةً مع تلاميذه ويكنّ له المحبة والاحترام، فذكر ابن كامل: أنّ بعض تلاميذ الطبري آلمه في مجلس الأستاذ فانقطع ابن كامل عن المجلس مدة، ثمّ قابله الطبري فجعل يعتذر له ويترضاه، ويترفق به، كأنّه هو الذي آذاه، فرضي ابن كامل وعادَ إلى مجلس الطبري[3].

كانَ محمدّ بن جرير لا تأخذهُ في اللهِ لومةَ لائم مع عظيمِ ما يلحقهُ من الأذى والشناعات من جاهلٍ وحاسدٍ ومُلحدٍ، فقد كانَ يردُّ ما يعرض عليه، فعندما تقلّد الخاقاني الوزارة عُرض عليه القضاء فرفضه فعاتبه أصحابه، وقالوا له: لك في هذا ثواب وتحيي سُنّةً قد درست، وطمعوا في أن يقبل ولاية المظالم، فانتهرهم وقال: قد كنت أظن أنّي لو رغبتُ في ذلك لنهيتموني عنه[4].

كانَ الطبري رغمَ انشغالهِ بطلب العلمِ وكثرة الترحال شديدَ الحرص في أمرِ الورع والتدين ومن مظاهر حرصه على قراءة القرآن الكريم أنّه كان يرتل القرآن ترتيلا[5].

---

(1) معجم الأدباء، ج18، ص55.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص87.

(3) المصدر نفسه، ج18، ص54-55.

(4) طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص125.

(5) معجم الأدباء، ج18، ص66.

عُــرف الطبري برجاحةِ العقل، وحُسن التدبير، وكان أحد أئمة العلماء يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله[1].

اعتنقَ الطبري المذهبَ الشافعي، وعارضَ الحنابلةَ وأسسَ مذهب "الجريرية" في الفقهِ وهو فرعٌ من الشافعية"[2].

وعــندما دخــلَ الطبري طبرستان قصدهُ الحنابلة ليسألوهُ عن أحمد بن حنبل وحديــثِه فــي الجلــوس علــى العــرش، فأنكرَ الطبري ذلك، فثارت عليه الحنابلة وأصــحابُ الحديــث ورمــوا دارهُ بالحجارةِ إلى أن تدخّل صاحب الشرطة وحماه منهم[3].

وقــد ألّف الطبري كتابهُ المشهور في الاعتذار للحنابلة وذكرَ مذهبَهُ واعتقادهُ وجرّح من ظنَّ فيه غيرَ ذلكَ[4].

كانَ الطبري يتّصفُ بصفاتٍ حميدةٍ وسلوكٍ حسن قال عبد العزيز بن محمد: "وكان أبو جعفر ظريفاً في ظاهره، نظيفاً في باطنه، حَسَنَ العشرة لمجالسيه، مُتفقداً لأحــوال أصــحابه، مهذبــاً في جميع أحواله، جميل الأدب في مأكله وملبسه، وما يخصه في أحوال نفسه، مُنبسطاً مع إخوانه، حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة، وربما جــيء بيــن يديــه بشيءٍ من الفاكهة؛ فيجري في ذلك المعنى ما لا يخرج من العلم والفقه والمسائل حتى يكون كأجدّ وأحسن علم[5].

---

(1) تفسير الطبري، تحقيق: بشار عوّاد معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط1، 1994م، ج1، ص14.

(2) معجــم المفســرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، ط1، 1984م، ج1، ص508.

(3) معجم الأدباء، ج18، ص57-58.

(4) المصدر نفسه، ج18، ص59.

(5) المصدر نفسه، ج18، ص86.

وممّا يدلُّ على حسن سلوكهِ وصفاتهِ الحميدةِ ما قالهُ أبو بكر بن مجاهد حيث يقول: "وكانَ إذا جلسَ لا يكادُ يُسمعُ لهُ تنخم ولا تبّصق ولا يُرى لهُ نُخامةٍ وإذا أراد أنْ يمسحَ ريقهُ أخذَ ذؤابةَ منديلهُ ومسحَ جانبي فيه"[1].

وكانَ الطبري ذا سلوكٍ حسن في تناولهِ الطعامَ له آدابٌ معنية وهو جالسٌ على مائدةِ الطعام، قال ابن كامل: "ما رأيتُ أظرفَ أكلاً من أبي جعفر، كانَ يُدخلُ يدهُ في الغضارة، فيأخذ منها لقمةً، فإذا عادَ بأخرى كسحَ باللقمةِ ما التطخ من الغضارة، باللقمة الأولى فكان لا يلتطخ من الغضارةِ إلاّ جانبٌ واحدٌ، وكانَ إذا تناولَ اللّقمة ليأكلَ سمّى ورفعَ يدهُ اليُسرى على لحيتهِ ليّوقيها من الزهومةِ فإذا حصلت اللقمة في فيهِ أزالَ يده"[2].

تنقَّل الطبري في مختلف الأمصار والبلدان طالباً للعلم فقد حفظ كثيراً، وألفّ كثيراً، وقصته مع تلاميذه خيرُ دليل على ذلك، فقد رُوِي أنّ أبا جعفر قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفني الأعمار قبل تمامه، فاختصره في ثلاثة آلاف ورقة، ثمّ قال: هل تنشطون لتاريخ العالم، من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو مما ذكره في التفسير فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إنّا لله، ماتت الهمم، فاختصره في نحو ما اختصر التفسير[3].

ظل الطبري منشغلاً بالعلم والدين والمعرفة، فقد رفض جميع المناصب التي عُرضت عليه قضائية كانت أو غيرها[4]. ولعلّ ورعه كان السبب في رفضه لمثل هذه المناصب مخافة أن يجور في حُكمٍ من أحكامه.

توفِّي الطبري يومَ السبت لأربعٍ بقينَ من شوّالٍ سنة عشر وثلاثمائةٍ، ودُفن

---

(1) معجم الأدباء، ج18، ص90.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص89-90، الغضارة: القصعة الكبيرة، الزهومة: رائحة لحم سمين منتن.

(3) طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص123.

(4) الطبري للعزاوي، ص25.

يومَ الأحد بالغداةِ في دار برحبةِ يعقوب[1]، وقيل بل دُفن ليلاً ولم يؤذن بهِ أحدٌ، لأنّهُ كــانَ يُــتهمُ بالتشــيّعِ، واجتمع من لا يُحصي عددهم إلاّ الله، وصلّي على قبره عدة شهورٍ ليلاً ونهاراً[2].

كــان ابن كامل ممّن حضرَ وفاتهُ، وقد قيلَ لأبي جعفر قبلَ خروج روحه: "يا أبــا جعفر أنتَ الحُجّةُ فيما بيننا وبين الله فيما نَدينُ به، فهل من شيءٍ توصينا بهِ من أمــرِ دينــنا وبيّنه لنا نرجو بها السلامةَ في معادنا؟ فقال: الذي أدينُ لله بهِ وأوصيكم هــو مــا أثبتُّ في كتبي فاعملوا به وعليه، وأكثرَ من التشهّد وذكر الله عزَّ وجلَّ، ومسحَ يده على وجههِ وغمّضَ بصرهُ بيدِ وبسطها وقد فارقت روحه الدنيا[3].

وعندما توفي الطبري رثاه خلقٌ كثيرٌ من أهل الدين والأدب من ذلك قول أبي سعيد الأعرابي"[4]:

حــدثٌ مُفظِــعٌ وخطــبٌ جلــيل ... دَقَّ عــن مثله اصطبار الصبّور

قــام نــاعى العلــوم: أجمعَ لمّا ... قــام ناعِــي محمــد بــن جرير

ورثاهُ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بقصيدة طويلة منها قوله[5]:

إنّ المنــيةَ لــم تــتلفْ بــهِ رجلا ... بــل أتْلَفَــتْ علمــاً للدينِ منصوبا

كــانَ الــزمانُ بــهِ تصفو مشاربهُ ... والآنَ أصــبحَ بالــتكديرِ مقطوبــا

كــلاّ وأيامــهُ الغــرُّ التــي جعلتْ ... للعلــمِ نــورا وللــتقوى مَحَاريــبا

أودى أبــو جعفر والعلم فاصطحبا ... أعظم بذا صاحبا أو ذاك مصحوبا!

ودت بقــاع بــلاد اللهِ لــو جعلت ... قــبراً له فحــباها جســمه طيــبا

---

(1) معجم الادباء، ج18، ص40.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص40.

(3) تفسير الطبري، ج1، ص11.

(4) طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص126.

(5) تذكــرة الحفــاظ، أبــو عــبدالله شــمس الديــن محمد الذّهبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج2، ص751.

3.1 شيوخـــه:

رحل الطبري في مختلف الأمصار والبلدان طالباً للعلم، وقد أدرك العلم وهو صبيٌ صغير، فقد ذكر الطبري عن نفسه: "حفظتُ القرآن ولي سبع سنين، وصليتُ بالنّاس وأنا ابنُ ثماني سنين وكتبتُ الحديث وأنا ابنُ تسع سنين"[1].

كـــان للبيـــئة التي تربى بها الطبري أثرٌ كبيرٌ في توجهه نحو العلم وهو ما يزال صبياً، حيث تربى في عائلةٍ ورعة تقية فجمع إلى العلم كرم الأخلاق.

كانـــت بغداد آنذاك معدن العلم والعلماء يتجه إليها طلاب العلم من كل جهة، ولا يمكـــن لأحد أن يدّعي علماً من غير شهادة شيوخها وأساتيذها، لذلك توجه إليها الطبري وأقام بها، وكتب عن شيوخها.

وفـــي بغـــداد ســـمع عـــن محمد بن عبدالملك بن أبي الشّوارب وإسحاق بن إســـرائيل وأحمد بن منيع البغوي[2]، وأخذ الفقه والعربية عن عمر بن علي الفلاس، وسفيان بن وكيع[3].

وفـــي الـــرّيّ تـــتلمذ على يد أحمد بن حمّاد الدولابي وأخذ عنه التاريخ، قال الطـــبري: "وكـــنا نمضي إلى أحمد بن حمّاد الدولابي وكان في قريةٍ من قرى الريّ بيـــنهما وبيـــن الـــريّ قطعة، ثمّ نعدو كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد فنلحق مجلسه"[4].

وتتلّمذ الطبري على يدِ محمد بن حميد الرازي، قال الطبري: "كُنّا نكتب عن محمـــد بـــن حمـــيد الرازي فيخرج إلينا في الليل مرّاتٍ ويسألُنا عمّا كتبناه ويقرؤه علينا"[5]، ويُقال إنّ الطبري كتب عن ابن حميدٍ مائة ألف حديث[6].

---

(1) معجم الأدباء، ج18، ص49.

(2) تفسير الطبري، (مقدمة المحقق)، ج1، ص10.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص10.

(4) معجم الأدباء، ج18، ص50.

(5) المصدر نفسه، ج18، ص50.

(6) المصدر نفسه، ج18، ص50.

كمـــا أخـــذَ الحديـــثَ عـــنْ أبي جريح، وهنّاد بن السري، وعبّاد بن يعقوب، وعبدالله بن اسماعيل الهبّاري، واسماعيل بن موسى، وعمران بن موسى القزاز[1].

وأخذَ مغازي ابن إسحاق عن سلمة بن الفضل وعليه بني تاريخه فيما بعد[2]، وأخذ القراءات عن سليمان بن خلاّد الطلحي[3].

وتوجه إلى البصرة فسمع عن محمد بن عبد الأعلى الصنعانّي، وأبا الاشعث، ومحمد بن بشّار بُندار، ومحمد بن المثنى[4].

وأخـــذَ فقـــهَ مـــالكٍ عن يونس بن عبدالأعلى، وبني عبد الحكم محمد وعبد الرحمن وسعد، كما وأخذ فقه أهلَ العراقَ عن أبي مُقاتل بالريّ[5].

وفـــي مصر سمعَ أبا الحسن علي بن سرّاج المصريَّ وكانَ متأدباً فاضلاً في معناه[6]. كما نقل الطبري أخبار العرب قبل الإسلام عن بشر بن معاذ[7].

كمـــا سمعَ عن يعقوب الدورقي، وأبا سعيد الاشج، ومحمد بن بشّار[8]، وأخذ الحديـــثَ عـــن بشر بن مُعاذ العقدي، وقرأ الفقه على داود، وأخذ فقه الشافعي عن الربـــيع بـــن سليمان بمصر، وعن الحسن بن محمد الزعفراني ببغداد[9]، وعن أبي سعيد الاصطخري، وقد صحبه قبل خروجه إلى الفسطاط[10].

وتتلّمذ الطبري على يد المثنى بن إبراهيم الآملي، وأخذ منه الحديث، قال ابن كـــامل: فـــأول ما كتب الحديث ببلده ثمّ بالري وما جاورها، وأكثر من الشيوخ حتّى

---

(1) الفهرست، ص287.

(2) تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت – لبنان، ج1، ص7.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص7.

(4) معجم الأدباء، ج18، ص50-51.

(5) الفهرست، ص287.

(6) معجم الأدباء، ج18، ص52.

(7) المصدر نفسه، ج18، ص50.

(8) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج13، ص215.

(9) الفهرست، ص287.

(10) معجم الأدباء، ج18، ص53.

حصّلَ كثيراً من العلم وأكثر من محمد بن حميد الرازي، ومن المثنى بن إبراهيم الأبليّ وغيرهما[1].

وفي مصر لقي أبا إبراهيم اسماعيل بن إبراهيم المُزنّى وأخذ عنه[2]، وأخذ الحديث عن أبي كريب محمد بن العلاء الهمذانّي، ويُقال إنّهُ سمعَ من أبي كريب أكثر من مائة ألف حديث[3].

وقرأ القرآن على سليمان بن عبد الرحمن الطلحي[4]. وأخذ الفقه والسيرة عن أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالحكم المصري[5]. وفي الشام أخذ القراءة عن العباس بن مسلم بن زيد[6].

هؤلاء هم أبرز شيوخ الطبري الذين تتلمذ عليهم، وكان لهم الفضل الكبير في صقل شخصيته العلمية وقد أورد أسماءهم كثيراً في مؤلفاته سواء أكانت في التاريخ أم الحديث أو العلوم الأخرى.

ونتيجةً لكثرة الشيوخ الذين تتلّمذ على أيديهم الطبري فقد اتسعت ثقافته في مختلف العلوم وأصبح بحق موسوعة يُرجع إليها لأخذ العلوم المختلفة منها.

4.1 تلاميذ الطبري:

وهب الطبري نفسه للعلم وقصر عليه حياته وقد جال في نواحي كل فن وضرب فيها جميعها بسهم بعد أن رحل في طلب العلم إلى كثير من الأمصار والبلدان وجاب الآفاق شغفاً بالقراءة، وكلفاً بالاطلاع والمشاهدة.

---

(1) معجم الأدباء، ج18، ص49.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص52.

(3) المصدر نفسه، ج18، ص51-52.

(4) الوافي بالوفيات، ج2، ص285.

(5) الفهرست، ص291.

(6) معجم الأدباء، ج18، ص52.

ومــن أهم تلاميذ الطبري: القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف، وله من الكتب على مذهب الطبري: كتاب جامع الفقه، كتاب الحيض، كتاب الشروط، كتاب الوقوف، وقد اشتهر بعلمه في الفقه والقراءات والتفسير والأدب والتاريخ[1].

ومــنهم عبدالله بن أحمد بن جعفر أبو محمد الفرغاني، وكان مؤرخاً محدثاً[2]. وعلــي بــن عــبدالعزيز بــن محمد الدولابي، وله من الكتب: كتاب الرد على ابن المغلــس، كــتاب أصول الكلام، كتاب التبصير، كتاب المسألة في افتراض الإماء، كــتاب في بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب الأصول الأكبر، كتاب الأصول الأصغر، كتاب رسالة كذبتما[3].

ومحمــد بن جعفر وأحمد بن أبي طالب الكاتب[4]، وأبو شعيب الحراني وهو أكبر منه سنّاً وسنداً، ومخلد الباقرحي والطبراني، وعبد الغفار الحُصيّبي[5].

ومــن تلاميذه أبو الحسن احمد بن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المــنجِّم المــتكلِّم، وله من الكتب: كتاب المدخل إلى مذهب الطبري ونصرة مذهبه، كتاب الإجماع في الفقه، على مذهب أبي جعفر[6]، وأبو بكر الشافعي[7].

وأبــو بكر بن بالويه[8]، وابو الحسن الدقيقي الحلواني الطبري وله من الكتب: كتاب الشروط، كتاب الرد على المخالفين[9]. وابن أبي العباس بن المغيرة الثّلاج[10]،

---

(1) الفهرست، ص288.

(2) معجم الأدباء، ج2، ص22.

(3) الفهرست، ص288.

(4) لســان المــيزان، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط2، 1971م، ج5، ص101.

(5) طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص121.

(6) الفهرست، ص288.

(7) لسان الميزان، ج5، ص101.

(8) معجم الأدباء، ج18، ص42.

(9) الفهرست، ص288.

(10) معجم الأدباء، ج18، ص92-93.

وأبـــو عمـــرو بن حمدان[1]، وأبو الحسين بن يونس وكان متكلِّماً وله في الفقه كتاب الإِجماع في الفقه[2].

ومـــنهم: أبو اسحق إبراهيم بن حبيب السقطي الطبري من أهل البصرة وله من الكتب: كتاب الرسالة، كتاب جامع الفقه[3]. وعبدالغفار الحضيني، وأبو عمرو بن حمدان[4].

5.1 ثقافته العلمية:

فقـــه الطبري العلم صبيّاً صغيراً دون الإدراك، ورحل في سبيله يافعاً لم يبلغ مـــبلغ الرجال، ولقي الكثير من الرواة والعلماء، وطالع صنوف الكتب، ولم يلبث أن أصبح إماماً وصاحب مذهب، أملى اسمه في التاريخ، وسار ذكرهُ مع الزمان.

كان الطبري أحد أئمة العلماء يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله عـــزَّ وجلَّ، عارفاً بالقرآن، بصيراً بالمعاني، فقيهاً بأحكام القرآن، عالماً بالسنن وطـــرقها وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومـــن بعدهم من المخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم[5].

وذكـــر أبو محمد الفرغاني في "صلة التاريخ" أنّ قوماً من تلامذة محمد بن جريـــر حســـبوا لأبي جعفر منذ أن بلغ الحلم إلى أن مات، ثمّ قسمّوا على تلك المدة أوراق مصنفاته فصار لكلٍّ يوم أربع عشرة ورقة[6].

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص121.

(2) الفهرست، ص288.

(3) المصدر نفسه، ص288-289.

(4) تذكرة الحفاظ، ج2، ج711.

(5) تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محي الدين بن شرف النَّووي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج1، ص 78.

(6) طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص123.

كــان أبــو جعفر من الفضل والعلم والذكاء، والحفظ مالا يجهله أحدٌ عرفه، لجمعــه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحدٍ من هذه الأمة، ولا ظهر من كتب المصنفين، وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له[1].

قــال محمد بن إسحاق بن خزيمة: "ما أعلمْ على أديم الأرض أعلمَ من محمد ابن جرير"[2].

كــان الطبري كالقارئ الذي لا يعرف إلاّ القرآن، وكالمحدث الذي لا يعرف إلاّ الحديــث، وكالفقيه الذي لا يعرف إلاّ الفقه، وكالنحوي الذي لا يعرف إلاّ النحو، وكالحاسب الذي لا يعرف إلاّ الحساب، وكان عاملاً للعبادات جامعاً للعلوم[3].

وقال أبو الحسن بن المغلّس: "والله إني لأظنُّ أبا جعفر الطبريّ، قد نسي ممّا حفظ إلى أن مات ممّا حفظه فلان طول عمره"[4].

روى عــن الحســين بــن علي التميمي أنّهُ قال: "لما رجعت من بغداد إلى نيســابور سألني محمد بن إسحاق بن خزيمة فقال لي: ممن سمعت ببغداد؟ فذكرت له جماعة ممن سمعت منهم فقال: هل سمعت من محمد بن جرير شيئاً؟ فقلت له: لا، إنّــهُ ببغداد لا يُدخل عليه لأجل الحنابلة، وكانت تمنع منه، فقال: لو سمعت منه لكان خيراً لكَ من جميع من سمعت منه سواه"[5].

روى عــن أبــي جعفر الطبري أنّهُ قال: "حفظتُ القرآن ولي من العمر سبع ســنين، وصــلّيتُ بالناس وأنا ابنُ ثماني سنين وكتبتُ الحديث وأنا ابن تسع سنين، ورأى لي أبي في النوم أني بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وكان معي محــلاةٌ مملوءةٌ محارة، وأنا أرمي بين يديه، فقال لي المعبّرُ: أنّهُ إن كبر نصح في ديــنه، وذبّ عــن شــريعته، فحرص أبي على معونتي على طلب العلم، وأنا حينئذٍ

(1) معجم الأدباء، ج18، ص 52.

(2) تفسير الطبري (مقدمة المحقق)، ج1، ص12.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص14.

(4) معجم الأدباء، ص18، ص69.

(5) تاريخ بغداد، أبو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ج2، ص164.

صـــبيٌّ صغير"[1]. فبالإضافة إلى رؤيا والده ينبغي أن نقول إن الطبري كان راغباً في طلب العلم منذ صغره، لذلك استطاع والده أن ينشئه نشأة دينية وأن يُشجعهُ على طلـــب العلم، حيث سمح له بالسفر منذ أن ترعرع، وكان يرسل إليه ما يحتاجه من المال.

كـــان أبـــو جعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة، وكثير من فـــنون أبـــواب الحســـاب وفـــي الطبّ، وأخذ منه قسطاً وافراً يدلُّ عليه كلامهُ في الوصايا[2].

ومن أهم العلوم التي برع فيها الطبري:

1- الفقـــه:

تخصـــص الطـــبري بالفقه الشافعي، واتخذه مذهباً له وأفتى به ببغداد عشرين ســـنة، وقـــد تفقّـــه بمذهبه كثير من العلماء[3]، وقال ياقوت الحموي واصفاً الطبري الفقيه: "كان أحد أئمة العلماء بحكم قوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، فقيهاً في أحكـــام القـــرآن، عارفـــاً بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من العارفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام"[4].

ومن كتبه، كتابه المسمّى بكتاب "بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام"، وفيه تحـــدّث عـــن علمـــاء الأمصار ومراتبهم وشرح أبواب الفقه بإسهاب[5]، ثمّ عرض لأقـــوال العلماء في كتابه "اختلاف علماء الأمصار" وقد ناقش في هذا الكتاب أقوال العلمـــاء ووازن بين حججمهم واختار الأصوب منها، ومن أشهر الفقهاء الذين ذكر أقوالهم في هذا الكتاب مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، وأبو عبدالله محمد بن الحسن الشيبانيّ وغيرهم[6].

---

(1) معجم الأدباء، ج18، ص49.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص61.

(3) الطبري للعزاوي، ص77.

(4) معجم الأدباء، ج18، ص41.

(5) المصدر نفسه، ج18، ص75.

(6) المصدر نفسه، ج18، ص71.

بقــي أحــد، مــات الشيوخ فقال: حتى خلا جانبكم، قلت: نعم إلاّ أن يكون الطبري الفقــيه، فقال لي: ابنُ جرير؟ قلتُ: نعم، ذاك من حُذّاق الكوفيّين، قال أبو بكر: وهذا من أبي العباس كثيرٌ لأنّه كان شديد النفسّ شرس الأخلاق، وكان قليل الشهادةِ لأحدٍ بالحذق في علمه"[1].

3- التفسيــر:

عِلــمُ التفسير في عرف العلماء بيان معاني القرآن، وموضوعه نظم القرآن، والغــرض مــنه الاطــلاع بقدر الطاقة على ما أراد الله تعالى بكلامه، فعلمُ التفسير يُســتمدُّ مــن العلــوم الدينية، وقد أفضى الطبري بعمله في التفسير إلى كتابه "جامع البيان عن تأويل القرآن".

قال الطبري نفسه: "حدثتني به نفسي وأنا صبي"[2]، كذلك قال: "استخرت الله تعــالى في عمل كتاب التفسير وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أعمله فأعانني"[3].

ولعــل مــا يدل على أهمية تفسير الطبري، وعظيم قيمته ما يقوله أبو حامد الاســفراييني: لــو ســافر رجــل إلى الصين حتى يحصّل تفسير ابن جرير لم يكن كثيراً"[4].

4- الحــديــث:

درس الطــبري الحديث منذ صباه على كبار المحدثين في عصره، الذين كان لهم الأثر الواضح في تمكن الطبري من هذا العلم.

وقد ذكر النوويُّ الطبريَّ في كتابه "تهذيب الأسماء واللغات" فعدّ الطبري في طبقة الترمذي والنسائي[5].

---

(1) معجم الأدباء، ج18، ص60.

(2) المصدر نفسه، ج18، ص62.

(3) المصدر نفسه، ج18، ص62.

(4) الوافي بالوفيات، ج2، ص285.

(5) تهذيب الأسماء واللغات، ج1، ص 78.

ويُعدُّ كتاب "تهذيب الآثار" من أشهر ما صنّف الطبري في علم الحديث، وهو مـــن عجائـــب كتبه، ابتدأ بما رواه أبو بكر الصّديق رضي الله عنه مما صح عنده بســـنده وتكلم على كل حديث منه بعلله وطُرقهُ، وما فيه من الفقه والسُّنن، واختلاف العلماء، وحُججهم، وما فيه من المعاني والغريب فتمّ منه مُسند العشرة وأهل البيت، والموالي، ومسند ابن عباس قطعةٌ كثيرة، ومات قبل تمامه[1].

وكان قصده فيه أن يأتي بكل ما يصحّ من حديث رسول الله – صلى الله عليه وســلم–، فلا يكون لطاعن في شيء من علم رسول الله مَطْعن، وأن يأتي بجميع ما يحتاج إليه أهل العلم.

قـــال عبدالعزيز الطبري: "كان أبو جعفر مجوّداً في القراءة، موصوفاً بذلك، يقصده القّراء البعداء من الناس للصلاة خلفه يسمعون قراءته وتجويده"[2].

وقـــال أبو بكر بن كامل: "ما سمعت في المحراب اقرأ من أبي جعفر"[3]، ثم قال: "وكان أبو جعفر يقرأ قديماً لحمزة"[4].

5- القـــراءات:

قـــال أبـــو الحســـن علي الأهوازي: "كان أبو جعفر الطبري له في القراءات كـــتاب جليل كبير، رأيته في ثماني عشرة مجلدة، إلاّ أنّهُ كان بخطوط كبار ذكر فيه جمـــيع القـــراءات من المشهور والشواذ، وعلل ذلك وشرحه وآختار منها قراءة لم يخـــرج بهـــا عن المشهور، ولم يكن مُنتصباً للإقراء ولا قرأ عليه أحد إلاّ آحاد من الناس ..."[5].

تلقـــى الطـــبري حـــروف القرآن على شيوخ الإقراء ببغداد والكوفة والشام ومصـــر، ثـــمّ اتخـــذ لنفســـه قـــراءة لم يخرج بها عن المشهور كما فعل في الفقه

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص121.

(2) معجم الأدباء، ج18، ص 66.

(3) المصدر نفسه، ج18، ص 66.

(4) المصدر نفسه، ج18، ص66.

(5) المصدر نفسه، ج18، ص45.

والتفسير[1].

وضـــع كـــتابهُ المسمّى "بالفصل بين القراءات"، وذكر فيه اختلاف القرّاء في حـــروف القرآن، وفصّل أسماء القّراء في حروف القرآن، وفصّل أسماء القّراء بمكة والمديـــنة والشـــام وفصـــل بيـــن كلٍّ قراءة وقراءة، وبعد أن يذكر تأويل كلٍّ قراءة والدلالـــة على كل قارئ لها، يقوم باختيار قراءة لهُ مبيّناً أسباب اختياره، والبرهان على صحته، مستظهراً على ذلك بقدرته على التفسير والإعراب وكلام العرب[2].

وإلـــى جانب علمه بالقراءة كان حسن التلاوة حسن الترتيل، فعندما سمعه أبو بكر بن مجاهد وهو في طريقه إلى المسجد لصلاة التراويح يقرأ سورة الرحمن قال: "ما ظننتُ أنّ الله تعالى خلق بشراً يُحسنُ أن يقرأ هذه القراءة"[3].

6.1 مؤلفات الطبري:

خلّـــف الطـــبري كثيراً من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون، وقد امتازت مؤلفاتـــه بالشـــمولية والموسوعية، قال الخطيب البغدادي: "إنّ الطبري مكث أربعين سنة يكتبُ في كُلِّ يومٍ منها أربعين ورقة"[4].

ومن تصانيف الطبري ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط وبعضها مفقود، وبعضها منسوب له ولغيره من العلماء:

1- الكتب المطبوعة:

فمـــن كتبهِ المطبوعةِ: 1- كتابهُ المشهور تفسير الطبري أو "جامعُ البيان عن تأويل القرآن".

اعتمدَ الطبري في كتابه هذا على التفسير بالمأثور والنهي عن التفسير بالرأي ودقـــة الإسناد، والاستعانة بعلمه باللغة، والاستشهاد بالشعر ليبّين المعنى المراد من

---

(1) تاريخ الطبري، ج1، ص13.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص13.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص13.

(4) معجم الأدباء، ج18، ص 42.

الكلمة، فتارة يذكر اسم الشاعر، وتارةً يذكرُ النصّ الشعري مجرداً من الاسم[1].

اتسم منهجهُ في هذا الكتاب على التسجيل والتعليق والنقد الواضح، وهذا عائدٌ إلى التزامه الشديد بفلسفته الدينية، وكان الطبري كثيراً ما يسجل رأيه فلا يكتفي فقط بنقل الآراء والأسانيد.

2- تاريخ الطبري:

ويسمى (تاريخ الأمم والملوك) أو (تاريخ الرسل والأنبياء) ويُعدُّ تاريخ الطبري، "أول عمل تاريخي بين مصنفات العرب أقامه على منهج مرسوم، وساقهُ في طريق استقرائي شامل بلغت فيه الرواية مبلغها من الثقة والأمانة والإتقان، أكمل ما قام به المؤرخون قبله، كاليعقوبي والبلاذري والواقدي وابن سعد، ومهَّد السبيل لمن جاء بعده كالمسعودي وابن مسكويه وابن الأثير وابن خلدون"[2].

ولتاريخ الطبري فضل كبير لم يغب عن أحد من القدماء، قال أبو الحسن عبدالله بن أحمد بن محمد بن المغلّس: "ما عمل أحد في تاريخ الزمان، وحصر الكلام فيه مثل ما عمله الطبري، وإنّي لأظنُّ أنّ أبا جعفر قد نسى مما حفظ إلى أنْ مات قدر ما حفظه فلان طول عمره"[3]، وذكر رجلاً كبيراً من أهل العلم، ثم قال: "إنّ كتابه في التاريخ من الأفراد في الدنيا فضلاً ونباهةً، وهو يجمع كثيراً من علوم الدين والدنيا وهو في نحو خمسة آلاف ورقة"[4].

وترجع قيمة هذا الكتاب إلى أنه استطاع أن يجمع بين دفتيه جميع المواد المودعة في كتب الحديث والتفسير واللغة والأدب والسير والمغازي وتاريخ الأحداث والرجال ونصوص الشعر والخطب والعهود، ونسق بينها تنسيقاً مناسباً، وعرضها عرضاً رائعاً رائقاً ناسباً كُلَّ رواية إلى صاحبها، وكُلَّ رأي إلى قائله، كما

(1) الطبري للعزاوي، ص60، 62.

(2) تاريخ الطبري، ج1، ص21.

(3) معجم الأدباء، ج18، ص69.

(4) المصدر نفسه، ج18، ص70.

3- صريح السُنّة في أوراق:

ذكــر الطــبري في هذا الكتاب مذهبه وما يدين به ويعتقده[1]، والجزء الأخير منه في الاعتقاد، بيّن فيه مذهبه وما يدين به الله عليه على ما مضى عليه الصحابة، والتابعون ومتفقهو الأمصار[2].

2- المؤلفات المخطوطة:

وللطبري مجموعة من المؤلفات المخطوطة، ومن هذه المؤلفات:

4- رسالة البصير في معالم الدين[3].

5- كتاب القراءات[4].

6- تهذيب الآثار[5].

7- حديث الهميان[6].

3- المؤلفات المفقودة:

وللطبري مؤلفات مفقودة، ووضعها كما جاء عند من اطلع عليها من القدماء هو كما أورده، ومنها: أدب النفوس الجيّدة والأخلاق النّفيسة قال عنه ياقوت: "وربّما زاد فــي ترجمــته المشــتمل على علوم الدّين والفضل والورع والإخلاص والشكّر والكــلام في الرياء، والكبر والتخاضع والخشوع والصبّر والأمر بالمعروف والنّهي عــن المنكر، وبدأ فيه بالكلام في الوسوسة وأعمال القلوب، ثمّ ذكر شيئاً من الدّعاء، وفضــل القــرآن وأوقــات الإجابة ودلائلها، وما رويّ من السُنن وأقوال الصحابة والتّابعيــن في ذلك، وقطع الإملاء في بعض الكلام في الأمر بالمعروف والنّهي عن المــنكر[7]، وكــتاب اخــتلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام، ويُعدُّ هذا

---

(1) معجم الأدباء، ج18، ص80.

(2) تاريخ بغداد، ج2، ص163.

(3) معجم الأدباء، ج18، ص80.

(4) المصدر نفسه، ج18، ص45.

(5) تاريخ الطبري، ج1، ص16.

(6) تاريخ بغداد، ج2، ص163.

(7) معجم الأدباء، ج18، ص77.

الكتاب أولَ مَصنَّفٍ للمؤرخ الطبري، قال عنه ياقوت: "وكان أبو جعفر يُفضّلُ كتاب الاخــتلاف وهــو أول ما صنّف من كتبه، وكان يقول: لي كتابان لا يستغني عنهما فقــيهٌ: الاخــتلاف واللطيف[1]، وكتاب الأدر في الأُصول قال عنه ياقوت: "ثمّ قطع ووعد بكتاب الأدر في الأصول، ولم يخرج منه شيء"[2].

وكتاب الاعتذار، وهو في الاعتذار للحنابلة ذكر فيه مذهبه واعتقاده، وجرّح فيه عير ذلك[3]، وأمهات الأولاد[4]، وذيل المذّيل[5]، والرّد على ابن عبدالحكم في رده علــى مالك[6]، وكتاب "الشرب"[7]، وكتاب "الشهادات"[8]، وكتاب "الشروط"[9]، وكتاب "الطهارة"[10]، وكتاب "الفتوى"[11].

---

(1) معجم الأدباء، ج18، ص72.
(2) المصدر نفسه، ج18، ص81.
(3) المصدر نفسه، ج18، ص59.
(4) المصدر نفسه، ج18، ص73.
(5) المصدر نفسه، ج18، ص70.
(6) المصدر نفسه، ج18، ص81.
(7) المصدر نفسه، ج18، ص73.
(8) المصدر نفسه، ج18، ص83.
(9) المصدر نفسه، ج18، ص73.
(10) المصدر نفسه، ج18، ص76.
(11) المصدر نفسه، ج18، ص68.

الفصل الثاني

الحياة السياسية والاجتماعية في عصر بني أميّة

1.2 الحياة السياسية:

بعد مقتل سيدنا عثمان، أصبح هنالك فراغٌ سياسيٌّ فأرادت الوفود التي كانت ناقمة على عثمان أن تُبايع علياً فبويع علي خليفةً للمسلمين سنة 35هـ[1].

كان معاوية طامعاً في الخلافة مُنذُ أن كان والياً على الشام في عهد سيدنا عمر بن الخطاب، وما إن توفي سيدنا عمر حتّى أفصح معاوية عن نواياه في الاستئثار بحكم الشام كله[2].

بعث علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سُفيان يدعوه إلى بيعته، لكنَّ معاوية امتنع عن مبايعة علي وأخذ البيعة لنفسه، ثمّ أقنع أهل الشام بضرورة مُحاربة علي، لأنه تخاذل في الدفاع عن عثمان، فسار علي ومعهُ أتباعه من المهاجرين والأنصار إلى صفّين على شاطئ الفرات الغربي وقد اقتتلوا مدة شهر ذي الحجة كلّ يوم، ولمّا دخل شهر المحرم تحاجز القوم وتوادعوا على ترك الحرب طمعاً في الصلح[3].

عندما أحسّ معاوية بالهزيمة طلب إلى عمرو بن العاص أن يخلّصه من هذا المأزق، فأشار عليه عمرو بن العاص أن يرفعوا المصاحف على أسنّة الرماح، وتعليقها في أعناق الخيل، ومطالبتهم بتحكيم القرآن[4].

أخذ أصحاب علي بهذا الرأي ولكن سيدنا عليّا كان يعلم أنها حيلةٌ، ولكنهم اضطروه إلى قبول التحكيم، فخرج بعض المتحاربين في صف علي من القتال

---

(1) تاريخ صدر الإسلام والدولة الأُمويّة، عمر فرّوخ، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط1، 1970، ط2، 1986، ص120.

(2) التاريخ السياسي والحضاري للدولة الأُمويّة، السيّد عبدالعزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، 2001، ص332.

(3) البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، تحقيق: أحمد ملحم وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، جـ7، ص 266–268.

(4) تاريخ الطبري، جـ5، ص48– 51.

احتجاجاً على وقف الحرب[1].

اتفــق الفريقان على أن يختار كلٌّ منهما مندوباً، فاختار معاوية ومن معه من أهل الشام عمرو بن العاص، واختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، وكان عليّ لا يــريده فقال علي: "فإنكم قد عصيتموني في أول الأمر، فلا تعصوني الآن، إنّي أرى أن أولّـــي أبا موسى"[2]، كان أبو موسى الاشعري محايداً ممّا كرّهه إلى علي وحبّبه إلى أهل العراق[3].

أبى أهل العراق إلاّ أن يكون أبو موسى الأشعري حكماً لهم، فانعقدت محكمة التحكــيم فــي دومـــة الجندل، واتفق الفريقان على خلع علي ومعاوية، وترك الأمر شـــورى يخـــتار المسلمون من يريدون[4]، تقدّم أبو موسى الأشعري للكلام من قبيل الاحترام لِسِنِّه حتى يبدأ أبو موسى بخلع صاحبه ثمّ يعمل عمرو بن العاص، وكانت هذه حيلةً من عمرو بن العاص[5].

تقـــدّم أبو موسى فحمد الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليه، ثم قال: "أيّها الناس، إنّا قد نظـــرنا فـــي أمر هذه الأمة فلم نرَ أصلح لأمرها، ولا ألمّ لشعثها من أمرٍ قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه، وهو أن نخلع عليّا ومعاوية وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر، فـــيولّوا منهم من أحبوا عليهم، وإنّي قد خلعت عليّاً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم، وولّوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً له"، ثمّ تنحى، وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه، فحمـــد الله وأثنى عليه وقال: "إنّ هذا قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كمـــا خلعه. وأُثَبِتُ صاحبي معاوية، فإنّهُ ولّي عثمان بن عفان والطالب بدمه، وأحقُّ

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص50.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص51.

(3) أحـــزاب المعارضـــة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة) يوليوس فلهوزن، ترجمة: عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، ط2، 1976، ط3، 1978، ص 26.

(4) تاريخ الطبري، ج5، ص67.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص70 وما بعدها.

الــناس بمقامه"، فقال أبو موسى: مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت"[1]، ثمّ انصرف أهل الشام إلى معاوية وسلّموا عليه بالخلافة[2].

أتــى علياً أصحابهُ وشيعتهُ فبايعوه وقالوا: "نحنُ أولياء من واليت وأعداء من عاديــت"[3]، وقــد ولّــي علي الخلافة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأشهر، وكانت خلافته خمس سنين إلاّ ثلاثة أشهر[4].

ولمّــا علــم عليٌ بهذه الخدعة أخذ يستعد لقتال معاوية فلمّا جهّز جيشه لذلك جاءتــه الأخبار أنّ الخوارج قد ساروا نحو المدائن[5]، وهم الذين كانوا بالأمس معه خرجوا عليه لأنّهم كانوا يعتقدون أنّه أحقُّ بالخلافة فلا مُسوّغ لقبول أمر التحكيم هذا فكان عليه أن يلزمهم بمبايعته[6].

كانــت العــراق وفــارس مركزاً لنشاط الخوارج، فخرج الخوارج إلى قتال معاوية، وهُزم على أيديهم، ممّا دعاه إلى أن يخاطب أهل الكوفة قائلاً: "لا أمان لكم والله عــندي حتّى تكفوا بوائقكم" فواجه معاوية معارضة قويّة منهم فكان معاوية يتّبع معهم سياسة اللين والشدة ليأمن جانبهم[7].

لم تكن الحياة السياسيّة مُستقرة في الدولة الأُمويّة وذلك نتيجة لتعدد الأحزاب السياســية، فأصــبح كــلُّ حــزب يُدافع عن أنصاره، ويرى أنهم أحق بالخلافة من غيرهم.

تآمــر الخوارج على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص فاجتمع ثلاثة من الخــوارج وهم: عبدالرحمن بن ملجم والبُرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمي،

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص71.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص76.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص152.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص152.

(5) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصريّة – القاهرة، ج1، ص306.

(6) المرجع نفسه، ج1، ص307.

(7) التاريخ الإسلامي العام، علي حسين، مكتبة النهضة المصرية، ص280.

فتذكروا أمر النّاس وعابوا على ولاتهم ثمّ ذكروا أهل النهر فترحمّوا عليهم، وقالوا: "ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً إخواننا الذين كانوا دُعاة الناس لعبادة ربهم والذين كانوا لا يخـــافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم، فأرحنا مـــنهم الـــبلاد، وثأرنا بهم إخواننا[1]"، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب، وقـــال عمـــرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا على ذلك[2]، فأخذوا أسيافهم وجلسوا مُقابل السدة التي يخرج منها علي، فلمّا خرج علي ضربه ابن ملجم بالسيف[3]، فكانت وفاته رضي الله عنه في شهر رمضان سنة أربعين للهجرة[4].

أمّا البُرك بن عبدالله فإنّهُ في تلك الليلة التي قُتل فيها علي بن أبي طالب، قعد لمعاويـــة، فلمـــا خرج مُعاوية ليُصلي شدّ عليه بسيفه، ولكنّ السيف وقع من يده، فلم يقتُلهُ وأمّا عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج للصلاة، وإنّما خـــرج بدلاً منه صاحب شرطته، وكان من بني عامر بن لؤي، فقام عليه عمرو بن بكر فقتله ظناً منه أنّه عمرو بن العاص[5].

وبعـــد أن قُتل علي رضي الله عنه بُويع ابنه الحسن بالخلافة وكان الحسن لا يـــرى القتال، ولكنّه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية، ويشترط لنفسه على الأموال التي أصابها فشرط ذلك له معاوية[6].

قام الحسن في أهل العراق فقال: "يا أهلَ العراق إنّه سخّى بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إيايّ، وانتها بكم متاعي"[7].

وهكـــذا انتهى عصر الخلفاء الراشدين الذي امتدّ من سنة 11-40هـــ، وجاء عصر جديد وهو عصر الدولة الأموية الذي امتدّ من سنة 40- 132هـــ.

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص143-144.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص144.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص145.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص148.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص148-149.

(6) المصدر نفسه، ج5، ص158.

(7) المصدر نفسه، ج5، ص159.

بُويـــع معاويـــة بالخلافة سنة (40هـــ) أربعين هجريّة بإيلياء، وكان معاوية يُدعى بالشام: الأمير، فلما قُتل علي كرم الله وجهه دُعي معاوية أمير المؤمنين[1].

كان معاوية أطول الحكام المسلمين عهداً فقد قضى في ولاية الشام نحو خمس وعشرين سنة، وتمكن بدهائه أن يجتذب إليه قلوب أهل الشام، وان يطوعهم لأمره، فقـــد حرص منذ توليه الخلافة على مزج القبائل العربية التي وفدت إلى الشام بأهل تلك البلاد، ثمّ عمل على تقريب الولاة المخلصين له، ومن هؤلاء الولاء زياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص[2].

وعـــندما تولّـــى معاويـــة الخلافة كان هناك ثلاثة أحزاب: شيعة علي، وكان الشـــيعة متعصبين لبني هاشم ويرون أن ترد الخلافة لهم، وعارضوا الأُمويين، أما حـــزب الخـــوارج فكـــان حزباً صريحاً ثورياً، نشأ عن العصبية للإسلام، ومذهبهم مذهـــب سياسي وكان يهدف إلى تقرير الأمور العامة وفقاً لأوامر الله ونواهيه، وهم يبذلون كل طاقة عسكرية للفوز بالجنة، وكانوا يعبّرون عن إيمانهم بالأفعال وامتشاق السيف في سبيل إقرارها.

اعـــتمدت سياســـة بنـــي أُميّة على إثارة العصبية القبلية وذلك لتشغل القبائل العربـــية بهـــا عن معارضة الحكم الأُمويّ[3]، كذلك استطاعت الدولة الأُمويّة إغداق الأموال على زعماء بعض القبائل وإذلالهم وكسر شوكتهم حتّى تستميلهم إلى جهتها فتتمكنهم من السلطة[4].

كـــان بـــنو أمـــيّة وولاتهم يلجؤون إلى سياسة القمع والبطش للقضاء على معارضـــيهم[5] وقـــد أدرك معاويـــة مُـــنذ أن كان والياً على الشام مدى أهمية إثارة العصـــبية القبلية وإذكائها من جديد بعد أن خمدت في عصر صدر الدولة الإسلامية،

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص161.

(2) التاريخ الإسلامي العام، ص272-273.

(3) العصـــبية القبلية وأثرها في الشعر الأُموي: إحسان النص، دار الفكر، ط2، 1973م، ص241.

(4) المرجع نفسه، ص245.

(5) المرجع نفسه، ص247.

فقد كانت كلب من أقوى القبائل اليمنية فقام معاوية بمصاهرة هذه القبيلة والزواج من ميسون بنت بحدل الكلبية[1].

أُعجبَ معاوية بما كان سائداً عند الأمم الأخرى من مثل القياصرة والرومان من نظام وراثة الملك، لذلك فقد فكّر بنقل هذا النظام إلى الدولة العربية[2]، فلمّا توفي الحســن سنة (49هــ) تسع وأربعين عزم معاوية على البيعة ليزيد، فبدأ يمهد لهذا الأمر وبدأ معاوية يظهر يزيد بمظهر المجاهد، لما كان معروفاً عند المسلمين بلهوه وعكوفــه على الشراب[3]، فعزم معاوية على البيعة ليزيد لأنه رأى أنّ السبب الذي أدى إلى تفرق كلمة المسلمين هو المنافسة على الحكم[4].

كانــت فكرة الوراثة في الملك غريبةً عن العرب[5]، لذلك استعمل معاوية كُلَّ أســاليب الدهاء من أجل أخذ البيعة لابنه، فكان يعطي المقارب، ويتقرب إلى الناس بكافــة الســبل[6]، لكنَّ معاوية وجد معارضة شديدة خاصة من عرب الحجاز الذين رفضوا فكرة انتقال الحكم من النظام القائم على الشورى إلى النظام الوراثي[7].

اســتطاع معاوية أن يأخذ البيعة لابنه يزيد من أهل الشام والعراق ولكن أهل الحجــاز رفضــوا مبايعته، فأرسل معاوية جيشاً إلى مكة والمدينة وأخذ البيعة ليزيد بالقوة[8].

لــم ينسَ الكوفيون عداءهم لأهل الشام، فكتبوا إلى الحسين بن علي لمبايعته، فبعــث الحسين مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى الكوفة لينظر في الأمر، فبعث إلى الحســين أن أمضي إلى الكوفة[9]فتوجه إليها، فبايعه منهم اثنا عشر ألفاً، فأقبل عبيد

(1) العصبية القبلية، وأثرها في الشعر الأُموي، ص245.

(2) التاريخ الإسلامي العام (الجاهلية، الدولة العربية، الدولة العباسية)، ص274.

(3) التاريخ السياسي والحضاري للدولة الأمويّة، ص342.

(4) التاريخ الإسلامي العام، ص274.

(5) تاريخ صدر الإسلام والدولة الأمويّة، 132.

(6) التاريخ الإسلامي العام، ص275.

(7) التاريخ السياسي والحضاري للدولة الأُمويّة، ص343.

(8) تاريخ صدر الإسلام والدولة الأمويّة، ص 133.

(9) تاريخ الطبري، ج5، ص347.

الله بـــن زيـــاد بأمر من يزيد بن معاوية ليبطل بيعة أهل الكوفة للحسين بن علي[1]، فانضـــمّ عـــدد كبير من أهل الكوفة إلى عبيد الله بن زياد، وخرجوا لمقاتلة مسلم بن عقـــيل فتمكنوا من قتله[2]، ولمّا علم عبيد الله بن زياد بقدوم الحسين أرسل إليه الحُرُّ ابـــن يـــزيد ليرده عن دخول الكوفة، لكن الحسين رفض ذلك ثمّ أرسل عبيد الله إلى الحسين جيشاً بقيادة شمر بن ذي الجوشن، فلقيه شمر في كربلاء فقاتله، بعد أن خذله جمـــيع الذيـــن دعوه إلى الكوفة ثم انظموا إلى جيش شمر فأخذ الحسين يقول: "اللهمّ احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا"[3]، ولم يقاتل مع الحسين إلا عدد قلـــيل من أهل بيته، واستشهد الحسين في كربلاء يوم عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة[4].

وكـــان الذي قتل الحسين بن علي رجلٌ من مذجح وحزّ رأسه وانطلق به إلى عبيدالله بن زياد وقال[5]:

أوقِـــر ركابـــي فِضـّــةً وذهبا	فقـــد قَتَلْـــتُ الملكَ المُحجّبا
قتلـــتُ خـــير الناس أُمّاً وأبا	وخـــيرهُمْ إذ يُنْسَـــبونَ نسبا

ولمّا شمل الناس جورُ يزيد وعمّاله، وعمّهم ظُلمهُ وما ظهر من فُسقه من قتله الحســـين بـــن علي، وشربه للخمر أخرج أهل المدينة عامله عليهم وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم وسائر بني أميّة، وذلك عندما أظهر عبدالله ابن الزبير الدعوة لنفسه، وكان ذلك في سنة ثلاث وستين[6].

بـــايع أهل المدينة عبدالله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد بن معاوية، فوثبوا على عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومن كان بالمدينة من بني أُميّة، فكانوا نحواً من

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص348.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص350.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص389.

(4) المصر نفسه، ج5، ص400.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص390.

(6) المصدر نفسه، ج5، ص482.

ألف رجل فحاصرهم أهل المدينة في دار مروان بن الحكم[1].

توجـــه جيش يزيد وعليهم مُسلم بن عُقبة، وطلب منه يزيد أن يستخلف على الجـيش حُصـــين بن نُمير السكوني وأن يعطي القوم مهلة ثلاثة أيام فإن لم يُجيبوه قاتلهم وعندما انتهت الأيام الثلاثة، قام بمحاربتهم، وكانت وقعة عظيمة في الموضع المعـــروف بالحـــرّة، قُـــتل فيها خلق كثير من بني هاشم وسائر قريش والأنصار[2]، وأسفرت المعركة عن هزيمة أهل المدينة وقتل عدد كبير منهم.

وبعـــد وقعـــة الحـــرّة خرج مسلم بن عقبة بأمرٍ من يزيد إلى مكة حيث يقيم عـــبدالله بن الزبير، إلاّ أنّ مسلماً أدركه الموت أثناء الطريق، فاستخلف على الجيش الحُصـــين بـــن نُمير فسار إلى مكة وأحاط بها، وخرج أهل المدينة للدفاع عن مكة، وعـــندما مضـــت ثلاثـــة أيـــام من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين قذفوا البيت بالمجانيق، وحرّقوه بالنار[3].

وفـــي ســـنة أربـــع وســـتين عندما تولى الخلافة مروان بن الحكم سار للقاء الضّـــحاك بـــن قـــيس، الذي أظهر البيعة لعبدالله بن الزبير وخلع بني أميّة، فتمكن مـــروان بن الحكم من هزيمة الضحاك في موقعه مرج راهط وقُتل الضحاك، وقُتل يومئذ من أشراف الناس من أهل الشام ممّن كان مع الضحاك ثمانون رجلاً[4].

أســـفرت موقعـــة مـــرج راهط عن نتائج هامة منها: انتقال الحكم من الفرع الســـفياني إلى الفرع المرواني، كذلك أصبح نظام الملك وراثياً كما أراد معاوية من قبل، وإذكاء نار العصبية القبلية من جديد[5].

ثـــم كانت حركة التوابين برئاسة سليمان بن صُـــرَد الخزاعي تعبيراً عن ندم الشيعة على خذلانهم للحسين بن علي عندما تخلوا عنه في حرب كربلاء، ثم تعبيراً

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص482.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص484-487.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص498.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص535-537.

(5) التاريخ الإسلامي العام، ص290.

عن سخطهم ومعارضتهم لبني أميّة[1].

ويخـــرج التوابون في نحو من أربعة آلاف، ويسيرون حتى يصلوا إلى عين الـــوردة، وفي الطريق يمرون بقبر الحسين يصلون عليه، ويبكون، ويجددون العهد بالأخذ بثأره[2].

ثـــم يخـــرج عبـــيد الله بن زياد في جيوش كثيفة إلى مُلاقاة الشيعة بأمر من مروان بن الحكم، وتدور المعركة، ويستبسل التوابون في القتال، ولكن تكون النتيجة غلبة جيش عبيد الله بن زياد، وقتل قائد الشيعة سليمان بن صرد[3].

لقد كان لهذه الحرب جوانب خطيرة من أبرزها أنّها كشفت الرماد عن جذوة التشيع وأشعلت النار، حتى كانت في النهاية من الأسباب التي ساعدت على الإحاطة بحكـــم الأمويـــين، كما أنّها مهدت الطريق لثورةٍ شيعية خطيرة، هي ثورة المختار الثقفي[4].

لـــم يكد عبيد الله بن زياد يفرغ من قتال التوّابين حتى ظهر المختار بن أبي عبـــيد الثقفي سنة (66هـــ) ست وستين، أحد قوّاد الجيوش الإسلامية زمن عمر بن الخطـــاب[5]. انطلق المختار بثورته من الكوفة حيث أدرك منذ البداية أن الكوفة مهدّ للشيعة وثورته تدعو إلى المطالبة بدم الحسين[6]. ضمّ المختار كذلك إليه الموالي لأنّ الموالي كانت تؤلف السواد الأعظم من أهل الكوفة[7]، وقد استجاب إليه الموالي حين أدركوا أنّ دعوته تهدف إلى مساواتهم بالعرب[8].

---

(1) حـــياة الشـــعر في الكوفة (إلى نهاية القرن الثاني للهجرة): يوسف خليف، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – القاهرة، 1968م، ص71.

(2) المرجع نفسه، ص72.

(3) المرجع نفسه، ص73.

(4) المرجع نفسه، ص76.

(5) التاريخ الإسلامي العام، ص292.

(6) حياة الشعر في الكوفة، ص75.

(7) المرجع نفسه، ص75.

(8) المرجع نفسه، 75.

أخــذت ثورة المختار طابعاً قبلياً، فأغلب الذين انضموا إلى المختار كانوا من القــبائل التي غلب عليها التشيع، ولم يكن معه من أشراف الكوفة إلا عدد قليل منهم إبراهيم بن الأشتر النخعي[1].

اســتطاع المخــتار أن يستميل إليه الشيعة عندما أعلن أنّ ثورته موجهة ضد الأمويين للأخذ بثأر الحسين، وأدّعى أنه مرسل من قبل محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية[2].

استطاع المختار في ثورته هذه أن يحقق بعض الأهداف التي كان يسعى إليها مــنها: إنّه أصبح سيّداً للكوفة، كما استطاع أن يثأر للحسين، واستطاع بفضل قائده إبراهيم بن الأشتر أن يهزم قوات عبد الملك بن مروان على ضفاف نهر خازر، وأن يقتل قائدها عبيد الله بن زياد[3].

كان المختار أحد الطامعين في الخلافة، ويصرّح بهذا عندما حاصره مصعب فــي قصــر الكوفــة، فيقول لبعض أصحابه: "إنّما أنا رجل من العرب، ورأيت ابن الزبــير انتزى على الحجاز، ورأيت نجدة انتزى على اليمامة، ومروان على الشام، فلــم أكن دون أحد من رجال العرب، فأخذت هذه البلاد، فكنت كأحدهم، إلاّ إني قد طلبــتُ بــثأر أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، إذ نامت عنه العرب، فقتلت من شرك في دمائهم، وبالغت في ذلك إلى يومي هذا[4].

وبعــد أن انتصــر المخــتار في الجولة الأولى، أمر عبد الله بن الزبير أخاه مصــعب بمقاتلــة المختار، فدارت المعركة بين الفريقين قرب الكوفة سنة 67هـــ، انتهــت بمقــتل المخــتار ومــن معــه من أتباعه، وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم "المختارية"[5].

---

(1) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، ص316.

(2) التاريخ الإسلامي العام، ص294.

(3) حياة الشعر في الكوفة، ص76.

(4) تاريخ الطبري، ج6، ص107، سنة 67هـــ.

(5) التاريخ الإسلامي العام، ص295.

وفي سنة (71هـ) إحدى وسبعين للهجرة خرج عبد الملك بن مروان إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير[1]، بعد أن أرسل عبد الملك بن مروان بكتب إلى قواد مصعب استطاع أن يستميلهم إليه، وسار مصعب إلى باجميرا، وكتب عبد الملك إلى شيعته من أهل العراق فأقبل إبراهيم بن الأشتر بكتاب عبدالملك إلى مصعب، ثمّ أخبر إبراهيم بن الأشتر مصعباً أنّ قوّاده قد خالفوه، وطلب منه أن يضرب أعناقهم، لكنّ مصعباً رفض ذلك وقال: "فأوقرهم حديداً وأبعث بهم إلى أبيض كسرى فأحبسهم هنالك ووكّل بهم من إن غُلبت ضرب أعناقِهم، وإن غلبت مننت بهم على عشائرهم[2].

نشب القتال بين الفريقين بالقرب من باجميرا، وهُزم مصعب، ومن كانوا معه، وقُتل مصعب على نهر يُقال له الدُجَيْل عند دير الجاثليق، وأمر به عبد الملك وبابنه عيسى فدفنا ثمّ أخذ البيعة لنفسه من أهل العراق[3].

بعد أن تمكّن الحجاج من القضاء على ابن الزبير في الحجاز أصبح والياً على الحجاز كله مكافأةً من عبد الملك لمقدرته الحربية[4]، وبقي عليها حتى سنة 75هـ حيث عهد إليه عبد الملك بولاية العراق، تلك المنطقة التي كانت أشدَّ مناطق الدولة خطراً على الحُكم الأُمويّ[5].

وفي أول لقاء للحجاج بأهل الكوفة خطبهم خطبته المشهورة في الأدب والتاريخ، وقد بدأها بقوله[6]:

أنا ابنُ جلا وطلاّع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني

يا أهل الكوفة إنّي لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإنّي لأنظر إلى

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص151.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص157.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص160.

(4) التاريخ الإسلامي العام، 298.

(5) المرجع نفسه، 299.

(6) البيت لِ " سُحيم بن وثيل الريّاحي وهو شاعر جاهلي " تمثل به الحجاج في أول خطبته بالكوفة .

الدماء بين العمائم واللّحى ..."[1].

كانـــت الكوفة مركزاً انطلقت منه أكثر الثورات التي تُعارض حكم بني أُميّة، لذلك رأى الحجاج أنّه لا بّد من اتباع سياسة معينّة لاشغال أهل الكوفة بها، فرأى أنّه من الأفضل أن يجعلها معسكراً للجيوش العربية، وبذلك ينشغل بالحرب والقتال[2].

لقد كان للسياسة التي اتبعها الحجاج مع أهل الكوفة أن زاد حقد الكوفيين على الأُمويين، ونجد أن الحجاج قد أجبر الكثير من الكوفيين على مشاركته في حروبه[3]، وهذه العناصر التي خرجت مكرهة للقتال كانت من العوامل التي ساعدت على نشر روح المعارضة في هذه الأقاليم[4].

كانـــت الـــثورات التـــي قام بها الخوارج الأزارقة من أهم الصعوبات التي واجهـــت عـــبدالملك فولّى عبدالملك المهلب بن أبي صفرة لقتالهم، وكان قطريّ بن الفُجَـــاءة الشـــاعر المشـــهور قائداً للأزارقة[5]، وكانت أوّل مواجهاتهم في رامهرمز انهزمت فيها الأزارقة[6].

ثـــم انقسم الأزارقة على أنفسهم بعد أن كانوا فرقة واحدة فالعرب التفوا حول زعيمهم قطري بن الفُجاءة، والموالي انضموا إلى زعيمهم عبد ربه الكبير[7].

وعـــندما بلغ أمر انقسام الأزارقة إلى الحجاج وجّه جيشاً من أهل الشام بقيادة ســـفيان بن الأبرد الكلبيّ في طلب قطري ثمّ لحقوه في شعب من شعاب طبرستان، فقـــاتلوه، ووقع عن دابته في أسفل الشعب ومات[8]، وهكذا انتهى أمر الأزارقة الذين طالما عارضوا حكم الأمويين.

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص202-203.

(2) حياة الشعر في الكوفة، ص80.

(3) المرجع نفسه، ص81.

(4) المرجع نفسه، ص82.

(5) التاريخ الإسلامي العام، ص300.

(6) المرجع نفسه، ص300.

(7) تاريخ الطبري، ج6، ص309.

(8) المصدر نفسه، ج6، ص309.

وتستمر الفتن والثورات في عصر الخليفة عبدالملك، ومن ذلك فتنة ابن الأشعث[1]، عندما خرج على طاعة الحجاج فتنشب الحرب بين أهل العراق وأهل الشام في سنة اثنين وثمانين هُزم ابن الأشعث في واقعة الزاوية[2].

ولا تنتهي هذه الحرب بين ابن الأشعث والحجاج، فيكتب الحجاج إلى عبدالملك يعلمه بخبر ابن الأشعث، فكتب إليه عبدالملك: "لعمري لقد خلع طاعة الله بيمينه، وسلطانه بشماله، وخرج من الدين عُرياناً، وإني لأرجو أن يكون هلاكه وهلاك أهل بيته واستئصالهم في ذلك على يد أمير المؤمنين"[3].

فيلتقي الحجاج وابن الأشعث في الموضع المعروف دير الجماجم وذلك في (82هـ) سنة اثنتين وثمانين، فيقتل الحجاج ابن الأشعث في هذه الحرب[4].

وبعد أن انتهت الحرب بين الحجاج وابن الأشعث، يصعد الحجاج إلى المنبر، ويوجه خطاباً إلى أهل العراق حيث يوجه إليهم اللوم على وقوفهم إلى جانب ابن الأشعث في المعركة، ويذكرهم بغدرهم إياه، ويذكرهم كذلك بهزيمته إياهم في موقعة الزاوية، ثم هزيمتهم في موقعتهم دير الجماجم[5].

ثمّ يوجه خِطاباً إلى أهل الشام، يذكر فيه اخلاصهم له ووقوفهم إلى جانبه في المعارك، وانهم العدة والعدد، والجنّة في الحرب[6].

وفي موقعة دير الجماجم أسرف الحجاج في قتل أسارى الحرب واعطائه الأموال، فبلغ ذلك عبد الملك، فأرسل بكتابٍ إلى الحجاج يتضمن تحذيره من مثل هذه التصرفات، ويؤنبه على ذلك، وفي أسفل الكتاب كتب إليه بالأبيات التالية[7]:

---

(1) هو عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن الليث الكندي، من قبيلة كندة.

(2) تاريخ الطبري، ج6، ص342.

(3) مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 1987، ج3، ص138-139.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص139.

(5) المصدر نفسه،ج 3، ص139-140.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص140.

(7) المصدر نفسه، ج3، ص141-142.

إذا أنــت لــم تترك أموراً كرهتها وتطلب رضائي بالذي أنا طالبُهْ
وتخشــى الذي يخشاه مثلك هارباً إلــى الله مــنه ضيّعَ الدّرّ حالبُهْ
فــإن ترمنــي غفلـــةٌ قرشــيةٌ فــيا ربما قد غصّ بالماء شاربُهْ
وإن تَرمنـــي وثـــبةٌ أمويّـــةٌ فهــذا وهــذا كلٌّ ذا أنا صاحبُهْ
فــلا (لا) تلمنــي والحوادث جَمّةٌ فــإنّك مجــزيٌّ بما أنتَ كاسبُهْ
ولا تعــدُ مــا يأتيك مني، وإن تَعُدْ يقــومُ بهــا يومــاً عليك نوادبُهْ
ولا تنــتقض للــناس حقــاً علمته ولا تعطيــن مــا ليس لله جانبُهْ

وعــندما قرأ الحجاج كتاب الخليفة عبد الملك، أرسل إلى الخليفة كتاباً يوضّح فــيه دواعــيه إلــى القــتل والعطــاء، ويبيّن فيه إنه لم يكن مسرفاً في سفك دماء المعارضــين للحكــم الأُمــويّ لأنهم يستحقون ذلك، وإنّهُ لم يفعل ذلك إلاّ من أجل المصــلحة العامــة، وأمّا التهمة الثانية التي وجهها الخليفة إلى الحجاج وهي تبذير الأمــوال، فبيّــن الحجــاج إنّــه لا يعطي إلاّ المخلصين للدولة فيقول الحجاج: "ولا أعطيتهم إلاّ لك" وكتب في أسفل كتابه(1):

إذا أنــا لــمْ أتبع رضاكَ وأتّقي أذاك فيومــي لا تــزول كواكبُهْ
ومــا لامــرئ بعــد الخليفة جُنة تقــي من الأمرِ الذي هو كاسبُهْ
أســالمُ من سالمت من ذي قرابة ومَــنْ لــم تسالمه فإني محاربُهْ
إذا قــارف الحَجَّاجُ منك خطيئة فقامــت عليه في الصباح نوادبُهْ
إذا أنــا لــم أدن الشفيق لنصحه وأقــص الذي تسرى إليّ عقاربُهْ

وهكذا تمكّن الخليفة عبدالملك من القضاء على الفتن الداخلية التي كانت تهدد أمــن الدولــة واستقرارها، وكذلك تمكّن من القضاء على الطامعين في الخلافة من أمثال ابن الأشعث وابن الزبير، والمختار الثقفي، فأنتهى بذلك أمر الفتن الداخلية.

وفــي عهــد الولــيد اتســعت حدود الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً، فلم يعد هــنالك ثــورات داخلــية تنشــغل بهــا الدولــة، وإنّمــا انشغلت الدولة بالفتوحات

(1) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص142.

الخارجـيـة[1]، حيث تمّ فتح إقليم ما وراء النهر، وحوض نهر السند، وشمال إفريقية والأندلس[2].

ولمّـا تولـى عمـر بن عبدالعزيز ولاية العهد ظهر "بسّطام اليشكرى" وكان يُعـرف باسم شوذب[3]، وكان مخرجه بِجُوخَى ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة، ولم يـرد عمـر أن يـأخذ هـؤلاء الخوارج الذين التفوا حول شوذب بالقوة، فطلب من عبدالحمـيد بـن عبدالرحمـن بـن زيد بن الخطاب عامله على العراق ألاّ يأخذهم بـالقوة[4]، ثم كتب عمر إلى بسطام يسأله عن مخرجه، فكان في كتاب عمر إليه: إنّهُ بلغنـي أنـك خرجت غضباً لله ولنبيّه، ولست أولى بذلك منّي فهلمّ أناظرك فإن كان الحـق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا وكان رد بسـطام على عمر أن بعث إليه رجلين يناظرانه، وهما ممزوج مولى شيبان والآخر حليبة بنت يشكر[5].

ولـم يسـتطع عمـر أن يرد على اعتراضهما في شأن ولاية العهد ليزيد بن عـبدالملك من بعده، فطلب إليهما أن يستمهلاهُ ثلاثة أيام[6]. ولكن بني مروان خافوا أن يخلـع عمـر يـزيد وأن يضيّع ما في أيديهم من السلطان، فدسّوا إليه من سقاه سُمّاً[7].

وفي عهد يزيد بن عبدالملك عادت الفتن الداخلية من جديد بعد أن خمدت في عهـد الولـيد، وعمـر بـن عبد العزيز، فقد قامت في عهد يزيد فتنة جامحة قادها يزيد بن المهلب، وهو الذي ولاه سليمان على المشرق، وافتتح طبرستان[8].

---

(1) التاريخ الإسلامي العام، ص305.

(2) المرجع نفسه، ص305.

(3) تاريخ الطبري، ج6، ص555.

(4) المصر نفسه، ج6، ص555.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص556.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص556.

(7) المصدر نفسه، ج6، ص556.

(8) التاريخ الإسلامي العام، ص320، 321.

فلما جاء عمر بن عبدالعزيز، دعا يزيد يسأله عن الأموال التي حباها، فعجز يــزيد عن أدائها فأمر بسجنه[1]، وبقي في سجنه حتى بلغه مرض عمر، وأخذ يزيد يخطط للهرب من السجن خوفاً من يزيد بن عبدالملك، لأنّه كان قد عذّب أصهاره آل أبي عُقيل[2].

خــرج يزيد بن المهلب من السجن، فضمّ إليه خاصته من أهل الكوفة، فبعث إليه يزيد بن عبدالملك جيشاً عظيماً يقوده أخاه مسلمة، وابن أخيه العباس بن الوليد، فالتقى الجيشان، وقتل يزيد بن المهلب في المعركة، وهزم جيشه[3].

وفــي عهد يزيد بن عبدالملك ضعُفت هيبة الخلافة وذلك نتيجة لسوء أخلاق يــزيد، ومــا اشــتهر به من اللهو والخلاعة كذلك في عهده تجددت العصبية القبلية خاصــة بيــن القبائل اليمنية والمضرية[4]، وكانت وفاته سنة خمس ومائة ببلقاء من أرض دمشق[5].

اعتمدت سياسة بني أُميّة على العصبية العربية، فأدى ذلك إلى تحرك الموالي من الفرس والترك، فاستفحل أمرهم وخاصة في عهد هشام بن عبدالملك[6].

تبــنّى الموالــى الدعــوة العلوية، فأخذوا يدعون إلى ردّ المُلك إلى آل علي، وأخذوا يذكرون المآسي التي لقيها آل البيت على أيدي الأُمويّين[7].

وفــي عهــد هشــام بن عبدالملك تجددت العصبية القبلية خاصةً بين اليمنية والمضرية[8]، فأخذ هشام يسعى جاهداً إلى حل النزاع بين هاتين القبيلتين.

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص557.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص564.

(3) التاريخ الإسلامي العام، ص321.

(4) المرجع نفسه، ص321.

(5) المرجع نفسه، ص321.

(6) تاريخ صدر الإسلام والدولة الأُمويّة، ص175.

(7) المرجع نفسه، ص175.

(8) المرجع نفسه، ص174.

يمــتاز عصر هشام بالتوسع في الفتوح[1]، فبالرغم من الفتن والنزاعات التي حدثت في عهده لكنّه كان يسعى إلى توسيع حدود الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً.

اســتفحل أمـــر الموالي عندما قام هشام بن عبدالملك بفرض ضريبة خراجية علــيهم، فتزعم الموالي الحارث بن سريج التميمي وزعم أنّه المهدي الذي بعثه الله لتخليص المطهدين، فجمع حوله عدداً كبيراً من الموالي الناقمين، وقد استطاع نصر بن سيّار أن يتصدّى لهم، وكان في ذلك الوقت والياً على خراسان[2].

ومن الثورات التي ظهرت في عهد هشام بن عبد الملك ثورة زيد بن علي بن الحســين بن أبي طالب وكان من الطامعين بالخلافة، فالتفّ حوله الشيعة وشجعوه علـــى الخروج على بني أُميّة، فتصدى لهم يوسف بن عمر أمير الكوفة ولم يبق معهُ مـــن أتــباعه سوى مائتي رجل فقاتل معهم حتّى قُتل قرب الكوفة سنة (122 هـ) ثنتين وعشرين ومائة هجريّة[3].

وفـــي عهـــد الوليد بن يزيد بن عبد الملك انقسمت الأُسرة المالكة على نفسها وذلـــك نتــيجة لســـوء سياسة الوليد في تعامله مع أفراد أسرته، وفي عهده أسرعت الدولة ناحية الانحلال وعرف بالجور والظلم بين الرعية[4].

ومـــن سوء سياسته أنّه عقد بولاية العهد لابنيه الحكم وعثمان من بعده وهما ما زالا صغيرين، فتصدّى له يزيد بن الوليد ممّا أدى إلى سخط بني أميّة عليه[5].

تولى مروان بن محمد الخلافة والفوضى تَعْصِفُ في الدولة الأُمويّة ومن هذه المصـــاعب، اشتعال نار العصبية بين اليمنية والمضرية هذا بالإضافة إلى الثورات التي قام بها اليمنية ضد الحكم الأموي[6].

---

(1) التاريخ الإسلامي العام، ص323.

(2) المرجع نفسه، ص324.

(3) تاريخ صدر الإسلام والدولة الأُمويّة، ص178.

(4) تاريخ الطبري، ج7، ص218.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص218.

(6) التاريخ الإسلامي العام، ص327.

ثـــار الخـــوارج فـــي الكوفـــة بقيادة الضحاك بن قيس سنة (127هـ) سبع وعشـــرين ومائة هجريّة، فتمكن مروان ابن الحكم من هزيمة جيش الضحّاك وقتله فـــي آخر سنة (129هـ) تسع وعشرين ومائة هجريّة[1]، هذا بالإضافة إلى الحروب التي دارت بين الأحزاب السياسية كالخوارج والعلويين[2].

وفـــي ســـنة سبع وعشرين ومائة خرج سليمان بن هشام بن عبدالملك لقتال مـــروان بـــن محمد[3]، واجتمع إلى سليمان من أهل الشام نحو سبعين ألفاً[4]، ونزل الفـــريقان واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم سليمان ومن معه، وبلغ عدد قتلاهم يومئذٍ نيّف على ثلاثين ألف[5].

بـــدأت طلائـــع الدولة العباسية تظهر، منذ أن بدأ أبو مسلم الخراساني ينشر الدعـــوة للعباسيين في خراسان سنة (129هـ) تسع وعشرين ومائة هجريّة، أي قبل سقوط الدولة الأمويّة بثلاث سنوات[6].

لقـــد أضـــعفت الفتن والثورات الدولة الأموية، ومن ذلك وقوع الخلاف بين اليمانية والنزارية في خراسان[7]، فمهما كانت قوة الدولة الأموية فلا بدّ وأن تتصدع قوتها نتيجة للفتن والثورات المتتالية، قال الحارث بن عبدالله بن الحشرج بن المغيرة ابن الورد الجعديّ يصف الحالة التي آلت إليها الدولة الأُمويّة[8]:

أبيـــتُ أرعـــى الـــنجومَ مرتفقاً ... إذا اســـتقلّت تجـــري أوائلهـــا
مـــن فتـــنةٍ أصـــبحت مُجلّلـــةً ... قـــد عـــمّ أهـــل الصّلاة شاملُها
مـــن بِخُراســـان والعـــراق ومَنْ ... بالشـــام كـــلُّ شـــجاهُ شـــاغِلها

---

(1) عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، ص202.

(2) التاريخ الإسلامي العام، ص327.

(3) تاريخ الطبري، ج7، ص323.

(4) المصدر نفسه، ج7، ص324.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص325.

(6) المصدر نفسه، ج7، ص353-355.

(7) المصدر نفسه، ج7، ص285.

(8) المصدر نفسه، ج7، ص286.

"سُـئل بعض شيوخ بني أُميّة ومحصّليها[1]، عقب زوال الملك عنهم إلىَ بني العباس: ما كان سبب زوال ملككم؟ قال: إنّا شُغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقّده يلزمنا، فظلمنا رعيّتــنا، فيئســوا من إنصافنا وتمّنوا الراحة منا وتحومل على أهل خراجنا، فتخلّوا عــنا، وخرّبــت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا، ووثقنا بوزارئنا فآثروا مرافقهم على منافعنا، وأمضوا أموراً دوننا وأخفوا علمها عنا، وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا، واستدعاهم أعادينا فتظاهروا معهم على حربنا، وطلبنا أعداؤنا فحجزنا عنهم لقلة أنصارنا، وكان استتار الأخبار عنّا من أوكد أسباب زوال ملكنا"[2].

بالإضــافة إلى ذلك، فقد بُني حكم الأُمويّين على الضغط والقهر والاستبداد، والعُنصــرية، وكذلــك التعصب للعرب، مما أدى إلى اشتداد أمر الموالي، ورفضهم لهذا الظلم لعدم مساواتهم في الحقوق والواجبات مع العرب.

2.2 الحياة الاجتماعية في عصر بني أُميّة:

تمــيزت الحياة الاجتماعية في العصر الأموي بالتطور الملحوظ، وذلك نتيجة لمجموعــة من المؤثرات، من أبرزها: مغانم الفتوح التي أدت إلى ثراء أبناء العصر الأموي بالإضافة إلى الموالي الذين كانوا يحملون ثقافات جديدة مختلفة كان لها أبرز الأثر في تطور الحياة الاجتماعية في هذا العصر[3].

كــان المجــتمع الأُموي يتكون من أربع طبقات متمايزة[4]، من حيث وضعها الاجتماعي والاقتصادي:

1- طبقة الأُمراء من البيت الحاكم والاقطاعيين والأثرياء من العرب.

---

(1) مُحصّليها: العارفين بأمور الدولة.

(2) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، ج3، ص241.

(3) العصــر الأُموي، أدبه وحضارته، عزيزة فوال بابتي، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر، ط1، 1984، ص68.

(4) في الأدب العباسي، عز الدين اسماعيل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1975، ص15.

2- طبقة متوسطة ميسورة الحال، تتكون من العاملين بالجيش والمشتغلين بالتجارة.

3- طبقة الموالي، واستطاعت هذه الطبقة مع مرور الزمن تحسين وضعها.

4- طبقة العبيد والإماء.

كانت التقاليد العربية أرسخ في نفوس العرب من أيّة تقاليدَ أُخرى، فعلى الرغم من اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى كالفرس والروم نتيجة الفتوحات الإسلامية إلاّ أن العرب حافظوا على تقاليدهم على الرغم من تمدنهم وسكنهم في القصور، فكان الذوق العربي واضحاً كل الوضوح في العهد الأُموي.

يُروى أنَّ الحجاج بن يوسف الثقفي أولَمَ في اختتان بعض ولده، فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولائم الفرس، وقال: أخبرني بأعظم صنيع شهدته، فقال له: نعم، أيها الأمير، شهدتُ بعض مرازبة كسرى، وقد صنع لأهل فارس صنيعاً، أحضر فيه صحاف الذهب على أخونة الفضة - أربعاً كلَّ واحد - وتحمله أربع وصائف، ويجلس عليه أربعة من الناس، فإذا طعموا أُتبعوا أربعتهم المائدة بصحائفها، ووصائفها، فقال الحجاج: يا غلام انحر الجزر وأطعم الناس"[1].

لذلك فقد كره الحجاج ذلك واستعظمه، ودلّ ذلك على ذوقه العربي، فنفر إلى عادات قومه[2].

كان العنصر العربي هو العنصر الذي كوّن الدولة الأُمويّة، وقامت الدولة الأُمويّة، منذ أيام معاوية على فكرة العصبية العربية[3].

معتمدة على العنصر العربي ولم تمنح الموالي المساواة في العطاء أو النظرة الاجتماعية[4].

---

(1) ضحى الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1972، ج1، ص101-102.

(2) المرجع نفسه، 102/1.

(3) الحضارة الإسلامية، عطيّة القوصي، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1985، ص82.

(4) الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، محمد فتحي الشاعر، دار المعارف، 1991م، ص87.

كـــان العرب في العصر الأمويّ أصحاب الصدارة والنفوذ، فاستأثروا بالمناصب الهامـــة، سواء أكانت سياسية أم دينية، فعاملوا الموالي معاملة سيئة، فلم يسمحوا لهم بتولـــي أيّة مناصب حساسة في الدولة وإنما سمحوا لهم بالأعمال التي كانوا يأنفون منها، كالزراعة، والحرف اليدوية، والصناعة[1].

وبالإضـــافة إلى الحرف اليدوية التي كان يمتهنها الموالي كانوا يقومون بأعمال أرقـــى من ذلك، كالأعمال الكتابية، والجباية، ولم يكن لهم نصيب بديوان العطاء أو الغنائم والفيء[2].

لـــم يكـــن للمولـــى الحـــق فـــي الزواج من عربية حرة، بل يتزوج من نساء المواليـــي[3]، وهكذا فقد حُرم المولى من أن يمارس أبسط حقوقه في العصر الأُمويّ، وكان ينظر إليه على أنّه خادم عليه الطاعة دون أن يكون له أدنى الحق في أن يبوح برأيه.

تعصب الأُمويون للعرب، وكانون ينظرون إلى الموالي نظرة السيّد للمسود[4]، وكـــان أكـــثر هـــؤلاء الموالي من أسرى العرب في الحروب ومغانمها، فعاشوا مع العـــرب يقومون على خدمتهم، لذلك نظر العرب إلى هؤلاء نظرة مزرية[5]، وكثيراً مـــنهم حملـــوا لواء العلم والدين والثقافة الإسلامية[6]، وكان هؤلاء الموالي يشعرون بســـيادة العـــرب عليهم[7]، لذلك كان من الطبيعي أن يثور هؤلاء الموالي على حكم الأمويين طلباً للمساواة.

---

(1) حياة الشعر في الكوفة، ص171.

(2) فـــي الشعر العباسي (الرؤية والفن)، عز الدين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية، 1994، ص66.

(3) المرجع نفسه، ص67.

(4) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ص431.

(5) الـــتطور والـــتجديد فـــي الشـــعر الأُموي، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ج5، ص113.

(6) العصر الأموي أدبه وحضارته، ص82.

(7) التطور والتجديد في الشعر الأُموي، ج5، ص113.

تمـــتع أهل الذمة، وهم اليهود والنصارى، بالحرية الدينية، وقد عامل العرب من ظل من الفرس معاملة حسنة[1]، فكان لتسامح العرب دورٌ في اعتناق بعض أهل الذمة والفرس الدين الإسلامي الحنيف.

وتطـــورت الحـــياة الاجتماعية في مختلف البلاد الإسلامية لما شاع فيها من مظاهـــر الترف واللهو والبذخ، فأقبل الشباب على الاستمتاع بالحياة الجديدة، فسكنوا القصور، وأخذوا يأكلون في أوان من الذهب والفضة[2].

ولـــم تكن بعض الأمصار الإسلاميّة مُدناً عربيةً خالصة خاصةً الكوفة، فإلى جانـــب العنصر العربي كانت هناك عناصر أجنبية أخرى بعضها فارسي، وبعضها سرياني، وبعضها نبطي[3].

ومن أبرز الظواهر الاجتماعية في حياة الكوفة أنها كانت منزل الارستقراطية العربية، أو الاستقراية الدينية التي كان همها الوحيد هو الاتصال بالنبي أيام حياته[4]، وإلـــى جانـــب هذه الاستقراطية الدينية كانت هناك الاستقراطية الدنيوية والتي تعتمد على ما يرثه الأبناء من الآباء من الشرف التليد[5].

إلـــى جانـــب هذه الطبقة الارستقراطية التي كانت في الكوفة كان هناك طبقة الأجانب الذين لم يعتنقوا الإسلام وإنما بقوا متمسكين بدياناتهم القديمة[6].

وكـــان هـــناك الطبقة الشعبية من العرب والتي كانت تتألف من أفراد القبائل العربية بالإضافة إلى الجند المقاتلين الذين اتخذوا من الكوفة معسكراً لهم[7].

وكـــان لهـــذه الطبقة العامة التي تتألف من أفراد القبائل النازلين إلى الكوفة والجند المقاتلين أن اتيحت لهم فرص الثراء الواسع، فقد كانت الكوفة معسكراً تتدفق

---

(1) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ص432.

(2) العصر الأموي أدبه وحضارته، ص69.

(3) حياة الشعر في الكوفة، ص157.

(4) المرجع نفسه، ص158.

(5) المرجع نفسه، ص159.

(6) المرجع نفسه، ص174.

(7) المرجع نفسه، ص174.

مـــنه الجـــيوش الإسلامية للغزو والجهاد، في الأقاليم التي تُعدُّ من أغنَى أقاليم العالم ثراء وخصباً[1].

غلـــب طـــابع الحياة الجاهلية على كلٍّ من الكوفة والبصرة فلم ينسَ العرب حـــياتهم القديمـــة، فكانت القبائل التي نزلت هاتين المدينتين ما زالت محافظة على حـــياتها القديمـــة فلم يتم فيها اندماج العرب، فكانت كلُّ قبيلة تنزل على حدة، فكانت تميم مثلاً تنزل في جانب، وهكذا بالنسبة إلى باقي القبائل العربية الأخرى[2].

كانت البصرة دار هجرة ومدينة محصنة، فلم تكن مجرد بلدة يأوي إليها حشد مـــن القوم، وملجأ تجتمع فيه غنائم هؤلاء، فكانت مركزاً هاماً لتبادل السلع بين البدو والقروييـــن، ومركـــزاً هاماً من المراكز التجارية وبلداً زراعياً من الطراز الرفيع، ومقراً تنبعث منه أصول الصناعات وفنونها[3].

فقـــد كانـــت البصـــرة المصدر الرئيس للفنون الصناعية ولذلك ظلت طويلاً المركز الصناعي لبناء السفن في منطقة الخليج[4].

شـــهد المجـــتمع الأُمـــوي تطوراً ملحوظاً في مختلف المجالات وخاصة في الناحـــية الاجتماعـــية، ولعلّ ذلك يعود إلى اختلاط العرب بغيرهم من الأُمم الأُخرى كالفرس والروم وذلك نتيجة لاتساع حركة الفتوح الإسلامية.

أخـــذ الأمويـــون نظـــام مجالسهم عن الفرس، وكانت هذه المجالس في عهد أردشير بن بابك، فقيلَ إنّهُ كان أولَ من رتب الندماء، فجعلهم في ثلاث طبقات[5].

---

(1) حياة الشعر في الكوفة، ص175.

(2) التطور والتجديد في الشعر الأموي، ج5، ص109.

(3) خطـــط البصـــرة وبغـــداد، ل. ماسنيون، ترجمة إبراهيم السامرائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981، ص30، 31.

(4) المصدر نفسه، ص32.

(5) كـــتاب التاج في أخلاق الملوك، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، تحقيق عمر الطبّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان، ص110–111.

فكانت الأساورة[1]، وأبناء الملوك في الطبقة الأولى، وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة أذرع من الستارة.

ثم الطبقة الثانية، وكان مجلسها من هذه الطبقة على عشرة أذرع، وهي بطانة الملك وندماؤه من أهل الشرف والعلم.

ثم الطبقة الثالثة، وكان مجلسهم على عشرة أذرع من الثانية، وهم المضحكون وأهل الهزل والبطالة، غير أنّهُ لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وضيعه، ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول أو القصر، ولا مُؤوف (مصاب بآفة)، ولا مرمي بأبنة (عيب) ولا مجهول الأبوين ولا ابن صناعة دنيئة كابن حائك أو حجام، ولو كان يعلم الغيب مثلاً.

وكان الذي يقابل الطبقة الأولى من الأساورة وأبناء الملوك أهل الحذاقة، بالموسيقيات والأغاني.

ويقابل الطبقة الثانية من ندماء الملك وبطانته الطبقة الثانية من أصحاب الموسيقيات.

ويقابل الطبقة الثالثة من أصحاب الفكاهات والمضحكين أصحاب الونج والمعازف والطنابير، وكان لا يزمُر الحاذق من الزامرين إلاّ على الحاذق من المغنين، وإن أمره الملك بذلك راجعه واحتجّ عليه[2].

وفي العصر الأُموي حلّ الغناء محل الشعر، فكان معاوية ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومروان بن محمد لا يظهرون للندماء، بل كان بينهم حجاب، حتى لا يطلع الندماء على ما يفعله الخليفة إذا طرب[3].

وأمّا بقية الخلفاء من بني أُميّة فكانوا لا يتحاشون أن يتجرّدوا ويحظروا عُراة بحضرة الندماء[4].

---

(1) الأسوار: جمعها أساورة وهم الفرسان.

(2) كتاب التاج في أخلاق الملوك، ص112-113.

(3) المصدر نفسه، ص118.

(4) المصدر نفسه، ص118.

وقــد أغــرم العــرب في العصر الأموي بفني الغناء والموسيقا وذلك بسبب الأموال التي تدفقت عليهم بعد الفتوحات فانطلق العرب إلى حياة الترف، فتأنقوا في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم، وتطوروا بتطور الحضارة والترف[1].

يُنســب إلـــى يــزيد بن معاوية أنّهُ أول من أدخل الملاهي وترتب على ذلك ظهـــور السّمار والندماء والظرفاء، وبخاصة السميريات، وهنّ القيان البارعات في فنون الغواية من غناء ورقص[2].

دخــل الغــناء والموســيقى إلى الحجاز عن طريق المغنيات والجواري من الموالي[3]، ونتيجة لحياة الفراغ والترف فقد انصرف الناس إلى الاستماع إلى الغناء واقتــناء الجــواري والقــيان لمــلء فراغهم[4]، وقد لعب الغناء دوراً في المجتمع الحجازي، وكان للموالي والجواري والمغنيات الأثر الواضح في تطور فن الغناء في هذا المجتمع[5].

تطـــور فـــن الغناء في الشام كما هو الحال في الحجاز ويعود السبب في ذلك إلـــى اهتمام بعض الخلفاء الأمويّين به وخاصة يزيد بن عبدالملك وابنه الوليد، كما أن كثيراً من الجواري والمغنيّن ترددوا على الشام فأدّى ذلك إلى رقي فن الغناء في الشام[6].

وفي عهد الوليد الثاني كُلِّفَ الناس بالموسيقا والغناء وكانوا يسرفون في ذلك كل الإسراف، وينفقون ببذخ على المغنيّن المشهورين والموسيقيّن الذين كان الخليفة يدعوهــم إلـــى دمشـــق من أقاصي البلاد، وليس أدلّ على كلف الأمويّين بالمغنيّن

---

(1) تـــاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)، السيد عبدالعزيز سالم، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، ص689.

(2) تـــاريخ الحضـــارة الإســـلامية في العصور الوسطى، عبدالمنعم ماجد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1972، ص137.

(3) العصر الأموي أدبه وحضارته، ص69.

(4) تـــاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية)، ص689.

(5) العصر الأموي أدبه وحضارته، ص70.

(6) المرجع نفسه، ص72.

والإنفــاق علــيهم عن سعة ممّا ذكره الطبري، إذ قال: (حج يزيد بن عبدالملك في خلافــة ســليمان بن عبدالملك، فاشترى حبابة – وكان اسمها العالية– بأربعة آلاف ديــنار، فقال سليمان: هممت أن أحجر على يزيد فرد يزيد حُبابة فاشتراها رجل من أهــل مصر، فلما ولى يزيد الخلافة قالت له زوجته سعدة: يا أمير المؤمنين هل بقي فــي الدنــيا شيء تتمناه بعد؟ قال: نعم حبابة فأرسلت سعدة رجلاً فاشتراها بأربعة آلاف ديــنار، فأراحتها حتى ذهب عنها كلال السفر، ثم أتت بها يزيد فأجلَسَتْها من وراء الســتر وقالت: يا أمير المؤمنين! أبقي شيء من الدنيا تتمناه؟ قال: ألم تسأليني عــن هــذا مرة فاعلمتك فرفعت الستر، وقالت: هذه حبابة، فحظيت سعدة عند يزيد وأكرمها وحباها"[1]، وقد أثر تدفق طبقات المغنيّن المحترفين على دمشق في أخلاق الناس، وفي حياة المجتمع حتى دبّ الترف في الدولة.

ومــن فضل الخلفاء على المغنيّن أنّ سليمان بن عبد الملك لمّا حجّ سبّق بين المغنيّن بدرةً، أي كيس فيه أُلوفٌ من الدراهم فجاء ابن سريج وقد أُغلق البابُ، فلمّا يأذن له الحاجب، فأمسك حتّى سكتوا وغنّى:

يَسْري همّتى وهمُّ المرء بسري

فأمر سليمانُ بدفع البدرة إليه[2].

وكــان المغــنون كثــيراً ما يحصلون على جوائز وأُعطيات من الخلفاء، فقد أبطأت جائزة نُصيب عند عبدالعزيز بن مروان فقال[3]:

وإنّ وراءَ ظهــري يــا بنَ ليلى	أُناســاً يــنظرونَ مــتى أؤوبُ
أمامـــةُ مـــنهمُ ولِماُقيـــيها	غــداةَ البيــن في أثري غروبُ
تركــتُ بلادَهــا ونأيــتُ عــنها	فأشــبهُ مــا رأيــتُ بها السّلوب
فأتــبع بعضــنا بعضــاً فلســنا	نُثيــبُك لكــن اللهُ المُثيــبُ

فعجّل جائزته وسرحهُ.

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص23 سنة 105 هــ.

(2) الأغانـــي، أبـــو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين، تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1994م، ج1، ص253.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص268.

كـــان الناسُ في العصر الأُموي مولعين بالغناء حتى في مواسم الحج، فيذكر أن ابـــن سريج غنّى في الحج فأخذ الحاجُ يركب بعضهم بعضاً، حتّى جاء انسانٌ من آخـــر القُطرات فقال: يا هذا قد قطعت على الحاج وحبستهم، والوقتُ قد ضاق فاتق الله وقم عنهم، فقام وسار الناسُ[1].

ومـــن أشـــهر المُغَنيّن في هذا العصر "طُويس" مولى بني مخزوم، وكان لا يضـــرب بـــالعود، وإنما كان ينقر بالدف[2]، وكذلك أبو مروان الغريض الذي اشتهر بفن الغناء في هذا العصر، وقد أبدع في الغناء حتّى توهم الناس أنّه يتلقى غناءه عن الجن[3].

ارتقـــى فـــن الغـــناء في هذا العصر عن طريق الأسرى الذين حملوا معهم موسيقاهم وفنونهم الغنائية[4].

كـــان أكثر المُغَنيّن والقيان في هذا العصر من غير العرب[5]، استمع معاوية ذات لـــيلة على ما عند يزيد من الغناء فاعجبه فلما أصبح قال ليزيد: من كان ملهيك البارحة؟ فقال له يزيد: ذاك سائب خاثر، فقال معاوية: فاكثر له في العطاء[6].

ومـــن أشـــهر الآلات الموسيقية التي استعملها المغنون والموسيقيون في ذلك العصر: (الصنج)، والطنبور والطنطنة، والمزمار[7].

وكمـــا كـــان لخلفاء بني أميّة عاداتهم الخاصة بهم في الاستماع إلى المُغَنيّن والندماء، كان لهم أيضاً عاداتهم وطريقتهم بالنسبة للزي.

---

(1) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج1، ص253.

(2) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ص435.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص435.

(4) تـــاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأمويّة)، ص689.

(5) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ص436.

(6) العصر الأُموي أدبه وحضارته، ص73.

(7) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ص437.

فكـــان الحجّاج بن يوسف إذا وضع على رأسه قلنسوة طويلة عالية لم يتجرأ أحدٌ من الرعية أن يدخل إلى مجلسه وعلى رأسه مثلها.

وكذلـــك الحـــال بالنســـبة إلى عبدالملك بن مروان، الذي كان إذا لبس الخُفَّ الأصفر، لم يلبس أحدٌ من الرعية خُفاً أصفر حتى ينزعه.

وكـــان أبو أُحيحة؛ سعيد بن العاص إذا اعتمّ لم يعتمّ أحدٌ بعِمّةٍ ما دامت على رأسه[1].

اقتـــبس خلفـــاء الدولـــة الأُمويّة الطراز من دولتي الروم والفرس، وكان في قصـــور الخلفاء دور تسمى دور الطِّراز الخاصة تمييزاً لها عن دور الطراز العامة التي تتولى صناعة ثياب الرعية[2].

وكـــان مـــن فخامة السلطان وأبهة الملك أن ترسم أسماء الملوك أو علامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير أو الديباج أو الأبريسم[3].

وقد كان للخلفاء الأثر الواضح في تطوير صناعة الزي، ومن هؤلاء الخليفة سليمان بن عبدالملك الذي أدخل زي الوشي، وهي الثياب الحريرية المثقلة بالذهب، وأما هشام بن عبدالملك فقد أدخل زيّ الخز أي القماش الناعم[4].

كان الزّي الرسمي في بادئ الأمر بسيطاً ساذجاً ولكنه تطور تطوراً ملحوظاً فـــي العصـــر الأُمويّ وعلى يد الخلفاء أنفسهم، فدخلته الألوان والزخارف وأصبح يُصـــنَعُ مـــن الحريـــر المُذهّب، وتميَّزَ في كُلٍّ مناسبة، كذلك كثر عدده إلى حد أن الخليفة هشام بن عبد الملك حمل ملابسه الداخلية فقط على ستمائة جمل[5]. ولا شكَّ أنّ مـــثل هذه الروايات تحمل كثيراً من المبالغة ولكنّها تُعطي دِلالةً ما على صورة الترف والبذخ في قصور الخلفاء.

---

(1) كتاب التاج في أخلاق الملوك، ص133.

(2) تـــاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأُمويّة)، ص181.

(3) المرجع نفسه، ص686.

(4) تاريخ الحضارة الإسلامية (في العصور الوسطى)، ص114.

(5) المرجع نفسه، ص119.

شاع في عصر سليمان بن عبدالملك نوع من الترف والتأنق فيَ الزي بتوجيه من الخليفة، ونرى أن سليمان بن عبدالملك كان شديد الولع باللباس الموشى، لذلك فقد فرض على أهل بيته ورجاله وخدمه ارتداء هذا النوع من اللباس وكان هذا النسيج الموشى الذي تدخل في لُحمتهِ وسُداه خيوط من الذهب يُعرف أيضاً بالمقصَّب، وفي عهده لبس الناس جميعاً الموشى جباباً وأردية وسراويل وعمائم وقلانس[1].

وكان الملوك يختلفون في كيفية ارتداء الملابس؛ فمن الملوك من كان لا يلبس القميص إلاّ يوماً واحداً أو ساعةً واحدةً، فإذا نزعه لم يعد إلى لبسه، ومنهم من كان يلبس القميص والجُبّة أياماً، فإذا ذهب رونقه رمى به فلم يلبسه بعدُ[2].

كان معاوية وعبدالملك وسليمان بن عبدالعزيز وهشام ومروانُ بن محمد يلبسون القميص مراراً ويغسلون له غسلات[3]، فأمّا يزيد بن معاوية والوليد بن يزيد ابن الوليد كانوا لا يلبسون القميص إلاّ لبسة واحدةً، إلاّ أن يكون الثوب نادراً مُعجباً غريباً[4].

كان رداء سليمان بن عبدالملك إذا جلس أو ارتقى المنبر من الوشي[5]، وكان لباس الناس يتكون من قباء طويل مشقوق من الوسط ومتدلٍ إلى العقب ومربوط من الوسط بحزام من الجلد، أمّا لباس الرأس فهو العمامة، وكان حجمها يختلف تبعاً للسن والمركز العلمي، وكانوا يلقون الطيلسان فوق العمامة[6]، ولذلك فقد كانت الأردية تختلف وفقاً لثراء الناس ومركزهم الاجتماعي، فمن الطبيعي أن يختلف لباس الجند عن لباس العامة، وكذلك يختلف لباس الخاصة عن لباس الرعية.

---

(1) تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأمويّة)، ص687.

(2) كتاب التاج في أخلاق الملوك، ص226.

(3) المصدر نفسه، ص227.

(4) المصدر نفسه، ص227.

(5) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ص444.

(6) المرجع نفسه، ج1، ص243.

أمَّـا بالنسـبة إلى ثياب المرأة فكانت تتكون من سروال فضفاض وقميص مشقوق عند الرقبة عليه رداء قصير ضيق[1].

ونتـيجة لاختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى أن تعددت أصناف الطعام لديهم وتعددت ألوانها واستحدثوا فيها طرقاً غير طرقهم، ومن ألوان الطعام "القديد"، والشواء والبسيسة وغيرها من أصناف الطعام الأخرى[2].

وفـي عهـد الأمويّن استعمل العرب، والملاعق وكانت الملاعق تصنع من الخشـب[3]، وقد أهتم ولاة الأمويين بالطعام حتى أنّ أحد ولاتهم يرى أن مال ولايته – خرسان– لا يكفي لمطبخه[4].

وكـان لتناول الطعام بين أيدي الخلفاء آدابٌ معينة، فإذا وضع الطعام على المـائدة أمـام الخليفة فينبغي للجالسين معه على الطعام أن يتأدبوا في تناول الطعام وان يضـبطوا أنفسهم؛ وإن اشتهوا ذلك الطعام، ومن ذلك أنّ معاوية بن أبي سفيان حيـن وضع دجاجة بين يدي الحسن عليه السلام ففكّها، نظر إليه معاوية فقال: هل كان بينك وبينها عداوة؟ فقال له الحسن: هل كان بينك وبين أُمها قرابة[5]؟

فمعاويـة لم يقل ما قال لأنّه كان يعظُم عليه قدر الدجاجة بل غضب معاوية، لأنّ الحسن لم يضبط نفسه في تناول الطعام.

وكـان الخلفاء يعتبرون أنّ الأكل معهم من قبل العامة أو حتّى المقربين إليهم للشرف؛ لا للشبع فينبغي ألاّ يبسط الشخص في الطعام ويتناوله بِشرهٍ.

ونرى أنّ الخلفاء الأُمويّن أولوا الطعام عنايةً خاصةً، وكانوا يهتمون باختيار أصناف الطعام والتفنن في اختيار ألوانه.

فقد اشتهر سليمان بن عبدالملك بحبه للطعام وتفننه في اختيار ألوانه، وعُرف بـنهمه، فقـيل إنّ الطـباخ كـان يأتيه بالدجاجة فلا يصبر حتى تبرد فيأخذها بكمه

---

(1) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ص244.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص442.

(3) المرجع نفسه، ص442.

(4) تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص132.

(5) كتاب التاج في أخلاق الملوك، ص101.

فيفصلها عن السفافيد[1].

وكـــان معاوية بن أبي سفيان يكثر من الطعام حتّى قيل إنّه كان يأكل في كلّ يوم خمس أكلات[2].

وجـــد عـــند المســـلمين فـــي العصر الأُموي أنواعاً متعددة من التسلية منها الانغمـــاس فـــي الغناء والرقص الذي ابتدأ منذ عهد الأُمويين[3]، بالإضافة إلى ذلك ســـباق الخيل، ويُعدُّ هشام بن عبدالملك أوّل الخلفاء الأُمويين الذي أنشأ حلبة لسباق الخـــيل[4]. وقد شجع الخلفاء الأُمويُّون سباق الخيل وكذلك كان لهم الدور البارز في الاعتـــناء بالخـــيل واقتـــنائها، فقد كان الوليد بن يزيد مغرماً بالخيل، وكان له فرس يسمى السندي[5]، وقد اجتمع للوليد بن يزيد في الحلبة ألف قارح[6].

كـــان ســـباق الخيل أهمَّ أنواع التسلية في العصر الأموي، ولم يقتصر سباق الخـــيل علـــى طـــبقة الخلفـــاء والأمراء، وإنّما كان معروفاً على مستوى الطبقات جميعها[7].

وكـــان في العصر الأُموي مراتب للخيل في الحلبة، فالخيل إذا جرت فأولها الســـابق، ثـــمّ المصلّى، ثمّ الثالث والرابع وكذلك إلى التاسع، والعاشر السُكَيت، وما جاء بعد ذلك لم يعتد به، والفسكل الذي يجيء في الحلبة آخر الخيل[8].

وبالإضـــافة إلـــى اهتمام الأُمويين بسباق الخيل فقد شغلوا بالصيد ولم يكن الصـــيد فـــي ذلـــك العصر للتسلية فحسب وإنّما كان له أهدافٌ أخرى منها تمرين

---

(1) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ص442.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص442.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص434.

(4) المرجع نفسه، ج1، ص447.

(5) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص230.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص231.

(7) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ص 434.

(8) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص230.

العساكر على الركض والكر وتعويدهم الفروسية[1].

وكان يزيد بن معاوية من أكثر الأمويين حباً للصيد وكان يُلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب، ويخصص لكلّ كلب عبداً يقوم على خدمته[2].

(1) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ص446.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص 447.

الفصل الثالث

دراسة موضوعية للشعر

1.3 الرثـــاء:

يأتي الرثاء في المرتبة الأولى من حيث الكم بين الأغراض الشعرية المختلفة في تاريخ الطبري، وانقسمت قصائده ومقطوعاته إلى عدة أقسام: رثاء الخلفاء، رثاء آل البيت، رثاء الولاة والقادة ورثاء أصحاب المذاهب.

أ- رثاء الخلفاء:

كانت قصائد الرثاء تتصل بروح الشعب، وتدور على الألسنة وخاصةً عندما يُفجــع الشعب في خليفة أو بطل من أبطاله، وممّن رُثي من الخلفاء الأمويّين معاوية ابـــن أبـــي سُــفيان، فعندما مات خرج الضحاك بن قيس حتّى صعد المنبر، وأكفان معاويـــة علـــى يديه تلوح فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ معاوية كان عود العرب وجد العرب، قطع الله عزّ وجلّ به الفتنة، وملكّهُ على العباد، وفتح به البلاد، ألا إنّهُ قد مات فهذه أكفانهُ، فنحنُ مُدرجوه فيها، ومدخلوه قبره، ومخلّون بينهُ وبين عمله، ثمّ هـــو الـــبرزخ إلى يوم القيامة، فمن كان منكم يُريد أن يَشْهَدَهُ، فليحضُر عند الأولى، فقـــال يزيد بن أبي سفيان ينقل خبر وفاة معاوية بن أبي سُفيان وبموته كأنّ الأرض تميد، أو كادت تميد فالمصيبة عظيمة، والفقيد كان خليفةً عظيماً، أرسى أساس الدولة الأمويّـــة بحلمـــه وحكمته، وبكاءُ زوجته رَمْلَة جعل قلوب الناس تنفطر حزناً وأسفاً على الفقيد يزيد بن أبي سفيان[1].

جـــاء الـــبريدُ بقـــرطاس يَخُبُّ به ... فـــأوجَسَ القلـــبُ مـــن قرطاسه فَزَعا

قلـــنا: لـــك الويلُ ماذا في كتابكم؟ ... قـــالوا: الخلـــيفةُ أمســـى مُثْبَـــتاً وَجِعا

فمـــادت الأرضُ أوكادت تميدُ بنا ... كـــأنّ أغـــبرَ مـــن أركانهـــا انقطعـــا

من لا تَزَلْ نَفْسُهُ تُوفى على شَرَفٍ ... تُوشِـــكْ مقالـــيدُ تلـــك النفس أن تقعا

لمّـــا انتهيـــنا وبابُ الدار مُنصفِقٌ ... وصـــوتُ رملةَ، رِيعَ القلبُ فانصدعا

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص328.

وعــندما توفـــي الوليد بن عبدالملك رثاهُ جرير بدموعٍ غزيرة وهو يستمطر عينـــيه أن تجـــودا عليه بالدمع حزناً على الخليفة، وما كان لهُ أن يدَّخر دموعهُ بعد الـــيوم، ولِمـــنْ يدّخرها، وهل هناك أفضل من الخليفة كي يرثيه؟ وهل هناك مَن هو أولـــى بالحـــزن وبالدموع منه؟ ويتعجب جرير من هذه الأقدار النازلة والتي أودت بالخلـــيفة، وأصبحت شمائله الحسنة، وأخلاقه الفاضلة تحت الصفائح والتراب، لكنها المنايا والأقدار إذا جاءت فلا يستطيع أحدٌ أن يردها أو أن يدفعها، يقول جرير[1]:

يا عينُ جودي بدمعٍ هَاجَهُ الذِّكَرُ فمـــا لدمعـــكِ بَعْـــد اليوم مُدّخرُ
إنَّ الخلـــيفةَ قـــد وَارَتْ شَـــمَائِلَهُ غـــبراءُ مُلحـــدةٌ في جُولِهَا زَوَرُ
أضـــحى بنوهُ وقد جَلَّت مُصيبتهُمُ مِثْلَ النّجوم هَوَى من بينِها القمرُ
كـــانوا جمـــيعاً فلـــم يدفع مَنيّتَهُ عـــبْدُ العزيزِ ولا روحٌ ولا عمرُ

وعـــندما رثى عويف القوافي عمر بن عبدالعزيز، وكأنّهُ يستحضر الصورة التـــي طـــبعها الخليفة المرثي في أذهان النّاس من العدل والرحمة حتّى أعاد سيرة الراشـــدين، فيخاطب الشاعر الخليفة، وكأنّهُ حيٌّ أمامه أن يُجيبهُ، إن كان رأى النبيَّ محمداً صلى الله عليه وسلم في الدار الآخرة وفي جنّات النعيم لأنّه واثق أنّ الخليفة من الصالحين والأتقياء الأبرار، ولذا سيكون على ثقة من لقاء ربه لأنّهُ ساس الناس بالعدل والرحمة وكانت يداهُ تفيضان جوداً وكرماً، يقول في رثائه[2]:

أجبنـــي أبـــا حفصٍ لقيتَ مُحمَّداً علـــى حَوْضِهِ مُستَبْشراً ورآكَا.؟
فأنـــت امـــرُؤٌ كِلـــتا يديك مُفيدةٌ شـــمالكَ خـــيرٌ من يمين سِوَاكَا

ويبدو أنَّ المغنيات في العصر الأُمويّ قد شاركنَ في الرثاء وأحسنَّ بعملية الفقـــد، فهـــذه ســـلاّمة القـــس تعبر عن حزنها وتوجعها وتفجعها على فقد يزيد بن عبدالملك الذي كان بارّاً بها وبالرعية، وبموته فقدت ليالي الأُنس، ولحظات البهجة، وأيام الصفاء التي كانت تظهر في مجالسه، تقول[3]:

لا تلُمْـــــــنا إن خَشَـــــعْنا أو هَمَمْـــــــنا بالخشـــــــوعِ

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص497.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص566.

(3) المصدر نفسه، ج7، ص23.

قـــد لَعَمْـــري بـــتُ ليلـــي كـــأخى الـــدّاء الوجـــيعِ

ثـــمّ بـــاتَ الهـــمُ مـــنّى دونَ مَـــن لـــى مـــن ضـــجيعِ

للـــذي جـــلَّ بـــنا الـــيو مَ مـــن الأمـــر الفظـــيعِ

كلّمـــا أبصَـــرتُ رَبْعـــاً خالـــياً فاضَـــتْ دُمُوعـــى

قـــد خـــلا مـــن ســـيّدٍ كـــا نَ لـــنا غـــيرَ مُضـــيعِ

ب- رثاء آل البيت:

وكمـــا كان للأمويين أنصار من الشعراء يمدحونهم ويرثونهم كذلك كان لآل البيـــت شعراء يمدحونهم ويرثونهم بحرارة وذلك نتيجة لما تعرض له آل البيت من قهر واضطهاد على يد خصومهم، وما فرض عليهم من صراع مع هؤلاء الخصوم، دفعاً للظلم عنهم، أو سعياً وراء استرداد حقوقهم(1).

فعـــندما قُتل الحسين بن علي وحزّ رأسه، بعثوا به إلى يزيد بن معاوية، فردّ يـــزيد بـــن معاوية النساء والأطفال من آل البيت اللائى كنّ في صحبة الحسين من الشـــام إلـــى المدينة، خرجت عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب في نساء من بني هاشم وهي تقول(2):

مـــاذا تقولـــون إن قـــال النبيُّ لكمْ مـــاذا فَعلْـــتُمْ وأنـــتُمْ آخـــرُ الأُممِ

بعترتـــي وبأهلـــي بعْـــدَ مُفْـــتَقَدى مـــنهم أسارى وقتلى ضُرّجوا بدمِ

ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم أن تخلفونى بسوءٍ في ذوي رحمي

فهذا تفجع أليم، يهز القلوب، ويفجر الدموع فمقتل الحسين على هذه الصورة جريمة بشعة زلزلت مشاعر المسلمين، وجرّحت عواطف الحب والوفاء لرسول الله علـــيه الســـلام فـــي أبـــنائه لدى الأمة، فأخذت الشاعرة تسوق مشاعرها من خلال الغضب والتقريع لبني أميّة.

ويـــثور شـــاعرٌ آخر بموجة عارمة من الغضب الشديد على قتل الحسين من قـــبل الأمويين تدفعه نفسه الثائرة إلى ان يستمطر اللعنات على قتلة الحسين من أهل

---

(1) اتجاهـــات الشعر في العصر الأموي، صلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط1، 1986، ص106.

(2) تاريخ الطبري، ج5، ص390.

السماء والأرض جميعاً من ملائكة وأنبياء، وكُلّ قبيلٍ من الناس، ويسجل عليهم اللعنة والحرمان من الله في كُلّ الكتب المقدسة السابقة من زبور داود، وتوراة موسى وإنجيل عيسى، فيبشرهم بغضب الله والعذاب الشديد، والتنكيل المروّع[1]:

أيُّها القاتلون جَهْلاً حُسَيناً ... أبشروا بالعذاب والتّنكيل

كلُّ أهل السماءِ يدعو عليكمْ ... من نبيٍّ ومَلأكٍ وقبيل

قد لعُنتمْ على لسان ابن داود ... وموسى وحامل الإنجيل

وفي رثاء مسكين بن عامر بن أنيف نرى موجة عارمة من الحزن والألم لمقتل الحسين بن علي ونرى في شعره ثورة غاضبة، وفيه تحسُّر وندم ونرى أن الشاعر يتمنّى لو أنّهم ماتوا قبل أن يروا ذلك اليوم الذي قُتل فيه الحسين.

وأكثر رثاء الشيعة للحسين يعبّر عن الغضب الثائر العنيف لأنّ مقتل الحسين على تلك الصورة جريمة بشعة[2]، فهذا مسكين بن عامر يتولول على قتل الحسين ويفزع لقتله على تلك الصورة فيقول[3]:

ليتنا قبلَ ذلك اليوم مِتْنَا ... أو فعلْنا ما تفعلُ الأحرارُ

فعلَ قوم تقاذف الخيرُ عنهمْ ... لم نُقاتلْ وقاتَلَ العيزارُ

وتولّيتُ عنهُمُ وأُصيبوا ... وَنَفاني عنهمْ شَنارٌ وعارُ

لَهْفَ نفسِي على شِهَابِ قُرَيشٍ ... يومَ يُؤتى برأسه المختارُ

ونرى أن الحزن والألم يعتصر قلوب الشعراء لموت الحسين بن علي، ومن هؤلاء المتوكّلُ الليثى حيث يمزج في رثائه بين الحزن والسخط والثورة والتهديد فيقول[4]:

قتلوا حُسيناً ثم همْ ينعونَه ... إنّ الزمانَ بأهله أطوارُ

ما شُرْطَة الدّجّالِ تحتَ لِوائه ... بأضلَّ ممّن غرّهُ المختارُ

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص467.

(2) اتجاهات الشعر في العصر الأموي، صلاح الدين الهادي، ص110.

(3) تاريخ الطبري، ج6، ص70.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص70 وما بعدها.

إنّــي لأرجــو أن يُكذّبَ وحَيْكمْ	طعــنٌ يشــقُ عصاكُمْ وحِصارُ
ويجيــئكم قــومٌ كــأنّ سُــيُوفَهُمْ	بــأكفّهِمْ تحــتَ العجاجــة نــارُ
لا ينثــنونَ إذا هُــمُ لاقوكُــمُ	إلاّ وَهَــامُ كُمــاتِكم أعشــارُ

المــتوكّلُ الليثى شاعرٌ مُجيد قوي العبارة حسن الأسلوب يُعبر عن معناه في غــير تكلــف او مشقة، فالحديث عن الحسين وأصحابه حديث رقيق، والحديث عن الوعيد والتهديد فيه عنف وقسوة وإرهاب[1].

ويــرى المتوكّلُ الليثىّ أنّ المختار ومن معه يدعون أنفسهم أنّهم خرجوا من أجــل الثأر للحسين فإنّ هذه مهزلة، لأنّهم هم أنفسهم الذين كانوا سبباً في مصرعه، بــل هــم الذيــن قتلوه، ثم يقومون في جنازته يبكون، فليأتينّهم قوم شجعان يفلقون رؤوسهم بسيوفهم.

ويضــيقُ ابــنُ الحر بحياته في الكوفة بين أولئك المنافقين من أهلها فيخرج منها، مخلفاً وراءه ابن زياد ودولته، فيتوجه إلى كربلاء ينظر إلى مصارع القوم[2]، ويســتغفر لهم هو وأصحابه فهو لا يتورع عن أن يصف ابن زياد بأنّهُ أميرٌ غادر، وأنّهُ قتل الحسين وأنصاره ظُلماً، ويُعلن أنه لن يعطيه طاعة، وأنّهُ يفكر في أن يسير لحــربهم، ثــمّ يهددهــم ويتوعدهم، ويتحدث عن الحسين وأصحابه، فيصرح بندمه وحسرته على عدم نصرته.

ثــمّ يــتحدث عــن شجاعتهم وصبرهم في القتال، ونصرهم لابن بنت النبي، ويذكر أن كُلّ المسلمين المخلصين محزونون عليهم، فقال[3]:

يقــولُ أمــيرٌ غــادرٌ حــقّ غــادرٍ	ألا كُنــتَ قاتَلْــتَ الشــهيد ابنَ فاطمةْ
فــيا ندمــي ألاّ أكــونَ نصــرتُهُ	ألا كــلُّ نفــس لا تُســدّد نادمــةْ
وإنّــي لأنّــى لــم أكــن من حُماتِهِ	لــذو حســرةٍ مــا إن تفــارق لازمةْ
ســقى الله أرواحَ الذيــن تــأزّروا	علــى نصــرهِ سُــقيا من الغيث دائمةْ
وقفــتُ علــى أجداثِهــمْ ومجــالِهمْ	فكــاد الحشــا يــنفضّ والعين ساجمةْ

---

(1) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص405.

(2) تاريخ الطبري، ج5، ص469 وما بعدها.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص470.

لَعمْرى لقد كانوا مصاليت في الوغى   سِــراعاً إلـــى الهيجا حُماةً خضارمهْ
تآســوا علـــى نصـــر ابن بنت نبيّهم   بأســـيافهم آســـاد غـــيلٍ ضــــراغمهْ
أتقـــتلهمْ ظُلمـــاً وتـــرجو ودادنـــا   فـــدع خُطّـــةً ليســـت لـــنا بملائمـــهْ
فكفـــوا وإلاّ ذُدتُكـــم فـــي كتائـــبٍ   أشَـــدَّ علـــيكم مـــن زُحُـــوف الديالمهِ

جــ- رثاء الولاة والقادة:

وكمـــا قـــام الشعراء برثاء الخلفاء وآل البيت قاموا برثاء الولاة على الأقاليم ورثـــوا كذلـــك القادة، ومن هؤلاء الولاة زياد بن أبيه فعندما حضرته الوفاة قال له ابـــنه: يا أبتِ قد هيّأتُ لك ستين ثوباً أكفنك فيها، قال: يا بنيّ، قد دنا من أبيك لباسٌ خـــيرٌ مـــن لباســـه هذا أو سلبٌ سريع، فمات فدُفن بالثويّة إلى جانب الكوفة، فقال مسكين بن عامر شُريح يرثيه[1]:

رأيــتُ زيـــادةَ الإســـلام ولّــت   جِهـــاراً حيـــنَ ودّعـــنا زيـــادُ

ونجـــد أن الحزن والألم يعتصران قلب الجَعْدِ بن قيس الذي يطلب من عاذله أن لا يلومـــه إذا زالت نعمته بعد موت زياد بن أبيه، فقد ذهب الكريم السخي الذي يجود بعطائه على الجميع فيقول[2]:

أبـــقِ علـــيّ عـــاذلى مـــن اللّومْ   فـــيما أزيلـــت نعمتي قبلَ اليومْ
قـــد ذَهَـــبَ الكريمُ والظّلُّ الدّومْ   والـــنّعمُ المؤثـــلُ الدّثـــرُ الحومْ

وعندما قُتل محمد بن الأشعث في حربه مع الحجاج رثاه أعشى همدان الذي كـــان ضد الحكم الأُموي وكان لا يرضى عن ولاة بنى أُمية، ويراهم ظالمين للرعية يســـومونها العـــذاب[3]، فقـــال أعشى يرثيه بحسرة وألم فحتى البلاد والأشجار بكته وحزنت عليه فقال[4]:

تـــأوّبَ عَيْـــنَكَ عُوّارهـــا   وَعَـــادَ لنفســـكَ تَذكارُهَـــا
وإحـــدى ليالـــيكَ راجَعْـــتَها   أرِقْـــتَ ولـــوّم سُـــمّارُها

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص290.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص297.

(3) العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط7، ص334.

(4) تاريخ الطبري، ج6، ص101.

ومـــا ذاقــت العيــنُ طَعْمَ الرُّقادِ   دِ حــــتّى تـــبلّج إســـــفارُها
علـــيك مُحمّــــدُ لمّـــا ثويـــت   تُبكـــــي الـــبلادُ وأشـــجارُها

وعـــندما بعـــث مصـــعب بن الزبير أبا بكر بن مخنَفَ على إستان العال، قدمت الخـــوارج المدائن فسرّحوا إليه عصابة منهم، عليها صالح بن مِخْراق فنزل أبو بكر لقـــتالهم فقُتل، فقال سُراقة بن مرداس البارقيّ يرثى أبا بكر بن مخنف مخاطباً قومه ويذكّرهم بمدى الهموم التي حلّت بهم بهذا الحدث بمقتل كريم صادق، فبموته غوّرت الـــنجوم، ثـــم يخاطـــب المرثي وكأنّه يستحضر صورته أمامهُ ويتمنى أن يتلقاه الله برحمته وأن يصلي عليه الله تعالى، ثم يعود إلى مخاطبة المرثي ويقول له: لو جئت إلينا في بيوتنا فسوف تسمع العويل والنّواح عليك فأنت صبور وقت الحرب من أجل ذلك أصبحت حزيناً، وشاب شعري(1):

ألا يالقومـــي للهمُـــوم الطّـــوارقِ   وللحَدَث الجانى بإحدى الصَّفائقِ
ومَقْـــتَل غِطـــريفٍ كـــريمٍ نجارُهُ   مـــن المُقْدمين الذّائدين الأصادقِ
أتانى دُوَيْن الخَيْف قَتلُ ابنَ مِخنَف   وقد غوّرَتْ أولى النُّجوم الخَوافِقِ
فقلـــتُ: تلقّـــاك الإلـــهُ بـــرحمة   وصـــلّى عليكَ الله ربُّ المشارقِ
لحـــا الله قومـــاً عَرّدوُا عَنك بُكرةً   ولـــم يَصبرُوا للاّمِعاتِ البَوارقِ
تولّوْا فأجْلَوْا بالضُّحى عن زَعيمِنا   وَســـيّدنا فـــي المأزِقِ المُتضايِقِ
فأنـــتَ مـــتى مـــا جئتنا في بُيوتنا   ســـمِعْتَ عَويلاً مِنْ عوانٍ وعاتقِ
يُبكّيـــن محمـــودَ الضّـــريبة ماجداً   صبوراً لدى الهيجاء عند الحقائق
لقـــد أصـــبَحتْ نَفْسِي لذاك حزينةً   وشـــابتْ لِمَا حمّلتُ منه مفارقى

وعـــندما وصـــل خـــبر مـــوت الحجاج الثقفيّ إلى قُتيبة بن مُسلم سنة خمس وســـبعين حزن لموته، فلا حياة بعد موته ويقول إنّ الحياة بعد موتهِ لا معنى لها ولا قيمة(2):

لعمرى لنعمَ المرءُ من آلِ جَعفرِ   بحـــورانَ أمســـى أعلقـــتهُ الحبائلُ
فإن تَحْىَ لا أملَلْ حياتي وإن تمُت   فمـــا فـــي حـــياة بعـــد موتك طائلُ

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص122 وما بعدها.
(2) المصدر نفسه، ج6، ص492.

وتوفي هبيرة بن مُشمرج الكلابي فرثاه سوادة بن عبدالله السلوليّ الذي يبكي فـيه حُسـنَهُ وفصاحتهُ وإنسانيته وشجاعته، ويستسقي لقبره، ويُبيّنُ عظم البلّية فيه، بحيـث تألمَـتْ لوفاتـه كـلُّ النّساءِ الفقيرات اللاتي كان يشملهُنّ بعطفه وبرّه في الضَـائقات، وبحيث شاركت في الحُزن عليه الخيولُ التي كان يركبُها، ويغزو بها، والـرّماحُ التـي كان يستخدمها ويُطاعنُ فيها، فإذا هي تسكُبُ الدُّموع حسرةً لِفراقهِ وإجلالاً لذكراه، قال سوادة[1]:

لله قـبرُ هُبـيرةَ بـن مُشـمرَجِ ... مـاذا تَضَـمّنَ من ندىً وجَمَالِ
وبديهـةٍ بَعـيَابها أبنـاؤُها ... عـند احـتفال مشـاهدِ الأقوالِ
كـان الربيعَ إذا السّنون تتابعت ... والليـثَ عـندَ تكعكـعِ الأبطالِ
فَسَـقَتْ بقـربةَ حيثُ أمسى قبرهُ ... غُـرٌّ يَرُحـنَ بمسـبلٍ هطّـالِ
بكـتْ الجـيادُ الصـافناتُ لفقده ... وبكـاه كـلُّ مُـثّقفٍ عسّـالِ
وبكـتهُ شُـعثٌ لم يجدن مُواسياً ... في العام ذي السّنوات والإمحالِ

وفـي سنة إحدى وسبعين توجّه عبدالملك بن مروان إلى العراق لأخذ البيعة لنفسـه فـرفض مصعب بن الزبير مبايعته فنشب بينهما حربٌ انتهت بمقتل مصعب علـى يـد زائدة بن قدامة[2]، فقال ابنُ قيس الرُقيات يرثيه بألم وجزع لموته، ويلوم بعض القبائل التي لم تقف في وجه ربيعة، ويوبخ بكراً، ويؤنب تميماً، ويرمى مضر باللؤم، ويصب غضبه على أهل المصرين الكوفة والبصرة بعامة.

وروح العصبية القبلية تُطلُ من هذا الرثاء وكأنّهُ رثاء قبلي وهذا ليس بغريب مـن ابـن قيس الرقيات، فالقبيلة باعثه الأساسي في شعره الذي يناصر آل الزبير، ويؤيد دولتهم، لأنّهُ في الحقيقة انتصار لقريش، وتأييد لحقها في استرداد عزها[3].

فقال ابن قيس الرقيات[4]:

لقـد أورث المصريّن خِزْياً وذلةً ... قتـيلٌ بديـر الجاثلـيق مُقـيمُ

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص503.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص151 – 159.

(3) اتجاهات الشعر في العصر الأُموي، صلاح الدين الهادي، ص226.

(4) تاريخ الطبري، ج6، ص161 وما بعدها.

فمـــا نصـــحتْ لله بكرُ بنُ وائلٍ ... ولا صَـــبرتْ عـــند اللّقـــاءِ تميمُ

ولـــو كـــان بكريّاً تعطّف حَوْلَهُ ... كتائـــبُ يغلَـــى حَمْـــيُها وَيُـــدومُ

ولكـــنّهُ ضـــاع الذّمـــامُ ولم يكن ... بهـــا مُضـــريُّ يـــومَ ذاك كريمُ

جـــزى الله كوفـــيّاً هناك ملامةً ... وبصـــــريّهم إنّ المُلـــيمَ مُلـــيمُ

كـــان نهـــار بـــن توسعة مُتشبثاً بمحالفة الأزد، حريصاً على التعاون معهم، مُخلصـــاً فـــي مســـاندتهم على خصومهم، وكان يُحبّذ أن يكون الوالي منهم على أن يكون من غيرهم[1]، فعندما توفي المهلب بن أبي صُفرة سنة اثنين وثمانين رثاهُ نهار ابـــن توسعة التميمي فقد تعطّلت الغارات بوفاته، وهو الذي أفنى عمره في الإغارة حـــتى فتح الفتوحات الكثيرة، وحاز الانتصارات الكبيرة، وحتى احتلّ المدن الجبلية، والـــبلدان السّـــهلية، بطوائف الأفراس التي كان يُفرّقها في النواحي المختلفة، فتندفع بفرســـانها لا تخـــاف الطّعن، بل تتقدم نحو الأعداء، وترجع سالمة، وآثارُ الدّماء لا تـــزال تُصـــبغُ هواريها وأجسادها، وانتهى الكرم بانطوائه، لقد أفِل من سماء العرب نجـــم ســـاطعٌ كان يُضيءُ لهم على تعدُّد أحيائهم، فقد كان ملاذ الأزد، وحلفائهم من بكر وتغلب، فقال نهار يرثيه[2]:

ألا ذهـــبَ الغـــزْو المقرّبُ للغنَى ... ومات النّدى والجودُ بعد المهلَّبِ

أقاما بمروَ الرُّوذِ رَهْنَى ضريحِهِ ... وقد غُيّبا عن كلّ شرقٍ ومغربِ

إذا قـــيلَ أيُّ الـــناس أولى بنعمةٍ ... علـــى الـــناس؟ قلناه ولم نَتَهيّبِ

أبـــاح لـــنا سَـــهلَ البلادِ وَحَزْنَها ... بخـــيلٍ كأرسال القَطَا المُتَسرّبِ

يُعرّضُـــها للطَّعـــنِ حـــتّى كأنما ... يُجلِّلُهـــا بـــالأرجوان المُخضّبِ

تُطـــيفُ به قَحطانُ قد عُصبّتْ به ... وأحلافُهـــا مـــن حيّ بكرٍ وتغلبِ

وحـــيّا معـــدٌّ عُـــوّذٌ بِلوائـــه ... يُفدُّونـــه بالـــنفس والأمّ والأبِ

سطع نجم ثابت قطنة في ولاية يزيد بن المهلب على خراسان وساهم مع ابن المهلب في مناهضته للجيش الأُمويّ الذي قاده مسلمة بن عبدالملك، وقمع به المهالبة

---

(1) الشـــعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأُموي، حسين عطوان، دار الجيل– بيروت، ط2، 1989 ص266.

(2) تاريخ الطبري، ج6، ص355.

ومن التفّ حولهم[1]، وعندما لحق يزيد بن المهلب بالبصرة حبس عاملها عدي بن أرطأة الفزاري، وخلع يزيد بن عبدالملك، ثمَّ أرسل يزيد بن عبدالملك أخاه مسلمة في جيش من أهل الشام لمحق الخارجين على طاعته، فاستعاد البصرة، واستمرَّ مسلمة يطارد ابن المهلب حتى قتله، ومزّق جنوده تمزيقاً. فقال ثابت قطنة يرثي يزيد بن المهلب وقد خابت كل الآمال التي عقدها على الثورة، والتي كان يرجو أن تُتوّج بفوز ابن المهلب بالخلافة، فتحول يرثيه ويرثي الهالكين من أسرته، فيصف مواجعه وآلامه الممضة لفقده، ويتوعد بني أُميّة بأنّهم لن يفلتوا من القصاص ويعلن غضبه على القبائل اليمنية التي ناصرتهم، يقول[2]:

ألا يا هند طالَ عليّ ليلي ... وعاد قصيرُهُ ليلا تماما
كأنّي حين حلّقتِ الثّريّا ... سُقيتُ لُعابَ أسودَ أو سَمامَا
أمرَّ عليَّ حُلوَ العيش يَومٌ ... من الأيام شيّبني غلاما
مُصابُ بنى أبيكِ وغِبتُ عنهُمْ ... فلم أشْهَدْهُمُ ومضَوا كراما
فلا والله لا أنسَى يزيداً ... ولا القَتلى التي قُتلت حَراما
فَعَلّي أن أَبُو بأخيك يوماً ... يزيداً أو أبوءَ به هِشَاما
وعلّى أن أقودَ الخيل شُعثاً ... شَوازبَ ضُمّراً تقصُ الإكاما
فأصبِحَهنَّ حِمْيَرَ من قريب ... وعكّاً أو أرُعْ بهما جُذاما
ونسقى مَذْحجاً والحيّ كلباً ... من الذَّ يفان أنفاساً قَواما
عشائرنا التي تبغى علينا ... تَجُرِّبُنا زَكَا عاماً فعاما
ولولاهمْ وما جَلَبُوا علينا ... لأصبحَ وسْطَنَا ملِكاً هُماما

فالشاعر يصف تبدُّل حاله، وما يُقاسي من المواجد ويعترف بأنّهُ كان غائباً عن مسرح الأحداث ويُنذرُ بنى أُميّة ومن ساندهم من العشائر اليمنية والشامية التي ساعدتهم، والتي دمّروا بها المهالبة، فقد كان ينتظر منها أن تتخلى عن بنى أُميّة، وتُبايع المهالبة.

---

(1) الشعر في خراسان، حسين عطوان، ص220.

(2) تاريخ الطبري، جـ6، ص603.

وفـــي مرثية ثانية يبكي ابن المهلب، ويُعلن أنّ مما يُضاعف توجُّعه بعده عن مـــيدان المعـــركة التـــي دارت بيـــنه وبين مسلمة بن عبدالملك، ويوعد مسلمة بأنه ســـيتربص بـــه حـــتى يغتاله ويفتخر بالأزد، أصحاب العقول الراجحة، والشجاعة الخارقـــة الحامية للجار، المطعمين الضيف خيار إبلهم في الجدب، ويتمدّح بمجدهم التّليد في الجاهلية مُمثَّلاً في دولة الغساسنة العزيزة القوية، يقول[1]:

أُصـــيبَ ولـــم أشهد ولو كنتُ شاهداً تســـلّيتُ إن لـــم يجمـــع الحُـــيّ مأتَمـــا

وفـــي غِـــيَرِ الأيّـــام يا هندُ فاعلمي لطالـــــبِ وِتـــــرِ نظـــــرةٌ إن تلوَّمَـــــا

فعلّـــيَ إن مالـــت بـــيَ الريح مَيْلةً علـــى ابـــن أبـــي ذِبّـــانَ أن يتـــندّما

أمَسْـــلمَ إن يَقْـــدِرْ علـــيك رِماحُـــنا نُذِقْـــكَ بهـــا قَـــيْءَ الأســـاودِ مُســـلَمَا

وإن تلـــقَ للعـــباس في الدهر عثرةً نُكافِـــئه بالـــيوم الـــذي كـــان قدّمـــا

قصاصاً ولا نَعدُو الذي كان قد أتى إليـــنا وإن كـــان ابـــن مـــروانَ أظلَمَا

وإنّـــا لعطّـــافُون بـــالحلم بعـــدَ مَا نَـــرَى الجهـــلَ مـــن فرطِ اللئيم تكرُما

نـــرى أن للجـــيران حاجـــاً وحُرمَةً إذا الـــنّاسُ لم يَرْعَوْا لدى الجارِ مَحرما

وإنـــا لَنقري الضيف من قَمعِ الذُّرى إذا كـــانَ رفـــدُ الرافديـــن تَجَسُّـــمَا

وراحـــت بصُـــرّادٍ مُلـــثٍّ جلـــيدهُ علـــى الطلـــحِ أرماكاً من الشهب صُيَّما

وقـــد كـــان فـــي غَسَّـــانَ مجدٌ يَعدّهُ وعاديّـــةٌ كانـــت مـــن المجـــدِ مُعظمـــا

وعـــزلَ هشـــامُ عبدَالملك الجُنيد بنَ عبدالرحمن المُرّي عن خراسان لتزوجه بنـــت يزيد بن المهلب فغضب عليه هشام بسبب العداء الذي كان بين الأسرة المالكة وبين المهلب، وولى بدلاً منه على خراسان عاصم بن عبدالله فمرض الجُنيد في تلك الســـنة فمـــات، فنعاه أبو الجويرية عيسى بن عصمة العبديُّ، فصوّر حُزنهُ وتفجُّعهُ عليه، ورفع صوته بالدعاء له، ويقول لقد مات الجود والكرم بموت الجُنيد[2]:

هلـــكَ الجُـــودُ والجنـــيدُ جمـــيعاً فعلـــى الجـــود والجُنـــيد السّلامُ

أصـــبحا ثاوِيَيْن في أرض مروٍ مـــا تغنّت على الغُصون الحمامُ

كُنـــتُمَا نُـــزْهَةَ الكـــرامِ فلمـــا مِـــتّ مـــاتَ النّدى وماتَ الكِرامُ

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص604 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص94.

ورثـــى ابـــنُ عُـــرس العبديّ أسدَ بن عبدالله القسري، فالشاعر وإن استسلم للقضـــاء، وأذعن للقدر، فإنّهُ عاجز عن التجلُّد على الفجيعة بأسدٍ، ويعول في البكاء عليه، بل على خِصاله النبيلة من الإباء والمضاء والجود، فقال[1]:

نَعَـــى أســـدَ بـــن عـــبدالله ناعٍ ... فَـــريعَ القلـــبُ للملِـــكِ المُطـــاعِ
بـــبلَخٍ وافـــقَ المِقـــدارُ يُســـرى ... ومـــا لقضـــاءِ ربّـــك مِنْ دَفاعِ
فجـــودى عيـــنُ بالعَـــبَرات سَحّاً ... ألـــم يُحـــزنكِ تفـــريقُ الجمـــاعِ
أتـــاهُ حِمامُـــهُ فـــي جوفِ صِيغٍ ... وكـــم بالصـــيغِ من بطلٍ شُجاعِ
كتائـــب قـــد يُجيـــبونَ المـــنادي ... علـــى جُـــرْدٍ مُســـوّمةٍ ســـراعِ
سُـــقيتَ الغيـــثَ إنّـــكَ كنتَ غيثاً ... مَـــريعاً عـــند مُـــرتاد الـــنّجاعِ

وكـــان ســـليمان بـــن قـــتّة مولـــى بنى تميم بن مرة القرشيين، صديقاً لأسد القسري[2]، فرثاه رثاءً حاراً تحرّق فيه عليه واستسقى لقبره، وأشاد به، فقد كان أسدٌ فـــي رأيـــه حامياً لحقيقتهم، قائماً بأمورهم، حاملاً لهمومهم، ساعياً لانتزاع حقوقهم، آخذاً بثاراتهم، وكان فارسهم المشهور، يقول[3]:

ســـقى اللهُ بلخـــاً، سَهْلَ بلخٍ وحَزْنَها ... وَمَـــرْوَىْ خُراســـانَ السَّحابُ المُحجّما
ومابـــي لتُســـقاهُ ولكـــنَّ حُفـــرةً ... بهـــا غيّـــبوا شِـــلواً كـــريماً وأعظُما
مُـــراجِمَ أقـــوامٍ وَمُـــردِى عظـــيمةٍ ... وطَـــلاّبَ أوتـــارٍ عِفَـــرْناً عثمـــثما
لقد كان يُعطى السّيف في الرّوع حقّهُ ... ويُـــروى السّـــنان الزّاغـــبىّ المقوّما

وكـــان عـــثمان الجهـــنّى ممّن شهد قتل الحسين بن علي فلما قُتل قال أعشى همدان يرثيه بحزن ويصفه بالفروسية[4]:

يـــا عَيْن بكّى فتى الفتيانِ عُثمانا ... لا يَـــبْعدَنَّ الفـــتى من آلِ دُهمانا
واذْكـــرْ فتىً ماجِداً حُلواً شمائلُهُ ... مـــا مِـــثْلهُ فارسٌ في آلِ هَمْدَانا

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص141.
(2) الشعر في خراسان، حسين عطوان، ص209.
(3) تاريخ الطبري، ج7، ص141.
(4) المصدر نفسه، ج6، ص59.

د- رثاء أصحاب المذاهب:

ظهــر فــي عصر بني أُمية فن المكتمات، وسميت كذلك لأنّ هذا النوع من الشــعر بقــي فــي طــي الكتمان خوفاً من العقاب من الحكام[1]، وهو فن ظهر في العصــر الأُمويّ، وهو نتاج طبيعي للصراعات الاجتماعية والتناقضات الفطرية بين الأفــراد والجماعــات في مجالاتها المختلفة، ولا سيما ما كان منها متصلاً بالعقيدة والسياسة والعاطفة[2].

ويُعد فن المكتمات من أصدق الفنون تعبيراً عن طبيعة هذا العصر وذلك لما يحمــل هــذا الشــعر من المعاني الخبيئة في نفوس الأفراد والجماعات التي ينتمون إلــيها، وعادة ما تكون هذه الأفكار التي تعتمل في تلك النفوس ذات خطر على هذه الجماعات أو غيرها من الجماعات[3].

وممّا يدلُّ على أن هذا الشعر وجد ولكنه كُتم، ما قاله الطبري في تقديم مكتمة أعشى همدان التي رثى بها التوابين من الشيعة وذكر فيها ندمهم على مأساة الحسين وآل البيــت: "وكــان ممّــا قيل من الشعر في ذلك قول أعشى همدان، وهي إحدى المكتمات كن يكتمن في ذلك الزمان"[4].

وتكمــن أهمــية المكــتمات في أنها تمثل مؤشراً فعالاً في دلالته على طبيعة العصــر ومن أكثر العوامل تأثيراً في الحياة الاجتماعية والحياة الأدبية كذلك، ويدلُّ أيضــاً علــى أن العــامل السياسي هو المؤثر الأول في ظاهرة الكتم ولا سيّما في عصور الاضطراب السياسي[5].

ومــن النماذج الشعرية لهذا النوع من الشعر (المكتّمات) بائية أعشى همدان والتــي جاءت في رثاء التوابين، وهم الجماعة التي خرجت للإنتقام من قتلة الحسين ابن عليٍّ تكفيراً عن ذنبهم، وكانوا بقيادة سليمان بن صُرد الخزاعي.

---

(1) المُكتّمات، كاظم الظواهري، ط1، 1987، ص36.

(2) المرجع نفسه، ص37.

(3) المرجع نفسه، ص17.

(4) تاريخ الطبري، ج5، ص607.

(5) المكتمات، ص43.

بــدأ الشاعر موضوعه بذكر رئيس التوابين سليمان بن صُرد فوصفه بالتقوى والزهد في الدنيا، والجهاد في سبيله والتوبة إليه ثم يشير إلى عقيدة التوابين في الندم علـى ما فعلوا مع الحسين وسببوه له والتوبة والعزم على الثأر له، ثم يصرح باسم عبيدالله بن زياد وهو العدو التقليدي لأهل العراق قبل مقتل الحسين وبعده يقول[1]:

فإنّـي وإنْ لـم أنسَـهُنّ لذاكـرٌ — رزيـئةَ مخـباتٍ كـريم المناصـبِ
توّسـلَ بالـتّقوى إلى الله صادقاً — وتقـوى الإلـه خـيرُ تَكْسابِ كاسبِ
وخلّـى عـن الدنيا فلم يلتبس بها — وتـابَ إلـى الله الرّفـيعِ المراتـبِ
ومـا أنـا فـيما يُكبرُ الناسُ فقدهُ — ويسـعي له السـاعُونَ فـيها براغبِ
فوجّهـهُ نحـو الـثّويّة سـائراً — إلـى ابـن زياد في الجموع الكباكبِ
بقـوم هـمُ أهـلُ التقيّةِ والنُّهى — مصـاليتُ أنجـادٌ سُـراةٌ مَنَاجِـبِ
فجـاءهُم جمـعٌ مـن الشام بعده — جُمُـوعٌ كمـوج البحر من كلّ جانبِ
فمـا بـرِحوا حتى أُبيدتْ سُراتُهمُ — فلـم يـنجُ مـنهم ثـمّ غيرُ عصائبِ
فأضحى الخُزاعيُّ الرئيسُ مُجدّلاً — كـأن لـم يقـاتل مـرّةً ويحـاربِ

2.3 المـــدح:

ارتــبط المدح بالأحداث التاريخية ارتباطاً وثيقاً، وقد يأتي المدح في المرتبة الثانــية من حيث الكم بين الأغراض الشعرية المختلفة في تاريخ الطبري، وانقسمت قصائده ومقطوعاته إلى قسمين رئيسيين هما:

أ- مدح الخلفاء:

أكثر الشعراء من مدحهم للخلفاء الأُمويين، فما أن تحدث مُناسبة حتى يُسرع الشـعراء لـنظم قصائدهم، ومدح الخلفاء لينالوا الحظوة والمال، فعندما قام يزيد بن مفـرّغ الحمـيريّ بهجاء عبّاد بن زياد توجه إلى البصرة، فكتب عبّاد إلى عبيد الله بـبعض مـا هجاه به، فلمّا قرأ عبيد الله الشعر دخل على معاوية وأستأذنه في قتله، فـأبى معاوية ذلك، وقال: أدبّهُ ولا تبلغ به القتل فأنشد ابنُ مفرّغ في مدح معاوية بن

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص60.

أبـــي سُــفيان تعبيراً عن شكره لمعاوية الذي حماه وعفا عنه، فأخذ يصفه بأنّهُ إمامٌ وحبلٌ وثيق للناس كافة[1]:

عَـدَسْ مـا لعـبّادٍ عليكِ إمارةٌ   نجَـوْتِ وهـذا تحمليـنَ طليقُ
لَعَمْرِي لقد نجّاكِ من هُوّةِ الرّدى   إمـامٌ وَحَـبلٌ للأنـام وثـيقُ
سأشكرُ ما أوليتَ من حُسن نعمةٍ   ومِـثلي بِشُـكْرِ المنعِمِين حقيقُ

وفـي سنة تسع وستين خرج عبدالملك بن مروان إلى عين وردة، واستخلف عمـرو بن سعيد بن العاص على دمشق فتحصّن بها، فبلغ ذلك عبدالملك، فرجع إلى دمشـق فحاصـره فقاتلـه فيها أياماً، ثمّ إنّ عبدالملك وعمراً اصطلحا، وكتبا بينهما كـتاباً، ولكـن عبدالملك لم ينسَ غدر ابن سعيد به فأمر عبدالعزيز بن مروان بقتله، ولكـن ابن عمرو ناشد عبدالعزيز بقوله: أذكّرك الله والرحم أن تلي قتلي، فلمّا علم عـبدالملك بعد مقتل عمرو قال لعبدالعزيز، لِمَ لم تقتله، فقال له عبدالعزيز أنّهُ ناشدهُ الله والـرحم، فقـال له عـبدالملك: أخزى الله أُمّك البّوالة على عقبيها فإنّك لم تشبه غيرها وأمُّ عبدالملك عائشة بنت معاوية بن المغيرة، وكانت أُمُّ عبدالعزيز ليلى، فقد ركّـز الشعراء الأمويين على قضية النسب في مدحهم للخلفاء الأُمويين ومن ذلك ما قاله عبيدالله بن قيس الرُقيات في مدحه لعبدالعزيز بن مروان[2]:

ذاكَ ابـنُ لـيلى عـبدالعزيز ببا   بلـيون تغـدو جفانُـهُ رُذُمـا

ونجد أن الشعراء الأمويين كرروا في مدحهم للخلفاء الأُمويّن بعض المعاني الدينـية منها حماية الدين وحراسته، وذلك إيماناً منهم بأحقية الأُمويّن بالخلافة دون غـيرهم، (فقـد تحـدث شعراء الحزب الأموي عن أنّ بني أُميّة هم خلفاء الله على الـناس وهم سيوف الله المسلولة لحماية الدين ونصرته)[3]، لذلك حاول الشعراء أن يضـفوا علـى خلافـتهم هالة من الدين، وأنّ الله هو الذي اصطفاهم للخلافة وليسَ البشـر، فقد نسجَ الحجّاج الثعلبي هذه المعاني في مدح عبدالملك بن مروان، فجعله

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص319 وما بعدها.
(2) المصدر نفسه، ج6، ص140-145.
(3) العصر الأُموي، قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط1، 1998، ص68.

وكـــنّا نؤمّـــلُ فـــي ملكِـــه كتأمـيل ذي الجـدبِ أن يُمرعا
عقدنـــا له مُحكمَـــاتِ الأمـــو رِ طوعـــاً فكـــان لهـــا موضعا

وعـــندما تولّـــى الخلافـــة سـليمان بن عبدالملك أطلق الأسارى وخلّى أهل السـجون، وأحسن إلى الناس فقال ابنُ الأبيض يمدحه مؤكداً على أن الخلافة سوف تـبقى في آل مروان وأنّ سليمان ورث الخلافة عن أجداده وآبائه وأنّ نور الخلافة يشعُ من جبينه الذي كان يُبشر بأنك الملك الرابع في آل مروان[1]:

حـــاز الخلافـــة والـــداكَ كلاهُمَا مـــن بَيْنِ سُخطةِ ساخطٍ أو طائعِ
أبـــواكَ ثـــمّ أخُـــوكَ أصبحَ ثالثاً وعلـــى جبيـــنك نورُ مُلكِ الرابعِ

ويبدو أنّ الجواري كُنّ يُشاركن مدح الخلفاء في العصر الأُمويّ، ومن ذلك ما قالـــتهُ إحدى الجواري تمدح سليمان بن عبدالملك وأنّهُ أفضل متِاعٍ في الحياة لو بقي ولكن لا بقاءٍ لحي، وأنّهُ لا عيب فيه سوى إنّهُ فانٍ[2]:

أنـــتَ خَـــيْرُ المتاعِ لو كنتَ تبقَى غـــيرَ أنْ لا بَقَـــاءَ للإنســـانِ
لـــيس فـــيما عَلِمـــتُهُ فيكَ عيبٌ كـــانَ فـــي الناسَ غيْرَ أنّك فانِ

وقال نصر بن سيّار يمدح خلفاء بني أُمية قال يصفها بالكرم والمجد والنسب الكريم، مُركزاً كغيره من الشعراء على نظرية الحق الإلهي للأُمويين في الحكم وأنّ بيـــت خلـــيفة الرحمن فيهم وأنّ الله هو الذي اصطفاهم للخلافة، وليسَ البشر، وأنّ الخلافة وراثةٌ فيهم أباً عن جد يقول[3]:

خليفتُـــنا الـــذي فـــازتْ يـــداهُ بِقِـــدْحِ الحمـــدِ والمَلِـــكُ الهمامُ
نَسُوسُـــــهُمُ ولـــــنا علـــــيهم إذا قلـــــنا مكارمُـــــهُ جســـامُ
أبـــو العاصـــى أبوهُ وعبدُ شمسٍ وحـــــربٌ والقَماقِمِـــــةُ الكـــرَامُ
ومـــروانٌ أبـــو الخلفـــاءِ عـــالٍ علـــيه المجـــدُ فهـــو لهـــم نِظَامُ
وبيـــتُ خلـــيفةِ الرحمـــن فيـــنا وبَيْـــتاهُ المُقـــدّسُ والحـــرامُ
ونحـــن الأكـــرَمونَ إذا نُســـبنا وعِرْنيـــنُ الـــبريّة والسّـــنامُ

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص546.
(2) المصدر نفسه، ج6، ص547.
(3) المصدر نفسه، ج7، ص158.

فأمْسَــينا لــنا مــن كُــلِّ حــيٍّ   خراطــيمُ الــبريّة والـــزّمامُ
لــنا أيــدٍ نــريش بهــا ونبْري   وأيــدٍ فــي بوادِرِهــا السَّــمامُ
وبــأسٌ فــي الكريهة حين نلقى   إذا كــان الــنّذيرُ بهــا الحُســامُ

ونجــد أن الشــعراء كثيراً ما يؤكدون حق الأُمويين بالإمارة والخلافة، وأنّهم أهل المشورة والرأي والمانعون والنافعون، فيقول أعشى بني شيبان في مدحهم[1]:

عرفــتْ قــريشٌ كلُّهــا   لبــنى أبــى العــاص الإمــارة
لأبــــرِّها وأحقِّهــــا   عــند المشــورة، بالإشــارة
المانعيــن لِمــا ولــوا   والنافعيــن ذوى الضّــراوة
وهُــمُ أحقُّهُــمُ بهــا   عــند الحــلاوة والمــرارة

ب- مدح الولاة والوزراء ورجالات الدولة:

لم يكتفِ الشعراء بمدح الخلفاء والثناء عليهم بل قاموا بمدح ولاتهم ووزرائهم ورجــال دولتهم، فقد كان لهؤلاء الولاة والوزراء الدور الكبير في الحكم بعد الخلفاء فقد كانوا ينوبون عنهم في الحكم ويقود بعضهم الجيوش في الفتح، وإخماد الثورات.

وقــد عظمــت مكانتهم، حتى قصدهم الشعراء، فمدحوهم، ونالوا جوائزهم، وأُعجــب الشــعراء بالقواد الذين أرسوا قواعد الملك وحموه من الصّدع بانتصارهم على الثائرين، وبتوغلهم في الفتح[2].

فقد مدح حارثة بن بدر زياد بن أبيه بأنّهُ نعم أخو الخليفة ووزيره، لأنّه حاكم عــادل حازم ماهر في تصريف الأمور، وقال إنّهُ مؤيدٌ بنصر الله، وإنّه يلتزم حدود الله، وإن حكمــه خير على الناس، لأنهم ينعمون في عهده بالثراء والأمن والمساواة، ثــم وصــفه بأنّهُ كالمطر الذي ينزل على الأرض العطشى فيحييها، وقال إنّهُ تولى الحكــم في زمن فسد ناسه، وتفاقمت شرورهم فاستطاع أن يقر الأمن والعدل بسيفه،

---

(1) تاريخ الطبري ، ج6، ص422.

(2) أدب السياســة فــي العصــر الأُمــوي، أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط5، ص164.

وسمّاه سيف الله، ووصفه بأنّهُ قوي ماضٍ مجرب مبرأ ومن طيش الفتيان ومن ضعف الشيوخ قال حارثة[1]:

ألا مـنْ مُـبلغٌ عـنّى زيـاداً ... فَـنِعمَ أخـو الخلـيفة والأميرُ!
فأنـتَ إمـامُ مَعْدَلَـةٍ وقَصْـدٍ ... وحَـزمٍ حيـنَ تحضُرك الأمورُ
أخـوكَ خلـيفةُ الله ابـنُ حَرْبٍ ... وأنـتَ وزيـرهُ، نِعْـمَ الوزيرُ!
تُصـيب على الهوى منه وتأتى ... مُحِـبّك مـا يُجِـنُّ لنا الضّميرُ
بأمـر الله منصـورٌ مُعـانٌ ... إذا جـار الرعـيةُ لا تجـورُ
يَـدِرُّ علـى يَدَيْـكَ لمـا أرادوا ... مـن الدُّنـيا لهـم حَلَـبٌ غزيرُ
وتقسـم بالسّـواءِ فـلا غـنيٌّ ... لضَـيْمٍ يَشْـتَكيكَ ولا فقـيرُ
وكنـت حـياً وجئتَ على زمانٍ ... خبيـثٍ، ظاهـرٌ فـيه شـرُورُ
تقاسـمت الـرّحالُ بـه هواهـا ... فمـا تُخفـى ضغائنها الصُّدورُ
وخـافَ الحاضـرون وكـلّ بادٍ ... يُقـيمُ علـى المخافـة أو يَسيرُ
فلمّـا قـام سـيفُ الله فـيهم ... زيـادٌ قـام أبلَـجُ مُسـتنيرُ
قـويٌّ لا مِـنَ الحدثـانِ غـرٌّ ... ولا جـزِعٌ ولا فـانٍ كبـيرُ

وقد جارى الشعراء السياسة في تقلبها ودهائها، فأيدوا الخليفة في استخلاف من يليه، وفي نقل البيعة من ولي إلى آخر[2]، ومن ذلك ما قاله عمران بن عصام العنزيّ عندما أخذ ينشد عبدالملك أبياتاً يُزين له بيعة الوليد، ومن أجل ذلك أخذ يمدح الوليد ويصفهُ بالتقوى، وأنّهُ شبيهٌ لأبيه عبدالملك وبه يستمطر الناس الغماما، ثُمّ أخذ يحذر الخليفة من أن يجعل الخلافة والملك لأخيه عبدالعزيز أو أحداً من أبنائه، لأن الخليفة إن فعل ذلك فإنّهُ سوف يندم وتكون سحابة ثم تعود لهم جَهَاما، فيقول عمران[3]:

أمـيرَ المؤمنيـنَ إلـيك نُهـدِى ... علـى الـنأيِ التحـيّةَ والسلاما
أجبـنى فـي بنـيكَ يكُن جوابى ... لهـمْ عاديّـةً ولـنا قِوامَـا

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص223 وما بعدها.

(2) أدب السياسة في العصر الأموي، أحمد محمد الحوفي، ص159.

(3) تاريخ الطبري، ج6، ص413.

فلـــو أنّ الولـــيدَ أُطـــاعُ فـــيه جعلـــتَ له الخلافـــةَ والذِّمامـــا
شـــبيهُك حـــول قُبّـــتهِ قـــريشٌ بـــه يَســـتمطِرُ الـــناسُ الغمامـــا
ومـــثلك في التُّقى لم يَصْبُ يوماً لـــدُنْ خَلَـــعَ القلائـــدَ والـــتّماما
فـــإن تُؤثـــرْ أخـــاكَ بهـــا فإنّـــا وجَـــدّكَ لا نُطـــيقُ لهـــا اتّهاما
ولكـــنّا نُحـــاذِر مـــن بنـــيه بَـــنِى العـــلاّتِ مأثـــرةً سَـــمَامَا
ونخشـــى إن جَعلـــتَ المُلكَ فيهمْ سَـــحاباً أن تَعُـــودَ لهـــم جَهاما
فـــلا يـــكُ مـــا حَلَبْتَ غداً لقومٍ وبعـــدَ غـــدٍ بـــنوكَ هُـــمُ العِياما

وشارك بعض الشعراء في السياسة الأُمويّة نفسها، فناصروا أميراً على أمير، وعضـــد الخليفة في تنحية العهد عن ولي إلى آخر، كما نرى في ترويج جرير لبيعة عبدالعزيز بن الوليد وخلع سليمان بن عبدالملك فقال جرير في ذلك[1]:

إذا قِـــيل أيّ الـــناس خيرُ خليفةٍ؟ أشارت إلى عبدالعزيز الأصابعُ
رأوهُ أحـــقّ الـــناس كلّهـــمُ بهـــا ومـــا ظلمـــوا، فبايعوه وسارعوا

وقـــال أيضـــاً جرير يحضُّ الوليد على بيعة عبدالعزيز وهي من المرتكزات السياسية للحزب الأموي[2]:

إلـــى عبدالعزيزِ سَمَت عيونُ الرَّ عـــيّةِ إذ تحـــيّرت الـــرّعاءُ
إلـــيه دَعَـــتْ دواعـــيهِ إذا مـــا عِمـــادُ المُلـــكِ خَـــرَّت والسَّماءُ
وقـــال أُولو الحكومةِ من قُريشٍ علـيـــنا البـــيعُ إن بلـــغ الغـــلاءُ

وفـــي السنة الثالثة والثمانين كانت وقعة مسكن بين الحجاج وبين عبدالرحمن بن الأشعث[3]، شارك أعشى همدان في تسجيل هذه الموقعة وكان مؤيداً للثورة يمدح صـــاحبها ابن الأشعث، ويهجو الحجاج، وتحوّل إلى شاعرٍ يتبرأ منها ومن صاحبها بـــل يهجـــو ابن الأشعث ويهجو أجداده، ويمدح الحجاج ويتغنى بالخليفة الأموي[4]، ولعل السبب في ذلك يعود إلى خوف الاعشى من سطوة الحجاج الذي كان أشد عنفاً

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص506.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص506.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص366.

(4) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف 416 وما بعدها.

في معاملة أعدائه وأبعد من أن يتأثر بدموعهم وتذللهم، من أجل ذلك انقلب الأعشى في مسيرة شعره من شاعر يهجو الحجاج وأجداده إلى شاعر يتغنى بأمجاد الحجاج وبانتصاراته على أعدائه.

لذلك قال أعشى همدان قصيدة طويلة يمدح فيها الحجاج بانتصاره عليهم، على الرُّغم من كثرة عددهم، فقد دلفوا في صفوف كأنها الجبال، ولكنّه لم يلبث أن سلّ سيفه في وجوههم فإذا جموعهم المتراصة تُولّي الأدبار، ثمّ يصف الحجاج بأنّه معانٌ من عند الله، مظفر في حروبه، أما أعداؤه فإنهم في ظلمات كأنّها من قطع الليل الأسود، قال الأعشى[1]:

دلفنا إليه في صفوفٍ كأنّها ... جِبَالُ شَرَوْرَى لو تُعانُ فتَنْهدّا
فما لَبِثَ الحجّاجُ أنْ سلّ سَيْفَهُ ... علينَا فولّى جَمعُنا وتَبَدّدا
وما زاحَفَ الحجّاجُ إلا رأيتهُ ... مُعاناً مُلقىًّ للفتوح مُعوّدا
وإنّ ابن عباسٍ لفي مرجَحِنَّةٍ ... نُشَبِّهُها قِطْعاً من الليل أسودا
فما شرعوا رُمْحاً ولا جرّدوا له ... ألا رُبمَا لاقى الجبانُ فجرّدا
وكرّتْ علينا خيلُ سُفْيَانَ كرّةً ... بفُرسانها والسمْهَرِيّ مُقصّدا

وقد كان لأسرة المهلب بن أبي صُفرة مكانةٌ بارزةً في الدولة الأمويّة، فلم تحظ أسرة بما حظيت به هذه الأسرة من التقدير، فقد كان أفرادها بحوراً فياضة، فنوه بهم الشعراء طويلاً في خراسان والعراق جميعاً[2]، ويؤثر عن المهلب أنّهُ كان يقول: "عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه"[3].

وقد كان الشعراء يصطفون لمدح أبناء هذه الأسرة، وفي مقدمتهم كعب الأشقري، فبالإضافة إلى الدور الذي لعبته هذه الأسرة في القضاء على الفتن الداخلية كان لها الدور البارز في الحروب الخارجية، خاصة في قتال التُّرك الذين كانوا يمثلون خطراً يُهدّد كيان الدولة الأُموية، وفي قتال يزيد بن المهلب مع التُّرك قال

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص376 وما بعدها.

(2) العصر الإسلامي، ط7، ص218.

(3) المرجع نفسه، ص218 وما بعدها.

كعـــب الأشقريّ يمدح يزيد ويصفه بالشهاب الذي يُبدد الظُلمة، ثم يشبه جنوده بأسود الغاب الذين اعتصموا بالصبر والتأسي، فقال[1]:

والــتُّرك تعلــمُ إذ لاقى جُمَوعَهُمُ ... أن قــد لقــوهُ شِهاباً يَفرج الظُّلما
بفتــيةٍ كأُســودِ الغـــابِ لم يَجدوا ... غيرَ التأسّي وغيرَ الصبرِ مُعتصما
نــرى شرائحَ تغشى القومَ من علقٍ ... ومـــا أرى نـــبوةً مـــنهم ولا كَزَما
وتحـــتهُم قُـــرّحٌ يركبـــنَ ما ركبوا ... مـــن الكـــريهة حـــتى ينتعلنَ دَمَا
فـــي حـــازةِ الموتِ حتى جنّ ليلُهمُ ... كِـــلا الفريقين ما ولّى ولا انهزما

وفـــي ســـنة أربع وثمانين هاجم يزيد بن المهلب قلعة "باذغيس" وكان نيزك ينزل بها، فتحيّن يزيد غرةً منه، ووضع العيون عليه، فلما علم أنّهُ خرج منها، خالفه إلـــيها، فـــرجع نيزك وصالحه على أن يدفع إليه ما في القلعة من الخزائن، ويرتحل بعـــياله عنها، فقال كعب بن معدان الأشقريّ يصور عُلوّ القلعة الشاهق الذي يطاول عـــنان الســـماء، وأضـــواءها التي تتراءى في الليل المظلم، كأنها النجوم المتلألئة، ويصـــور مناعـــتها، فلمـــا تقـــدّم إليها يزيد وحاصرها فوقع الذعر في قلوب أهلها فاستجابوا له، ثم أخذ الشاعر يُشيد بيزيد ويفتخر بشجاعته، ذاهباً إلى أنّ الله هو الذي وفقـــه في محاصرة القلعة واقتحامها، فهو شديد النكاية بأعدائه، كثير البر والرحمة بسائليه، يقول[2]:

وباذغـــيسُ التي مَن حل ذُرْوَتها ... عـــزّ الملـــوكَ فإن شَا جار أو ظَلَما
منـــيعةٌ لـــم يَكِدْهـــا قـــبله ملكٌ ... إلا إذا وَاجَهَـــتْ جيشـــاً له وَجَمـــا
تخـــالُ نـــيرانها من بُعد مِنظرها ... بعـــضَ الـــنّجوم إذا مالـــيلُها عَتَما
لمّـــا أطافَ بها ضاقتْ صدورهُمُ ... حـــتى أقـــرّوا بـــالحُكم فاحـــتكما
فـــذلّ ســـاكِنها مـــن بَعـــدِ عِزّته ... يُعطى الجِزى عارفاً بالذل مُهتضَما
وبعـــد ذلـــك أيامـــاً نعدّدهـــا ... وقـــبلها مـــا كَشَفْتَ الكرب والظلما
أعطـــاك ذاك ولىُّ الرزق يَقْسِمُهُ ... بيـــن الخلائـــق والمحرومُ من حُرما

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص352.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص386.

وفـــي ســـنة خمس وثمانين غزا المفضل بن المهلب باذغيس ففتحها وأصاب مغــنماً فقسمه بين الناس، ولم يكن له بيت مال، فكان يعطي الناس كلّما جاءه شيء، فقـــال كعب الأشقري يمدح المفضل بن محمد الذي وليّ خراسان بأمر الحجّاج بدلاً مـــن يزيد بن المهلب لمدة تسعة أشهر، ويذكر كرمه وحسن أخلاقه، وأنّه ملجأ لكل مُحـــتاج فقـــير، ويبيـــن الشاعر أن المفضل ورث الكرم والاخلاق الطيبة عن أبيه المهلب(1):

ترى ذا الغِنَى والفقر من كل مَعشَرِ عصـــائبَ شـــتّى يَنتوون المفضّلا
فمـــن زائـــرٍ يرجُو فَواضِلَ سَيْبِه وآخـــرَ يقضـــى حاجةُ قد ترحّلا
إذا مـــا انتوينا غيْر أرضكَ لم نَجِد بهـــا منـــتوىً خَـــيْراً ولا مُـــتعلّلا
إذا ما عَدَدنا الأكرمين ذوي النُّهى وقـــد قدّمـــوا من صالحٍ كُنتَ أوّلا
لَعَمْـــرى لقد صالَ المفضّلُ صولةً أباحـــتْ بشـــومانَ المناهل والكلا
ويـــوم ابـــن عـــبّاس تناولتَ مثلها فكانـــت لـــنا بين الفريقين فَيْصَلا
صـــفت لـــك أخلاقُ المُهلَّبِ كلُّها وسُـــرْبلْتَ من مَسْعاته ما تَسَرْبلا
أبُـــوك الـــذي لم يسْعَ ساعٍ كسعيه فـــأورثَ مَجْـــداً لـــم يكن مُتنحّلا

وعندما توفي المغيرة بن المهلب في سنة اثنتين وثمانين حزن أبوه لموته وقام بإرســـال يـــزيد إلـــى مرو لقتال الترك، فقال الراجز يمدح يزيد بن المهلب ويصف شجاعته في المعركة(2):

يـــزيدُ يـــا ســـيفَ أبـــى ســـعيدْ قـــد علـــم الأقـــوامُ والجـــنودْ
والجمـــعُ يـــومَ الجمـــع المشهودْ أنّـــك يـــوم الـــتُّركِ صلبُ العودْ

وعـــندما انـــتهى يـــزيد بن المهلب من حرب الأزارقة وحقق النصر، مدحه عبدالملك بن سلام السّلولي فوصفهُ بالكرم والجود ويشبهه بالربيع فعاش عليه الفقير والمقتدر ثمّ يشبه جوده بالسحابة التي تعمُّ البلاد فترويها، قال ابن سلام السّلولّي(3):

مـــا زال ســـيْبُك يا يزيدُ بَحوبتى حـــتّى ارتويتُ وجَوُدكُمْ لا يُنكرُ

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص397.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص352.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص529.

أنـــتَ الرّبيع إذا تكون خصاصةٌ ... عـــاش السّـــقيم به وعاش المُقترُ

عمّـــت ســـحابتُهُ جمـــيعَ بِلادِكمْ ... فـــرووا وأغدَقَهُم سحابٌ مُمطِرُ

فســـقاك ربـــكَ حيثُ كنتَ مخيلةً ... ريّـــاً ســـحائبها تـــروحُ وتُـــبكِرُ

وعـــندما تمكّن المفضّل بن المهلب من فتح باذغيس سنة خمس وثمانين مدحهُ كعـــب الأشقريّ، وأكثر ما يدور شعره على مديح المهالبة، وذكر حروبهم الخارجية وانتصـــاراتهم على الأعداء كالفرس والتُّرك، والإشادة بأصولهم العريقة التي زكّتهُم للنّهوض بتلك المهمة، ومكّنتهم من تحقيق الإنتصارات العظيمة[1]، فقال كعب يصف المفضـــل بالكـــرم والجود وأنّهُ يجود على الغني والفقير، وعندما فتح القلعة أصابَ مغـــنماً فقســـمّه بين الناس، ثم يصور رجاحة عقله، وسماحة خلقه، وجلالة أعماله، وجـــوده الغمـــر، ممّـــا جعله قبلة العرب من كلّ قبيلة، يغدون إليه يطلبون معروفه مستبشرين، وينصرفون عنه راضين بما أخذوا من نواله فكان خير خلف لأبيه الذي بلغ شأواً لم يبلغه أحد[2]:

ترى ذا الغِنَى والفقرِ من كلّ مَعشَرٍ ... عصـــائبَ شـــتّى ينْـــتوون المفضّلا

فمـــن زائـــرٍ يـــرجو فواضِلَ سَيْبِهِ ... وآخـــرَ يقضـــى حاجـــةُ قـــد ترحّلا

إذا مـــا انتَوَيـــنا غيْر أرضكَ لم نَجِد ... بهـــا منـــتوىً خـــيراً ولا مُـــتعلّلا

إذا مـــا عَدَدنا الأكرمين ذوى النُّهى ... وقـــد قدّمـــوا مـــن صالحٍ كنت أوّلا

أبـــوك الـــذي لـــم يسْع ساعٍ كسعيهِ ... فـــأورثَ مجـــداً لـــم يكـــن مُتنحّلا

عندما فرغ الحجّاج من مقاتلة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث أخذ يفكر في الخـــلاص من يزيد بن المهلب وأهل بيته لتخوفهِ منهم، فقد استطاع الحجاج أن يذلّ أهلَ العراق كلّهم إلاّ يزيد وأهل بيته، فتمكن من عزل يزيد بن المهلب عن خراسان، وتمكّن من سجنه، ولكن يزيد وإخوته استطاعوا الفرار من سجن الحجاج[3].

وفي هروب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج قال الفرزدق يمدح آل المهلب، وقد كانت مدائح الفرزدق التي اتصلت بمصلحته المادية أو مصلحته القبلية

---

(1) الشعر في خراسان، حسين عطوان، ص243.

(2) تاريخ الطبري، ج6، ص397 وما بعدها.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص396 وما بعدها.

والتي مدح بها الأُمويين وولاتهم، فلم تكن غنيةً في عاطفتها، كسائر قصائده التي مدح بها العلويين وأبناء الزبير، فقد خرجت عن مبدأ الإخلاص، واتصلت بالأغراض الشخصية ذات النفع المادي البحت[1].

فقال الفرزدق يذكر دهاء آل المهلب وشجاعتهم في الهرب من السجن وحيلتهم التي استخدموها للخلاص من سجن الحجاج[2]:

فلم أرَ كالرَّهط الذينَ تتابعوا على الجِذْع والحرّاسُ غيرُ نيام
مضوا وهُمُ مُستيقنونَ بأنّهمْ إلى قَدَرِ آجالُهمْ وحِمَامِ
وإنْ منهمُ إلا يُسكِّنُ جأشَهُ بعَضْبٍ صقيلٍ صارمٍ وحُسام
فلمّا التَقوا لم يلتقوا بمُنفَةٍ كبيرٍ ولا رَخْصِ العظام غلام
بمثلِ ابيهم حين تمّت لداتُهُم لخمسين قُلْ في جُرأةٍ وتمام

وقال عبدالله بن همّام السّلولي قصيدة يمدح بها المختار الثقفي ورجاله، فقد كان ابنُ همّام في أول أمره عثمانياً أمويّاً، وكان قد سمع أحد الموالي من الشيعة يذكر عثمان وينال منه فغضب لذلك وعنّفه وضربه بالسوط، ثمّ يصبح هذا المولى الذي ضربه ابن همّام – وهو أبو عمرة كيسان – رئيس حرس المختار فيشعر ابنُ همّام بالخطر، ويستخفي ويظل مستخفياً حتى يستأمن له أحد أبناء قبيلته من المقرّبين إلى المختار، وهو عبدالله بن شداد الحشمي فيؤمنه المختار، ويأتي ابنُ همام إليه، فينشده شعراً له في تأييد حركته، فيرضى عنه، ولكن بعضهم لا يعجبهم ذلك فأخذوا يذكرون ماضي هذا الشاعر السياسي المعارض لهم، ويهمون بقتله، فيقف إلى جانبه ابراهيم بن الأشتر، ويعلن أنّه جار له فيقبل عليه المختار فيؤمنه مرة أخرى[3].

ومضى ابنُ همّام يُعبّر في شعره عن ثورة المختار ومبادئها ويرسم صورة للقتال، فيتحدث عن شجاعة المختار ورجاله في المعركة، ثمّ يتحدَّث عن القبائل العربية التي اشتركت في القتال ويتحدَّث عن قوّادها، ومن هذه القبائل مذحج بقيادة

---

(1) العصر الأُموي، قصي الحسين، ص58.

(2) تاريخ الطبري، ج6، ص449.

(3) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص391 وما بعدها.

ابــنِ مـــالك، وأسد بقيادة يزيد، وشيبان بقيادة نُعيم وغيرها من القبائل الأخرى وهو عندما يذكر أسماء هؤلاء القادة يذكرهم بإعجاب وإكبار قال ابنُ همّام[1]:

وفـــي ليلة المختار ما يُذهِلُ الفتى ... ويُلهــيهِ عــن رود الشّباب شَموع
دعــا يالــثاراتِ الحســين فأقبلتْ ... كتائــبُ مــن هَمْــدانَ بعد هزيع
ومن مَذْحِجٍ جاء الرئيسُ ابنُ مالك ... يقــودُ جُمُوعــاً عُبّيــتْ بجُمُــوعِ
ومــن أســدٍ وافَــى يزيدُ لِنَصْرِهِ ... بكــلّ فــتىً حــامى الذّمار منيع
وجــاءَ نُعَــيْمٌ خــيرُ شَيْبانَ كلّها ... بأمــرٍ لــدى الهــيجا أحــدَّ جميع
ولا قَــيْسُ نَهْدٍ لا ولا ابنُ هوزانٍ ... وكــلٌّ أخــو إخــباتةٍ وخُشُــوعِ

ثُــمّ إنّ عبدالله بن همّام السّلولي قال قصيدةً يمدح فيها إبراهيم بن الأشتر بعد أن أجــاره وحماه من رجال المختار الذين حاولوا قتله، لأنّهم أخذوا يذكرون ماضي ابــن همّام السياسي المعارض لهم، فأخذ ابنُ همّام يذكر بسالة ابن الأشتر في القتال، ويذكر قبيلة هوازن التي غضبت له، فقال[2]:

أطفــأ عــنّى نــارَ كَلْبَيْــن ألْــبا ... علــىّ الكــلابَ ذو الفِعــال ابــنُ مالكِ
فــتىً حين يَلْقى الخيلَ يَفْرقُ بينها ... بِطعــنٍ دِراكٍ أو بضـــربٍ مُواشِــكِ
وقد غَضِبَتْ لى من هوازنَ عُصبةٌ ... طــوال الــذُّرا فــيها عِراض المَبَارك

وعــندما تولّى نصر بن سيّار على خراسان سنة عشرين بعد المائة، عمُرت خراســان عمارة لم تعمر قبل ذلك مثلها، ووضع الخراج، وأحسن الولاية والجباية، فقال سوار بن الأشعر يمدح نصر بن سيّار الذي أمن خراسان وأهلها بعد خوفهم من الظلم والأشرار، ثمّ أخذ يمجد نصرُ نصرَ بن سيّار ويتغنى به فقال[3]:

أضحت خُراسانُ بَعدَ الخوفِ آمنَةً ... مِــنْ ظُلْــمِ كــلِّ غشُوم الحكمِ جبّار
لمــا أتـــى يوسفاً أخبارُ ما لقيتْ ... اخـــتارَ نصـــراً لها نصرَ بن سيّار

وفي سنة إحدى وعشرين بعد المائة، تمكّن نصر بن سيّار من قتل الأخرم

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص35.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص37.

(3) المصدر نفسه، ج7، ص158.

فارس التّرك فقال أبو نُميلة صالح بن الأبّار يمدحه على ذلك[1]:

كـنّا وأوبَـةُ نصـر عندَ غيبته   كراقِـبِ النّوءِ حتى جاده المطرُ
أوْدَى بأخـرَم مـنه عارضٌ بَرِدٌ   مُسْـتَرْجِفٌ بمـنايا القوم مُنْهَمرُ

3.3 الفخــر:

لقـد ارتبط الفخر بالأحداث التاريخية، مثله مثل المدح والرثاء، وقد جاء في المرتـبة الثالثة من حيث الكم بين الأغراض المختلفة في تاريخ الطبري، وانقسمت قصائده ومقطوعاته إلى قسمين رئيسيين هما:

أ- الفخر القبلي.

ب- الفخر الشخصي.

أ- الفخر القبلي:

مُـنذُ أن وجُـدت العصـبية كـان الشعراء حملة لوائها ورسلها المُخلصين، يُبشّـرون بدعوتهـا ويسـيرون فـي ركابها، حتّى كادت العصبية تستأثر بمشاعره وعواطفـه، فقـد كان داعياً مُخلصاً من دعاة العصبية يهتدي بهديها وينطق بلسانها، لذلك كان الطابع القبلي هو الغالب على شعره[2].

وكـان للأحـداث فـي العصر الأمويّ أن تلقي بظلالها على القبائل وعلى شـعرائها بوجـه خاص، فوقف كلُّ شاعرٍ يمجّد قبيلته ويذكر مواقفها، ويعدّد أيّامها سواء ما كان منها في الجاهلية وفي الإسلام، وكان موقف الشاعر ينبني على موقف قبيلـته فـي الغالـب، ففي سنة ثمان وستين كتب زُفر بن الحارث إلى مصعب: "قد كفيـتك قـتال ابـن الزّرقاء وابن الحُرّ يهجو قيساً"[3]، وبعد ذلك قتله رجل من قيس عيلان يُقال له عيّاش، فقال زُفر بن الحارث يفتخر بقبيلة قيس عيلان لقتالها عبيد الله ابـن الحُـرّ جزاءً له على هجائه لقبيلة قيس فابن الحُرّ كما يقول ابن الحارث يجهل

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص176.

(2) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ص365.

(3) تاريخ الطبري، ج6، ص137.

تلـك القبيلة وسطوتها فلو كان ابنُ الحُرّ على علم لعلم أنّها يمانية، ولعلم قوتنا ووقع سيُوفنا، فقال[1]:

لمــا رأيــتُ الــناسَ أولاد علّةٍ ... وأغــرق فيــنا نَــزْعةَ كُــلُّ قــائل
تكلّــمَ عــنّا مَشْــيُنا بســيُوفنا ... إلى الموتِ واستِنْشاط حَبْل المراكَل
فلــو يَســأَلُ ابنُ الحرّ أخبِرَ أنّها ... يمانــية لا تُشــترى بالمغــازل
وأُخْــبِرَ أنّــا ذاتُ عِلــمِ سُيوفُنا ... بأعــناقِ مــا بيــنَ الطُلى والكَواهِل

وكان عبيد الله بن الحُرّ خارجاً على مصعب بن الزُّبير ورفض مبايعته، فكان يقــول: "مــا رأينا بعد الأربعة الماضين إماماً صالحاً، ولا وزيراً تقيّاً، كلهم عاصٍ مخالف، قويّ الدنيا ضعيفُ الآخرة، فعلام تستحلّ حرمتنا"[2]، فكان هذا من الأسباب التي أدت إلى قتله.

وقال عبدالله بن همّام السّلولي يفتخر أيضاً بقتل عبيدالله بن الحُرّ على يد قبيلة قــيس، ويؤنبه على هجائه الساقط لقبيلة قيس، ويذكّره بتلك الرماح التي ضُرب بها ويُعــيّره بنســبه المتردي، ويقول لقد هُزم على أيدينا منذ أن كان يافعاً، ثمّ يقول تباً لقبيلة مذحج وسخطاً لهم، فقال[3]:

ترنّمــتَ يابنَ الحُرِّ وحدكَ خالياً ... بقــول امرىءٍ نشوانَ أو قول ساقطِ
أتذكُــرُ قومــاً أوَجَعْتك رِماحُهُمْ ... وذبّــوا عــن الأحسابِ عندَ المآقطِ
وتــبكي لِمــا لاقت ربيعةُ منهمُ ... ومــا أنــتَ في أحساب بكرٍ بواسِطِ
ضربنا بحدّ السّيف مفرق رأسه ... وكــان حديــثاً عهــدُهُ بالمواشِــطِ
فإن رغمتْ من ذاكَ آنفُ مَذحجٍ ... فــرغماً وســخطاً للأنوف السَّواخِطِ

وعــندما كانت الحرب بين عبدالملك بن مروان ومصعب بن الزُبير، استجار خــالد بــن عــبدالله بن خالد بن أسيد وهو أحد قادة جيش عبدالملك بمالك بن مسمع فأجــاره ووقفــت تميم إلى جانب عبدالملك في حربه ضد الزبيريين، فقال الفرزدق

---

(1) تاريخ الطبري، ص137.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص137.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص137 وما بعدها.

مفتخراً بقبيلة تميم ويعتب على قبيلته للحاقها بمالك بن مسمع ضد الزبيريين، فقال[1]:

عجبتُ لأقوامٍ تميمٌ أبوهُمُ ... وهُمْ في بني سعدٍ عِظامُ المبَارِكِ
وكانوا أعزَّ الناسِ قبل مَسيرِهمْ ... إلى الأزد مُصفراً لِحاها ومالك
فما ظنُّكم بابن الحواريّ مُصْعَبِ ... إذا افترَّ عن أنيابِهِ غيرَ ضاحِكِ
ونحنُ نفينا مالكاً عن بِلادِهِ ... ونحنُ فقَأْنا عَينهُ بالنّيازك

وعندما وصل خبر موت الوليد بن عبدالملك إلى قتيبة بن مُسلم وقيام سليمان بعث إليه بكتاب يهنئه وبكتاب آخر يُهدده فيه إنْ عزله عن خراسان وولي بدلاً منه يزيد بن المهلب فإنّهُ سيقاتله، فغضب سليمان بن عبدالملك من ذلك وأرسل إليه جيشاً بقيادة وكيع وهو أحد قادة تميم فتمكّن وكيع من قتل قتيبة[2]، فقال الفرزدق مفتخراً ببعض أرهاط تميم وقتل قُتيبة، ويُشيد بوقعة وكيع، ويفتخر بأنّ تميماً هم الذينَ سلّوا السيوف في وجه الأعداء، ويرى أن بني تميم هم السادة والناس عبيدٌ لهم، فوكيع كالجبل يعلو الجبال وأنّ فعله بهم كفعل الرجال المسلمين في غزوة بدر واليرموك، فقال[3]:

ومنّا الذي سلّ السيوفَ وشَامَهَا ... عَشيّةَ باب القَصر مِن فَرْغانِ
عشيّةَ لم تمنع بنيها قبيلةٌ ... بعزٍّ عِراقيّ ولا بيمَانِ
رأوا جبلا يَعلُو الجبالَ إذا التقَتْ ... رؤوسُ كَبيريْهِنَّ ينتَطِحانِ
رجالٌ على الإسلام إذْ ما تجالدُوا ... على الدينِ حتّى شاع كلَّ مكانِ
وحتى دعا في سُور كلّ مَدينةٍ ... مُنادٍ ينادى فوقَها بأذانِ
سيجزى وكيعاً بالجماعة إذ دعا ... إليها بسيفٍ صارمٍ وبنانِ
جزاءً بأعمال الرِجال كما جرى ... ببدرٍ وباليَرمُوك فيْءَ جنَانِ

وعندما لحق يزيد بن المهلّب بالبصرة، واستولى عليها وحبسَ عاملها عدي ابن أرطأة الفزاري، وخلع يزيد بن عبدالملك اندفع ثابت يستفزّهُ لِكَيْ يمضي في

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص153 وما بعدها.
(2) المصدر نفسه، ج6، ص507 وما بعدها.
(3) المصدر نفسه، ج6، ص520.

ثورته، مُشجّعاً له على التحرك السريع، واغتنام الوقت قبل أن تضيع الفرصة منه[1]، فساندته الأزد وربيعة، وأقبل مدرك بن المهلب لينضم إلى أخيه يزيد بالبصرة، فلاقاه فرســان بني تميم، مضمرين قتله فعلمت الأزد بأمرهم فخرجت إليهم، ومنعتهم من الــتعرض له، فقال ثابت قطنة مفتخراً بقبيلة الأزد على شجاعتها في ملاقاة فرسان بني تميم، فما منعهم من قتل مَدْرِكٍ إلاّ رماح الأزد وعزّهم القديم في ميادين القتال، ومــا عُــرف عنهم من شجاعة وبأس، وبهؤلاء الفرسان من الأزد استطاعوا حمايته من قتل مؤكد، فقال[2]:

ألــم تــرَ دَوْسَــراً منعت أخاها	وقـــد حَشَـــدتْ لتقــتلَهُ تمـــيمُ
رأوْا مــن دونـــه الزُرقَ العوالي	وحــيّاً مـــا يُــباحُ لهــمْ حــريمُ
شَــنُوءتها وعمـــرانُ بــنُ حزمٍ	هــناك المجــدُ والحسبُ الصَّميمُ
فمــا حملــوا ولكــن نهْنَهــتَهُمْ	رمـــاحُ الأزدِ والعــزُّ القديـــمُ
ورددنــا مُدركـــاً بَمــردٌ صِــدقٍ	ولـــيس بوجهـــه مـــنكمْ كُلـــومُ
وخـــيلٍ كـــالقِداحِ مُســـوَّماتٍ	لـــدى أرضٍ مغانـــيها الجمـــيمُ
بهـــم تُسْــتَعْتَبُ السُــفهاءُ حــتّى	تــرى الســفهاءَ تردعُها الحُلومُ

وفـــي ســـنة ست ومائة كانت وقعة البروقان بين المضرية واليمانية وربيعة بالقـــرب من أرض بلخ، والسبب في هذه الوقعة أنّ مسلم بن سعيد غزا فقطع النهر، وتـــباطأ الناس عنه، وكان ممّن تباطأ عنه البختري بن درهم، فأحرق نصر بن سيّار باب البختري فمنعهم عمرو بن مسلم من دخول بلخ، فتجمعت بكر والأزد بالبروقان رأســـهم البختري، وخرجت مضر إلى نصر، وخرجت ربيعة والأزد إلى عمرو بن مسلم، ثمّ كرّت تميم وهزموا أصحاب عمرو.

وانهزم عمرو، وقام نصر ومن معه وجرّدوهم سراويلاتهم فقال بيان العنبري يذكر حروبهم بالبرقان، ويُشيد ببلاء قومه تميم، وقد أرجفت هذه الوقعة كلُّ من سمع عـــنها، ويصـّــور الشـــاعر كيف هربت قبيلة بكر والقبائل المتحالفة معها من وجه

---

(1) الشعر في خراسان، حسين عطوان، ص222.

(2) تاريخ الطبري، ج6، ص586.

فرسان تميم فقد أسلموا عمرو بن مسلم للموت، وكانت الرماح تلحق بهم، فقال[1]:

أتانـــي وَرَحْلـــى بالمديـــنةِ وقعـــةٌ ... لآلِ تمـــيمٍ أرْجَفَـــتْ كـــلَّ مُـــرجفِ

تظـــلُّ عُـــيونُ البُرش بكرِ بن وائلٍ ... إذا ذُكِـــرَتَ قـــتلى الـــبروقان تذرفُ

هُـــمُ أسلموا للموتِ عَمرو بن مسلمٍ ... وولَّـــوا شِـــلالاً والأســـنةُ تـــرْعُف

وكانت من الفتيانِ في الحربِ عادة ... ولـــم يصـــبُروا عـــندَ القنا المتقصّفِ

ونـــرى أن مـــبدأ الـــتحالف كان سائداً بين القبائل أثناء حروبها مع أعدائها، ويقـــول الدكتور إحسان النص: "أدركت القبائل في هذا العصر أن مصلحتها تقتضي بشـــدة تماسكها وتناصر أفرادها، لأنّها بتماسكها وتناصرها تستطيع تحقيق أغراضها من تبوّء المناصب الرفيعة في الدولة وجر المغانم إلى أبنائها"[2].

وفـــي ســـنة ست وعشرين ومائة أجمع على قتل الوليد بن يزيد جماعة من قُضـــاعة واليمانـــية مـــن أهـــل دمشـــق وذلك لما عُرف عنه من خلاعته ومجانته واستخفافه بأمر دينه، فثقل ذلك من أمره على رعيته وجنده، فكرهوا أمره، من أجل ذلك أجمعوا على قتله، فأتوا إلى خالد بن عبدالله فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم، فسألوه أن يكتم عليهم، فقال: لا أُسمّي أحداً منكم، وأراد الوليد الحج، فخاف الوليد أن يفتكوا به في الطريق، فأتاه فقال: يا أمير المؤمنين، أخّر الحج العام، فقال: ولِمَ؟ فلم يخبره، فأمر بحبسهِ وأن يُستأدى ما عليه من أموال العراق.

فقال عمران بن هلباء الكلبيّ يفتخر بالقبائل اليمانية لدورها في نجدة خالد بن عـــبدالله، ويُشيد بشجاعتها في مواجهة الأعداء ثمّ يمدح الشاعر خالد بن عبدالله وأنّ لـــه الفضـــل الكبير على الأموات والأحياء من نزار، فقد كان يغيث اليتامى، ويكفّن الموتى من نزار، ويثري حيّهم نشباً ومالا، ثمّ يتوعد الشاعر الذين جاروا على خالد ابـــن عـــبدالله، ويقول الشاعر لو أنّ الجائرين عليه كانوا بساحة قومه لكانوا نكالا، فقال[3]:

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص 32.

(2) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأُموي، إحسان النص، ص282.

(3) تاريخ الطبري، ج7، ص235 وما بعدها.

قِفــي صــدرَ المطــيّةِ يا حلالا   وجـــذّى حَبْلَ مَنْ قطعَ الوصالا
ألـــمْ يحـــزُنك أنّ ذوى يمـــانٍ   يُـــرى مـــنْ حـــاذ قَـــيْلهم جُلالا
جعلـــنا للقـــبائل مِـــنْ نـــزارٍ   غَـــداة المَـــرْج أيامـــاً طِـــوالا
مـــتى تلـــقَ السّـــكون وتلقَ كلباً   بعَـــبْسٍ تخـــشَ مِـــنْ ملكٍ زوالا
كـــذاكَ المـــرءُ ما لم يُلفَ عَدْلاً   يكـــونُ علـــيه مـــنطقُهُ وبـــالا
أعـــدُّوا آل حِمـــيرَ إذ دُعيـــتُمْ   سُـــيُوفَ الهـــندِ والأسَـــلَ النهالا
ســـنبكي خـــالداً بِمُهـــنَّداتٍ   ولا تَذْهَـــبْ صـــنائعُهُ ضَـــلالا
ألـــمْ يَـــكُ خـــالدٌ غيـــثَ اليتامى   إذا حضـــروا وكنـــتَ لهم هُزالا
يُكفِّـــنُ خـــالدٌ موتـــى نِـــزار   ويُـــثرى حَـــيّهم نَشـــباً ومـــالا
لـــو آنّ الجائريـــنَ علـــيه كانوا   بســـاحةِ قومـــهِ كـــانوا نكـــالا

وقـــد كان الوليد بن يزيد من فتيان بني أُميّة وظرفائهم وشعرائهم وكان فاسقاً خلـــيعاً متهماً في دينه مرمياً بالزندقة(1)، لذلك ثارت عليه بعض القبائل، فقال بعض شـــعرائهم يفتخرون ببلاء هذه القبائل ومنها كلب وغسّان وعبسٌ وتغلبُ أي أن هناك عدداً كبيراً من القبائل التي ثارت عليه، فقال بعض الشعراء(2):

فجـــاءتهُمُ أنصارُهمْ حين أصبَحوا   سَكاسِـــكُها أهـــلُ البُيوتِ الصَّنادِدِ
وكلـــبٌ فجـــاؤوهُمْ بخـــيلٍ وُعـــدّةٍ   مـــن البيضِ والأبدان ثمّ السّواعِدِ
فأكـــرمْ بهـــم أحـــياءَ أنصار سُنّةٍ   هُـــمُ مَـــنعوا حُـــرماتِها كلَّ جاحدِ
وجـــاءتهُمُ شـــعبان والازدُ شُرّعاً   وعَـــبْسٌ ولخـــمٌ بيـــن حامٍ وذائدِ
وغسّـــانُ والحـــيّان قَـــيسٌ وتغلبٌ   وأحجَـــمَ عـــنها كـــل وانٍ وزاهدِ
فمـــا أصْـــبحوا إلا وهُمْ أهلُ مُلكِها   قـــد استوثقوا من كلّ عاتٍ ومارِدِ

وقـــال أيضـــاً أبو محجن مولى خالد يفتخر بالقبائل اليمانية التي ثارت على الولـــيد بـــن يزيد، ويقول من يسأل وليداً ويسأل أهل عسكره ماذا فعلنا بهم، والخيلُ

---

(1) فـــي أدب الإسلام، محمد عثمان علي، دار الأوزاعي، بيروت – لبنان، ط2، 1986، ص541.

(2) تاريخ الطبري، ج7، ص242.

تحــتَ عجــاج الموت تطرّدُ، ويقول من يهجُنا بلغة الشعر، فإنّنا نهجُه بلغة السيوف والرماح، فقال[1]:

سـائلْ وليداً وسائلْ أهلَ عسكرهِ ... غـداة صـبّحهُ شُـؤبُوبُنا بَـرِدُ
هــلْ جاءَ مِنْ مُضرٍ نفسٌ فتمنعهُ ... والخيلُ تحتَ عجاجِ الموتِ تطّردُ
مــنْ يهجُنا جاهِلاً بالشّعر نَنْقُضُهُ ... بالبــيض إنـا بِهـا نَهْجُو ونَفْتئدُ

وهكذا ثارت القبائل اليمانية لنجدة خالد بن عبدالله القسري عندما علمت بأسر الولــيد بن يزيد له وحبسه، فقد كان خالد القسري والي العراق، شديد العصبية لقومه اليمنيين[2].

ب- الفخر الشخصي:

فــي ســنة أربــعٍ وســتين وبعد وفاة معاوية الثاني وفراغ منصب الخلافة الإســلامية، كانت وقعة مرج راهط بين القبائل القيسية التي كانت تُشايع عبدالله بن الزبير بقيادة الضحاك بن قيس الفهري، والقبائل اليمانية وخاصة قبيلة كلب التي كان هواها مع البيت الأُمويّ، فقال زُفر بن الحارث يتوعد بني أُميّة والقبائل اليمانية التي كانــت تناصــرها، وتقف معها ويتحسّر على من قُتل في المعركة من رجالات قيس وزعمائها ويؤكد على تنامي الجرح داخل نفسه، وأنّهُ لن ينسى ما حدث ويتوعد بأنّه سوف يأخذ الثأر من الأمويين، ويذكر بَلاءَهُ وشجاعته في المعركة فيقول مفتخراً[3]:

أريــنى ســلاّحى لا أبا لكِ إنّنى ... أرى الحــربَ لا تزدادُ إلاّ تَماديا
أتانــيَ عــن مروانَ بالغيبِ أنّهُ ... مقــيدٌ دمــى أو قاطعٌ من لسانيا
فــلا تحســبُونى إنْ تغيّبتُ غافِلاً ... ولا تفــرحوا إنْ جئــتُكم بلقائيا
أتذهــبُ كلــبٌ لــم تنلها رِماحُنا ... وتُــترك قتلى راهط هي ما هيا
فلــم تُــرَ مــنّى نــبوةٌ قبلَ هذه ... فِــرارى وتركى صاحبىَّ ورائيا
عشــية أعــدو بالقرانِ فلا أرى ... مــن الناسِ إلا مَنْ علىَّ ولا ليا
فلا صُلحَ حتّى تنحِطَ الخيلُ بالقنَا ... وتــثأرَ مــن نِسوان كلْب نِسائيا

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص261.

(2) العصر الأُموي، قصي الحسين، ص131.

(3) تاريخ الطبري، ج5، ص541 وما بعدها.

وعـــندما تمكّن وكيع وهو أحد قادة بني تميم من قتل قُتيبة بن مُسلم سنة ست وتسعين أخذ يفتخر بنفسه ونسبه، فقال[1]:

أنـــا ابـــن خِنِدفَ تنميني قبائلُهَا ... للصـــالحات وعَمّي قيسُ عَيلانا

كـــان كعـــب بـــن جابـــر أحد الكوفيين الذين كانوا يقاتلون مع بني أُميّة ضد الحســـين بن علي، فعندما انتهى القتال عادَ إلى الكوفة، فلامته امرأته أو أخته على ذلـــك[2]، ونلاحظ أنّ الشاعر ساخط على صاحبته غاضب عليها غضباً يصل به إلى هجائها، لأنّها تحولُ بينه وبين الإخلاص لمبدئه السياسي ويُعلن لها أنّ دينه ليس دين هـــذه العصـــبة التي خرجت مع الحسين وهو يقصد عقيدته السياسية، ويتحدث عن أســـلحته التي خرج بها للقتال ويتحدث أيضاً عن شجاعة أنصار الحسين وبطولاتهم وصبرهم ثمّ يتحدث ويفتخر بشجاعته، وأنّهُ يقاتل مع بني أميّة وعنهم باقتناع كامل، فهـــواه معهـــم، ودينه دينهم، وقد خبرهم وعرفهم مُذ كان غلاماً يافعاً، تشرّب حبهم وكبر معه احترامهم، وبالتالي فهواه ليس مع هوى الهاشميين أو غيرهم ممّن يُعادي الأمويين يقول[3]:

سَـلي تُخـبري عنّي وأنتِ ذميمةٌ ... غـــداةَ حُســـينٍ والـــرّماحُ شـــوارعُ
ألـــم آتِ أقصى ما كرهتِ ولم يُخِلْ ... علـــيَّ غـــداةَ الـــرّوع ما أنا صانعُ
معـــي يَـــزنيٌّ لـــم تَخُـــنْه كعوبُهُ ... وأبـــيضُ مخشـــوبُ الغَرارينِ قاطعُ
فجـــرّدتهُ فـــي عُصـــبةٍ ليس دينهُم ... بديـــني وإنّـــي بابـــنِ حـــربٍ لقانعُ
ولـــم تـــرَ عيني مِثلهم في زمانِهمْ ... ولا قـــبلَهم فـــي الـــناس إذ أنا يافعُ
أشـــدَّ قِراعاً بالسيوفِ لدى الوغى ... ألا كـــلُّ مـــنْ يحمي الذّمارَ مُقارعُ
وقد صبروا للطعنِ والضرب حُسّراً ... وقـــد نـــازلوا لـــو أنَّ ذلـــك نـــافعُ
فـــأبلغ عبـــيدالله إمّـــا لقيـــته ... بـــأنّي مُطـــيعٌ للخلـــيفةِ ســـامعُ

وعند محاصرة الحسين بن علي ومَنْ معهُ من أهل الكوفة سنة إحدى وستين من قبل الجيش الأُمويّ طلب منهم الحسين بن علي أن يكفّوا عنهم حتى يصلوا فقال

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص518.
(2) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص374.
(3) تاريخ الطبري، ج5، ص433.

لهم الحصين بن تميم: إنّها لا تُقبل، فقال له حبيب بن مظاهر: الصلاةَ لا تقبل من آل رســول الله صلى الله عليه وسلم وتقبل منك يا حمار، فحمل عليهم حصين بن تميم، وخرج إليه حبيب بن مظاهر، فضرب وجه فرسه بالسيف، فشبّ ووقع عنه، وحمله أصــحابه فاستنقذوه فجعل حبيب يقول مفتخراً بنسبه وبأبيه الفارس ويفتخر بمن كان مع الحسين من أنصاره وأنّهم أتقى من الأمويّين وأعلى حُجّةً فقال[1]:

أنـــا حبيـــب وأبـــى مُظاهـــرُ فـــارسُ هـــيجاءَ وحـــرب تُسَعرُ
أنـــتمْ أعـــدُّ عُـــدّة وأكـــثرُ ونحـــن أو فـــى مـــنكُمُ وأصبَرُ
ونحـــن أعلـــى حُجّـــةً وأظهـــرُ حقّـــاً وأتقـــى مـــنكمُ وأعـــذرُ

ولـــم يُـــتح للشعراء وخاصة الشعراء الكوفيين أن يتحدثوا عن ثورة الحسين ومصرعه إلا بعد وقت غير قصير، عندما بدأت صيحة "ياالثارات الحسين"[2]، ولعلّ السبب في ذلك هو خوف الشعراء من بني أُميّة.

وقـــد شارك الرجز إلى جانب القصيد في التعبير عن ثورة الحسين، وتسجيل بطولاتهـــا، فقـــد كـــان يـــزيد بن زياد الكنديّ يُناصر الحسين، فأخذ يرتجز مفتخراً بشجاعته ومفتخراً بنفسه وبآبائه فقال[3]:

أنـــا يـــزيد وأبـــي مُهاصِـــرْ أشـــجعُ مـــن ليـــثٍ بغيلٍ خادر
يـــا ربّ إنّـــى للحســـين ناصِرْ ولابـــن ســـعدٍ تـــاركٌ وهاجـــرْ

قال الحسين بن علي في خطبته "وأنا أحقُّ من غيري"[4]، ولعلهُ أراد من ذلك أن يُشعر المسلمين أن آل البيت أحقُّ من غيرهم في الخلافة لأنّهم ورثة النبي محمد صـــلى الله عليه وسلم وكذلك ليشعر المسلمين بحقيقة ادعاءات الأُمويّن الدينية، وفي أثناء معركة كربلاء أخذ الحسين بن علي يرتجز مفتخراً بشجاعته وعدم رضاه ببيعة

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص439.

(2) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص370.

(3) تاريخ الطبري، ج5، ص445.

(4) الشـــعر الأُمـــوي بين الفن والسلطان، عبدالمجيد زراقط، دار الباحث، بيروت – لبنان، ط1، 1983، ص274.

الخليفة وواليه عبيدالله بن زياد، لأنّ عبيدالله لا يستحق الولاية، لأنّهُ دعيّ النسب ولا ينتمي إلى آباء مشاهير معروفين، فقال(1):

أنــا علــيٌّ بــنُ حسين بن علي   نحــن وربُّ البيــت أولى بالنّبي

تالله لا يحكمُ فينا ابن الدّعي

وكــان عبدالله بن عمير الكلبيّ أحد أنصار الحسين، يرتجز أثناء قتاله مفتخراً بنســبه وبشجاعته، وأنّه يقاتل بشجاعة في صفوف الحسين، فهو يتقدمهم في القتال، فقال(2):

إنْ تُـنكروني فأنــا ابــن كلــبِ   حَسْـبي بَيْـتي في عُليمٍ حَسبي

إنّــي امــرؤٌ ذو مِــرّةٍ وَعَضبِ   ولســتُ بــالخوّار عــند النّكبِ

إنّــي زعــيمٌ لــكِ أمَّ وهــبِ   بالطعــن فــيهمْ مُقدِماً والضربِ

ضَربِ غُلام مؤمنٍ بالرَّبِّ

وقــال أيضــاً عمرو بن قرظة يرتجز مفتخراً بقتاله في صفوف الحسين بن علي(3):

قــد علمــتْ كتيــبةُ الأنصــار   أنّــي ســأحمي حــوزةَ الذّمــار

ضــربِ غُــلامٍ غير نكسٍ شاري   دون حســـينٍ مُهجـــتي وداري

وكمــا كان أنصار الحسين يفتخرون بقتالهم في صفوف الحسين بن علي نجد في المقابل أنّ أعداء الحسين يتباهون ويفتخرون بقتالهم لهُ، ومن هؤلاء شمر بن ذي الجوشن الذي أخذ يفتخر بشجاعته ويطلب من المقاتلين أن يتركوا الحسين وأنصاره له ليقتلهم، فقال(4):

خلّــوا عُــداة الله خلّوا عن شَمِرِ   يَضـِــرِبُهُمْ بســيفه ولا يَفِــرّْ

وهو لكم صابٌ وسمّ ومَقِرْ

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص446.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص430.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص434.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص442.

وفـــي الســـنة السادسة والستين بعث المختار جيشه للمكر بعبدالله بن الزُّبير، فقال العباس مرتجزاً يفتخر بشجاعته في لقاء جيش المختار[1]:

أنـــا ابـــنُ سهل فارسٌ غيرُ وكلْ أروعُ مِقــدام إذا الكــبشُ نَكــلْ
وأعــتَلي رأسَ الطِّــرمَّاح البطَلْ بالسّيف يومَ الرَّوع حتَّى يُنخزلْ

وفـــي سنة ثمان وستين هرَب عبيد الله بن زياد، ومات يزيد بن معاوية، فقال عبيد الله بن الحرّ لفتيانه: قد بيّن الصّبحُ لذي عينين، فخرج إلى المدائن فلم يدع مالاً قُدّم من الجبل للسّلطان إلاّ أخذه، فأخذ منه عطاءه وأعطية أصحابه[2].

ولـــم يكـــن ابـــن الحُرّ يُغير إلاّ على أموال الدولة، يجهد في حفظ النظام في المـــناطق التي يُسيطر عليها[3]، فكان ابن الحر كثيراً ما يصطدم مع المختار ويغير، وكان الثاني ينتقم منه بسجن امرأته أم سلمة الجُعفيّة، فلّما بلغ ذلك ابن الحُرّ أقبل في فتيانه حتى دخل الكوفة ليلاً، فكسّر باب السجن وأخرج امرأته ورجلاً كانا فيه.

فقال يفتخر بنفسه بأنه الفارس الحامي ويصف إمرأته ويشبه جبينها عندما بدا لهـــم بقرن الشمس، ويقول إنّ مغامرته هذه من أجل زوجته التي تستحق هذا، ومن أجـــل العـــيش الكريم، حيث يرى الأمل في العيش الكريم عندما يحقق انتصاره بعد المعركة، يقول[4]:

ألـــم تعلمـــي يـــا أُمَّ توبـــةَ أنّـــنى أنـــا الفـــارسُ الحامـــي حقائق مَذْحِجِ
وأنّي صبحتُ السّجن في سورة الضُّحى بكـــلّ فـــتىً حـــامى الذّمـــار مُدَجَّـــجَ
فمـــا إن بَرحـــن الســـجن حتى بدا لنا جبيـــنٌ كقـــرن الشـــمس غـــيرُ مُشَنَّجِ
ومـــا أنـــتِ إلاّ همّـــةُ الـــنفس والهوى علـــيكِ الســـلامُ مـــن خلـــيط مُســـحّجِ
فـــبالله هـــل أبصـــرتِ مـــثلى فارســـاً وقـــد ولَجُـــوا في السجن من كُلِّ مولجِ
ومـــثلى يُحـــامى دون مـــثلكِ إنّـــنى أشُـــدُّ إذا مـــا غمـــرة لـــم تفـــرّجِ
أضـــاربهم بالســـيف عـــنكِ لـــتَرجعى إلـــى الأمـــن والعيش الرفيع المُخرفجِ

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص74.
(2) المصدر نفسه، ج6، ص128.
(3) الشعر الأموي بين الفن والسلطان، عبدالمجيد زراقط، ص394.
(4) تاريخ الطبري، ج6، ص129 وما بعدها.

إذا مــا أحــاطوا بــى كــررتُ عليهمُ ككــرٍّ أبـــى شــبلين في الخيس مُحرجِ

ثــم قــام ابنُ الحرّ يعبث بُعمّال المختار وأصحابه، ووثب همدان مع المختار فأحرقوا داره، وانتهبوا ضيعته، فلما بلغه ذلك أقبل إلى السواد فلم يدع مالاً لهمدانيّ إلاّ أخـــذه، فقال يفتخر بنفسه وبشجاعته في كلّ موقف، ويقول أنّهُ ليس من الحق أن تُنهــب ضــياعه وتُحرق داره، وقبل ذلك قادوا زوجته إلى السجن، فتوعدهم بالقتل، فقال[1]:

ومــا تــركَ الكذّابُ مِنْ جُلِّ مالِنَا ولا الــزرقُ مــن همدانَ غيْرَ شريدِ
أفى الحَق أن تُنهبْ ضياعى شاكرٌ وتأمــنَ عــندي ضــيعة ابنِ سَعيدِ
ألــم تَعْلَمــى يــا أُمَّ توبــةَ أنَّنى علــى حدثــان الدهــر غَــيْرُ بليدِ
أشــدُّ حــيازيمى لكــلّ كــريهةٍ وإنــى علــى مــا نــاب جدُّ جليدِ
هُــمُ هدمــوا دارى وقادوا حليلتى إلــى سِــجْنِهِمْ والمسلمون شهودى
فمــا أنــا بابن الحُرّ إن لم أرُعْهُمُ بخــيلٍ تعــادى بالكمــاةِ أُســود

قــام مصعب بن الزبير بسجن ابنُ الحرّ، لأنّ بعض الناس قالوا لمصعب إنّ ابن الحُرّ شاق عبيد الله بن زياد والمختار ولا نأمنهُ أن يثبت بالسواد كما كان يفعل، قال ابن الحر يفتخر بنفسه ويتوعد مصعب بن الزُبير بالقتال وبالغارة عليه، وقد قال هذه القصيدة عندما خرج من الحبس[2]:

لا كُوفــةٌ أُمــيّ ولا بصــرةٌ أبى ولا أنــا يثنيــنى عن الرحلة الكَسلْ
فــلا تحســبنّى ابنَ الزُبير كناعسٍ إذا حــلّ أعفــى أو يقال لهُ ارتحل
فإن لم أُزرك الخيلَ تردى عوابساً بفُرســانها لا أُدعَ بالحــازم الــبطلْ
وإن لــم ترَ الغارات من كُلّ جانبٍ علــيك فتــندم عــاجلاً أيُّها الرّجل
فــلا وضعَتْ عندى حصانٌ قناعَها ولا عِشــتُ إلاّ بالأمانــي والعِلــلْ

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، 130.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص132.

3.4 الهجــاء:

لقــد ارتبط الهجاء بالأحداث التاريخية، مثله مثل المدح والرثاء والفخر، وقد جـــاء في المرتبة الرابعة من حيث الكم بين الأغراض الشعرية في تاريخ الطبري، وانقسمت قصائده ومقطوعاته إلى عدّة أقسام: هجاء الخلفاء والأمراء، وهجاء الولاة والقادة.

أ- هجاء الخلفاء والأمراء:

اتكــأ الشــعراء الأُمويون في جانبٍ كبيرٍ من أهاجيهم على المثالب التي اتكأ عليها الهجاؤون في الجاهلية، إذ عابوا مهجويهم بوضاعة النسب، ودناءة الحسب(1)، ومــن ذلك هجاء يزيد بن مفرّغ لأسرة زياد بن أبيه، فأخذ يهجو عبّاداً وأخاه عبيدالله والــي العــراق وأباهمـــا زياداً هجاءً مقذعاً، وكان مما وقف عنده طويلاً استلحاق معاويـــة بـــن أبـــي سفيان لزياد مُعلنا نكيره على هذا الاستلحاق، فكان أهل البصرة يتغـــنون بهجائـــه لتلك الأسرة، فأخذ يزيد ين مفرغ ينكر على معاوية أن يلحق زياد بنسبه ويقول له إن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان، فقال(2):

ألا أبلـــغ مُعاويـــةَ بـــن حَـــرْبٍ ... مُغَلْغَلَـــةً مـــن الـــرّجُل اليماني
أتغضـــبُ أن يُقـــال أبـــوكَ عفٌّ ... وترضـــى أن يُقـــالَ أبوكَ زانِ
فأشْـــهدَ أنّ رَحمَـــكَ مـــن زيادٍ ... كـــرَحم الفـــيل مـــن ولد الأتان

ونجـــد أن ابن مفرّغ يركز في هجائه لأسرة زياد بن أبيه على قضية النسب لمـــا لها من أهمية في حياة العربي الحُرّ؛ لأنّ العرب كانوا أكثر ما يتباهون بشرف النســـب والحسب فاستغل ابنُ مفرّغ قضية إلحاق معاوية لزياد بنسبه، فأخذ يهجوهم بها فقال(3):

إذا أودى مُعاويـــة بـــنُ حـــربٍ ... فبشّـــر شـــعبَ قعـــبكَ بانصداعِ
فَأشْـــهَدُ أنّ أمـــك لـــن تُباشـــر ... أبـــا سُـــفيان واضـــعة القـــناعِ
ولكـــن كـــان أمـــراً فـــيه لبسٌ ... علـــى وجـــلٍ شـــديد وارتـــياعِ

---

(1) الشعر في خراسان، حسين عطوان، ض187.

(2) تاريخ الطبري، ج5، ص318.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص318 وما بعدها.

أحفـــرتُمْ لأخـــيكمُ فوقعـــتمُ		فـــي قعرِ مُظلمةٍ أخوها المُعورُ
جـودوا بـتوبةِ مُخلصـينَ فإنّما		يـأبى ويأنف أن يتوبَ الأخصرُ

وعندما خرج ابن الأشعث من سجستان إلى العراق لحرب الحجاج، سار بين يديـه الأعشـى على فرس فقال قصيدةً يهجو فيها الحجاج، فيصبُ هجاءه أولاً على ثقـيف، تلـك القبيلة التي خرج منها كذابان: المختار ثم الحجاج، ويذكر أن الله هيأ لهمدان أن تتمكن من ثقيف لتنتقم منها، ثم ينتقل إلى الحديث عن حركة ابن الاشعث "السيد الغطريف" الذي خرج إلى الحجاج "الكفور الفتان" الذي كفر بعد إيمانه وطغى فـي كفـره، ويذكر أن ابن الأشعث خرج في جيش ضخم من العراق من القحطانية والعدنانـية على حدٍّ سواء، ويتوعد الحجاج "ولي الشيطان" بأن اليمنية يسقونه كأساً مسمومة قاتلة، يقول[1]:

شـطّت نـوى مـن دارُهُ بـالإيوانْ		إيـوان كسـرى ذى القُـرى والرَّيحانْ
مـن عاشـقٍ أمسـى بزابلسـتانْ		إنّ ثقـيفاً مـنهمُ الكذّابـانْ
كذّابُهـا الماضـى وكـذابٌ ثـانْ		أمكَـنَ ربـيّ مـن ثقـيفٍ همـدانْ
يومـاً إلـى الليل يُسـمّى ما كانْ		إنّـات سَـموْنا للكفـور الفـتّانْ
حيـن طغـى في الكفر بعد الإيمانْ		بالسّـيّد الغطـريف عبدالرحمـنْ
سـار بجمـع كـالدّبى مـن قحطانْ		ومـن معـدٌ قـد أتـى ابـن عدنـانْ
بِجَحْفَـل جـمٌ شـديد الإرنـانْ		فقـلْ لحجّـاجِ ولـيّ الشـيطانْ
يثبـتُ لَجْمـعِ مَذحـجٍ وهمـدانْ		فـإنّهم سـاقوه كـأسَ الذّيفـانْ
ومُلحِقوهُ بقُرى ابنِ مَروانْ

ب- هجاء الولاة والقادة:

تولّـى حرب الخوارج ولاة أُمويون منهم خالد بن عبدالله بن أسيد الذي ولي البصـرة ونهض لحرب الخوارج، ولكنّهُ وضع نفسه موضعاً حرجاً عند نهر تيري استنفذه منه المهلب فعاد الخوارج إلى كرمان كما عاد خالد إلى البصرة، وترك قيادة الجيش لأخيه عبد العزيز والي فارس، وتمكّن الخوارج من هزيمة عبدالعزيز هزيمة منكرة في دار بجرد وأسروا امرأته فأقاموها فيمن يزيد وقد تعرّض عبدالعزيز للوم

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص337.

شـــديد وتقـــريع بالغ من الشاعر ابن قيس الرقيات ويعيّره بفراره وهزيمته من قبل الخوارج وكيف أنّهُ ترك جيشه صرعى، فهذا عار عليه مدى الحياة، فقال[1]:

عــبدالعزيز فَضَحْتَ جيشك كلّهم ... وتركـــتهم صـــرعى بكلِّ سبيل
مـــن بين ذِى عطشٍ يجودُ بنفسهِ ... ومُلحَّـــب بيـــن الـــرّجال قتـــيل
هـــلاّ صـــبرتَ مع الشهيد مقاتلاً ... إذ رُحـــتَ منتكث القوى بأصيل
وتركـــت جيْشَـــك لا أميرَ عليهمُ ... فـــارجع بعـــارٍ في الحياة طويل
ونســـيتَ عِرْسَـــك إذا تُقادُ سبيّةً ... تُـــبكى العـــيون بـــرنّةٍ وعويل

وعـــندما بلـــغ معاوية بن أبي سُفيان أن حجر بن عديّ تجمع إليه شيعة عليّ ويُظهـــرون لعـــن معاوية والبراءة منهِ أمرَ معاوية بضرب عنقه فقتل[2]، فقال عُبيدة الكنديّ يُعيّر محمد بن الأشعث خذلانه حُجراً، وأنّهُ لم يقاتل إلى جانبه بل تخلّى عنه وتركه لمعاوية يقتله، فقال[3]:

أســـلمتَ عمَّـــك لـــم تُقاتِلْ دونَهُ ... فَـــرَقاً ولـــولا أنـــتَ كان منيعا
وقتلـــتَ وافِـــدَ آل بيـــت محمّدٍ ... وســـلبتَ أســـيافاً له ودُرُوعـــا
لو كنتَ من أسدٍ عرفتَ كرامتي ... ورأيـــتَ لى بيتَ الحُباب شفيعا

وفـــي ســـنة اثنتيـــن ومائـــة قامـــت التُرك بغزو خذينة السُّغد فقام سعيد بن عبدالعزيز بن الحارث بن أبي العاص بالتصدّي لهم ولأهل السُّغد الذين نقضوا العهد وأعـــانوا التُّرك على المسلمين، ولكن سعيد بن عبدالعزيز كان يهدف من ذلك جمع الغـــنائم، وليس محاربة التُّرك والتصدّي لهم، فكان إذا أراد المسلمون مناوشة التُّرك نـــادى مـــنادي ســـعيد لا تطلبوهم إنّما السُّغد بستان أمير المؤمنين، وقد هزمتموهم، أفـــتريدون بوارهـــم. وكان سعيد إذا بعث سريّة فأصابوا وغنموا، وسَبُوا، ردّ السبّي وعاقب السريّة، فقال الهجريّ يهجو سعيداً ويتهمه بالغدر والمكر، ويشبه حرب سعيد مع الأعداء بأنها لهو ولعب وأنّهُ لم يُشهر سيفهُ في وجوه الأعداء بل بقي في غِمده،

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص173.
(2) المصدر نفسه، ج5، ص256.
(3) المصدر نفسه، ج5، ص285.

فقال[1]:

وأنــتَ لِمن عاديتَ عِرسٌ خَفيّةٌ		وأنــتَ عليــنا كالحُســام المُهنّدِ
فلّلــه دَر السّــغدِ لمــا تحــزبّوا		ويــا عجــباً مــن كيدكَ المُتردّدِ

وقــال ابنُ عرس في قصيدة طويلة يهجو الجُنيد ويُعيرهُ بعدم جودة آدائه في حــروبه مع التُّرك في يوم الشّعب في نواحي سمرقند، فيقول ابن عرس إنّ الأعداء قديماً كانوا يتقون بأسَنا، فجاء الجُنيد فحوّل عزّنا إلى ذلٍّ، فيتساءل الشاعر أين حُماة الحــرب ورجالها الذين كانوا يزرعون الخوفَ في قلوب أعدائنا؟! ثمّ يتساءل أترى للميــت من رجعة أم للدهر من خلود؟ ثمّ يشبّه الجُنيد بالطفلة المدللة في خدرها ليس لهــا بالحــرب وكــيدِها، وصعوبتها، فبسبب جهلك أصبحنا حكايةً للغائب والشاهد، فالحرب تلعب بالجُنيد كلعب الصقور بالحمام الوارد الغافل، فقال[2]:

أيــن حُمــاةُ الحرب من معشَرٍ		كــانوا جمَــالَ المنسَــرِ الحاردِ
بَــادوا بآجــالٍ توافــوا لهــا		والعائــرُ المُمهــلُ كالــبائدِ
فالعيــنُ تُجــرى دَمْعهــا مُسبلاً		مــالدِمُوعِ العيــنِ مــن ذائــدِ
انظــرْ تــرى للميتِ من رجعةٍ		أمْ هــل ترىَ في الدهر من خالد
كــنًّا قديمــاً يُــتقّى بأسُــنا		ونَــذرأ الصّــادرَ بــالوارِدِ
حــتى مُنيــنا بــالذى شــامنا		مــن بعــدِ عــزٍّ ناصــرٍ آيِــدِ
إذ أنــتَ كالطّفلــةِ فــي خدرِها		لــم تــدرِ يومــاً كَــيْدَة الكــائدِ
إنّــا أنــاسٌ حَربُــنا صــعبةٌ		تعصِــفُ بالقــائمِ والقــاعدِ
أضــحت ســمرقندُ وأشــياعُها		أُحدوثــةَ الغائِــبِ والشــاهدِ
تلعــبْ بــك الحــربُ وأبناؤها		لَعْــبَ صُــقورٍ بِقطــاً واردِ
طــارَ لهــا قلــبُكَ مــن خــيفَةٍ		مــا قــبلك الطائــرُ بالعــائدِ
لا تحسِــبنّ الحربَ يومَ الضُحى		كشَــربكَ المُــزّاءَ بالــباردِ

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص614.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص86 وما بعدها.

وأساء أسيد بن عبدالله معاملة ثابت قُطنه، عندما استعمل أسيد عيسى بن شداد البُرجُمـــي إمرته الأولى، فأمره أن يُسيء إلى ثابت قُطنة، فغضب ثابت قطنة، فقام بهجـــاء أسد، فركّز في هجائهِ لأسد على قضية النسب فأخذ يُعيّره بوضاعة النسب، فكـــلٌّ يعـــرفُ أباه إلا أنتَ لا تعرف أباك وتتذبذب بينهم، ثمّ إنّهُ يعاتبه، فكيف تكنُ العـــداوة لي وأنا أقفُ إلى جانبكَ في مُحاربة عدوك، فأنتَ تغفر لمن أذنب فما بالك مع شخصٍ يُذنب، ويلومه لأنّهُ فضّل عليه عبدٌ لئيم كالبُرجُمي، يقول[1]:

أرى كَـــلَّ قـــومٍ يعـــرفونَ أباهُمُ   وأبُـــو بَجـــيلةَ بيـــنهُمْ يَـــتَذَبْذَبُ
إنـــى وجـــدتُ أبي أباكَ فلا تكن   إلـــباً علـــىَّ مـــعَ العـــدوّ تُجلّبُ
أرمـــى بِسَهمِى من رماكَ بسَهمِهِ   وعـــدوّ مـــن عاديتَ غيرُ مكذّبِ
أســـدُ بـــن عـــبدالله جلّـــلَ عفوُهُ   أهلَ الذّنونِ فكيفَ من لم يُذنب؟
أجعلتنـــي للـــبُرجُمِيّ حقيـــبةً   والـــبُرجميّ هـــو اللئيمُ المُحقبُ
عـــبدٌ إذا اســـتبقَ الكِـــرامُ رأيتهُ   يـــأتى سُكيناً حاملاً في الموكبِ

قُـــتل زياد بن مُقاتل أثناء قتاله في وقعة الزاوية التي دارت بين الحجاج وابن الأشعث، فقامت حَميدة ابنتُه تندبُه، فقالت[2]:

وحـــامى زيـــادٌ علـــى رايتـــيهِ   وفـــرَّ جُـــدىُّ بـــنى العنـــبرِ

فسمعها البلتع السعديّ وهي تندب أباها، وتعيب التميميّ فقال يهجو أباها زياد ابن مُقاتل ويعيّرهُ بضعفه وعدم قدرته على القتال، فيقول لها لا تلومي من قتله ولكن لومي أباكِ الذي قُتِل أثناء فراره، فقال[3]:

عَـــلامَ تلوميـــنَ مـــن لـــم يُلـــمْ   تَطـــاول لـــيلَكَ مـــن مُعْصِـــرِ
فـــإن كـــان أردى أبـــاكِ السّنانُ   فقـــد تلحـــقُ الخَـــيلُ بالمدبِـــرِ
وقـــد تَـــنْطحُ الخَيلُ تحتَ العَجَا   ج غـــيْرَ الـــبرىّ ولا المُعـــذِرِ
ونحـــنُ منعـــنا لـــواءَ الحَريش   وطـــاح لـــواءُ بـــنى جحْـــدرِ

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص51.
(2) المصدر نفسه، ج6، ص344.
(3) المصدر نفسه، ج6، ص344.

وفي السنة العاشرة بعد المائة خرج أشرس بن عبدالله ليغزو أهل السُّغد الذين وقفوا مع التُرك على المسلمين، ونقضوا العهد معهم، فوجّه أشرس رجلاً يُقال له مسعود أحد بني حيّان في سريّة، فلقيهم العدو، فقاتلوهم، فأصيب رجال من المسلمين وهزم مسعود، فقال بعض شعرائهم يعيرونه بالهزيمة وخيبته في القتال وأنّهم رجعوا يجرون أذيال الهزيمة ولم يغنموا[1]:

خابَتْ سريّة مسعودٍ وما غنِمتْ	إلا أفانينَ من شدٍّ وتقريبِ
حلُّوا بأرضٍ قِفارٍ لا أنيس بها	وهُنَّ بالسَّفح أمثالُ اليعاسيبِ

3.5 أغراض أخرى:

هناك موضوعات أُخرى لم تكن بحجم الأغراض التي درسناها من حيث الكم، وقد رأينا أن نسلط عليها الضوء ومنها:

1- شعر الحكمة والموعظة:

كانت المقطوعات الشعرية التي تندرج تحت باب الحكمة تتحدث عن الصبر على تقلبات الدهر، وإنّ الموت نهاية كلّ شيء، وأنّ لا شيء يدوم في هذه الحياة، وأنّ الفرح زائل، لذلك يجب على الإنسان أن لا يغتَّر بالدنيا ونعيمها فهي إلى زوال واندثار، يقول عبدالحميد بن يحيى[2]:

ترحّلَ ما ليس بالقافل	وأعقبَ ما ليس بالزّائلِ
فلهفي على الخلفِ النازلِ	ولهفي على السلفِ الراحلِ
أبكّي على ذا وأبكي لذا	بكاءَ مُولّهةٍ ثاكلِ
تُبكّى من ابن لها قاطعٍ	وتبكى على ابنٍ لها واصلِ
فليست تفتّرُ عن عبرةٍ	لها في الضّمير ومن هاملِ
تقضّت غَواياتُ سُكرِ الصّبى	وردَّ التُقى عننَ الباطلِ

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص57.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص182.

وقـــال الحسين بن علي أبياتاً يُعلن فيها تبرُّمهُ من الدهر، فهو خليلٌ لا يؤمن جانبه وغير وفيٍّ، وسوف يحصد الدهر أصحابه وأخلاءه يوما ما[1]:

يــا دهــرُ أفٍّ لــك مــن خليل كــم لــك بالإشــراق والاصيل

مــن صــاحبٍ أو طالــبٍ قتيل والدّهـــرُ لا يقـــنعُ بالـــبديل

وإنّمــا الأمــرُ إلـــى الجلـــيل وكـــلُّ حـــيٍّ ســـالكُ السّـــبيل

وقـــد لجـــأ كثـــير من المسلمين إلى حياة الاعتكاف والزهد احتجاجاً على ما ينكرون من النظام السياسي[2]، فكانوا يطمعون في تغيير نظام الحكم الأُمويّ، فكانت النتـــيجة دائمـــاً ضـــدهم، فنظرت إليهم الدولة على أنّهم مصدر تهديد لها، فعاملتهم بقســـوة، واستباحت دماءهم، فلم يجدوا أمام هذا الظلم وتلك القسوة وما استولى على نفوســـهم من فزع وخوف، إلا أن يعتصموا بحبل الله وينصرفوا عن متاع الدنيا إلى مـــتاع الآخـــرة، فتحول أولئك الذين خسروا الحروب الداخلية ولم يستطيعوا اقتناص الدنيا من أيدي الأُمويّين إلى الزهد فيها[3].

ونتـــيجة لانتشار الموجة الدينية من الزهد والتقشف والتعبد أن طُبعت نفسية كثـــير مـــن الشـــعراء في العصر الأُمويّ بطوابع جديدة لم تكن مألوفة في العصر الجاهلي[4].

فقال عبدالملك بن مروان بيتاً من الشعر يُظهر فيهِ إيمانهُ بالفناء والنهاية، وأنّ الجديـــد إلى خلقٍ وبلى، والإنسان سيصبح ماضياً بعد أن كان كياناً موجوداً وفاعلاً، فقال[5]:

وكـــلُّ جديـــدٍ يـــا أُميمَ إلى بلىً وكلُّ امرئٍ يوماً يصيرُ إلى كان

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص420.

(2) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص201.

(3) التطور والتجديد في الشعر الأُموي، شوقي ضيف، ج5، ص59.

(4) المرجع نفسه، ص61.

(5) تاريخ الطبري، ج6، ص167.

ومـــا دام الإنسان في حياته إلى زوالٍ وإنتهاء فعليه أن يؤدي الرسالة المُلقاة علـــى عاتقه، ويؤدي دوره، لأنّ الحياة علمتنا أن ما كان فاعليةً في لحظة من الزمن سيصبح ماضياً، وأنّ الحاضر سيصبح ماضياً كأنّ لم يكن، يقول أيضاً[1]:

اعمـل علـــى مهـلٍ فإنّك ميّتٌ   واكـــدحْ لنفســكَ أيُّهــا الإنسان
فكــأنّ ما قد كان لم يكُ إذ مضى   وكــأنّ مــا هــو كائــنٌ قد كان

وكـــثُر حديــث الشــعراء عن الدهر لما له من أثر في الأحياء فإمّا أن يأتي بالــرزؤ بالمــال أو بفــراق الأحــبة كما قال زيادة بن زيد، وتمثَّل به عبدالملك بن مروان[2]:

هــل الدهرُ والأيام إلاّ كما ترى   رزيــئةُ مــالٍ أو فــراقُ حبيبِ
ولــيس بعــيدٌ مــا يجيء كمقبلٍ   ولا مــا مضى من مُفرح بقريبِ

وتمـــثّل عبدالله بن الزُبير بأبيات عبدالله بن الزَّبير بأبيات للحُصين بن الحمام المرُّي وفيها دعوة إلى الإقدام ما دام الموت هو النهاية المحتّمة[3]:

أبـــى لابـــن سَــلْمىَ أنّهُ غيرُ خالدٍ   مُلاقـــى المـــنايا أىّ صرفٍ تيمّما
فلســـتُ بُمبـــتاعِ الحـــياة بُسّـــبةٍ   ولا مُــرتقٍ من خَشيةِ الموتِ سُلّما

وفـــي السنة السابعة والعشرين بعد المائة خرج عبدالله بن معاوية بن عبدالله ابـــن جعفر إلى الكوفة وأخذ يدعو لنفسه، ثمّ خرج إلى المدائن، ثمّ خرج منها فغلب على الماهيين وهمدان وأصبهان والريّ، وخرج إليه عبيد أهل الكوفة فقال أبياتاً من الحكمـــة تدلُ على تشمّره بالدعوة لنفسه وان لا يلوم الإنسان شخصاً آخر على فعلٍ يفترضه، ويجب أن يتطابق القول مع الفعل عند الإنسان يقول[4]:

فـــلا تَرْكَبَـــنّ الصـــنيعَ الـــذي   تلـــومُ أخـــاك علـــى مـــثله
ولا تُعْجِبَـــنّكَ قـــول امـــرئٍ   يخـــالف مـــا قـــال فـــي فعلـــه

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص167.
(2) المصدر نفسه، ج6، ص185.
(3) المصدر نفسه، ج6، ص191.
(4) المصدر نفسه، ج7، ص303 وما بعدها.

2- الحماسة:

شـــارك الرجــز إلى جانب القصيد في مواكبة الأحداث في تاريخ الطبري، فالرجــز مــنذ أقــدم عصــوره فن شعبي كانت العرب تعتمد عليه كثيراً في أثناء حــروبها[1]، وكأنمــا كان المقاتلون يجدون في تفعيلاته السريعة المتكررة في تماثل متصــل تشــابهاً مع حركات القتال. وكان المقاتل يتغنى به في أثناء القتال مفتخراً بشجاعته وبطولته، أو متوعداً أعداءه بالموت والهزيمة[2].

فعــندما توجّــه مسلم بن عُقيل إلى الكوفة لأخذ البيعة للحسين بن علي، عَلِم بذلــك عبــيدالله بن زياد فأرسل في طلبه وتوجهوا لقتاله فخرج إليهم مسلم بن عُقيل ليقاتلهم فأخذ يرتجز وهو مصمم على أن يحتفظ بحريته ولو أدى هذا إلى قتله، وهو يعلن في صراحةٍ وصدقٍ أن الموت شيءٌ منكرٌ، فالموت شيء لا يحبه ولكنه لا يفرُّ مــنه ما دام قد صمّم على الإحتفاظ بحريته، ثمّ يحاول أن يهدئ من روعه، فيحدث نفســه أنّ الدنيا مُتقلّبه، وكل امرئ فيها لا بدّ أن يُلاقي منها ما يسوءه، فالبارد الحلو لا بُدّ أن يخلط يوماً بسخن مر، والأيام الناعمة الظليلة لا بُدّ أن يشوبها هجير القيظ، بــل إنّ شــعاع الشمس المتدفق في حيوية ونشاط لا بُدّ أن يرتد في النهاية ويستقر، فكــلُ ضياء لا بُدّ بعده ظلام فالشاعر حريص على الحياة ولكنه حريص أيضاً على الحرية[3]:

أقســمتُ لا أُقــتل إلاّ حــراً   وإن رأيــتُ الموتَ شيئاً نُكرا
كُــلُ امــرئٍ يوماً مُلاقٍ شرّاً   ويُخلــط الــبارد سُــخناً مُرّا
رُد شُــعاع الشــمس فاستقرا   أخــافُ أن أُكــذبَ أو أغــرّا

ويُعــدُّ عــبدالله بــن عــوف بن الأحمر من الشعراء المعدودين الذين أنجبوا المكتّمات، وهي القصائد النارية التي ولدت يوم قُتل الحسين رضي الله عنه[4].

---

(1) حياة الشعر في الكوفة، يوسف، خليف، ص333.

(2) المرجع نفسه، ص333.

(3) تاريخ الطبري، ج5، ص374.

(4) المُكتّمات، كاظم الظواهري، ص87.

وعـــندما خـــرج الـــتوابون ليثأروا للحسين سنة خمس وستين قال عبدالله بن الأحمر أبياتاً من الرجز وهو يتقدم جيش التوابين إلى عين الوردة، ويمثل هذا الرجز صـــورة لتلك الحماسة التي كانت تسيطر عليهم وهم في طريقهم إلى القتال، فصورة الخـــيل العوابـــس التي تخرجُ للقتال أرسالاً بعضها في إثر بعض، وقد حملت فوقَ مـــتونها أولـــئكَ الأبطـــال الذين تلمع في أيديهم السيوف، وقد خلفوا وراءهم الأهل والأحباب والأموال.

فقـــد كان هذا الشاعر ينشد هذا الرجز وهو خارج إلى القتال "على فرس لهُ مَلهُوبٍ كميتٍ مربوع يتأكل أكلاً" كما يقول رواة الطبري[1].

ولـــم يكـــتفِ الشـــاعر بهـــذه الصورة الحماسية الرائعة، بل أتخذ منه مجالاً للإعـــلان عـــن مبادئ الثورة، فهو يعلن أنّهم خرجوا لقتال أولئك الظالمين الغادرين الضالين، وأنّهم يريدون أن ينالوا رضا الله، فقال[2]:

خرجـــن يَلْمعـــنَ بـــنا أرسَـــالا   عوابســـاً يَحمِلْنَـــنا أبْطـــالا
نُـــريدُ أن نلقـــى بـــه الأقـــتالا   القاســـطينَ الغُـــدُرَ الضُـــلاّلا
وقـــد رَفَضْـــنا الأهـــلَ والأمْوَالا   والخَفِـــراتِ البِـــيضَ والحِجـــالا
نُرضى به ذا النِّعم المِفضالا

كـــان أكـــثر الرجز المؤيد لثورة التوابين قد جرى على لسان المختار نفسه، ويرى الدكتور يوسف خليف أنّ رجز المختار يتفاوت بين الأسلوب العربي التقليدي الذي كان القدماء يستخدمونه في رجزهم، وبين الأسلوب الإسلامي الجديد الذي يتأثر بألفـــاظ القـــرآن وأساليبه، فهو أحياناً حديث عن الشجاعة والبطولة، واستلهام لحواء الخالدة في مواقفِ الفزع على نحو ما كان يفعل القدماء في رجزهم[3]، فقال[4]:

قـــد علمتْ بيضاءُ حسناء الطلل   واضـــحةُ الخدين عجزاء الكَفَل
أنِّي غداةَ الرّوعِ مقدامٌ بطل

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص591.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص591.

(3) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص389.

(4) تاريخ الطبري، ج6، ص20.

وقـــال عتّاب بن ورقات أرجازاً حماسية يفتخر بقتاله الأزارقة ويشبههم بأنّهم كالكلاب، فيسألهم عن فعله بهم وقتاله إياهم، فيسبب لهم القلق والخوف بالليل والنهار ثم يصفهم بأنّهم أشرار، فقال[1]:

كـــيف تَـــرَوْن يـــا كلابَ النار	شــــدَّ أبــــى هُريـــرةَ الهـــرّار
يهـــــرُكم باللَّـــــيل والـــــنهار	يـــا بـــن أبي الماحوز والأشرار

كيف تُرى جَيَّ على المِضمار

وعـــندما خـــرج الحسين بن علي لمواجهة الأعداء في موقعة كربلاء، تمثل ببيتين من الشعر، يُظهر فيهما تجلّدهُ وصبرهُ أمام الموت وأنّ الموت حقّ على الفتى وليس عار، فإذا أراد المرء أن يجاهد بحق فعليه أن يهيئ نفسه للموت، فقال[2]:

سأمضى وما بالموتِ عارٌ على الفتى	إذا مـــا نـــوى حقّـــاً وجـــاهد مسلما
وآســـى الـــرجالَ الصـــالحينَ بنفسه	وفـــارق مثـــبوراً يغـــشُ ويُـــرغما

3- الشكــــوى:

وردت بعـــض المقطوعـــات الشعرية التي تدور حول الشكوى سواء أكانت شـــكوى اقتصادية أم شكوى سياسية فالعامل الاقتصادي كان له أثرهُ العميق في حياة الناس والشعراء في أثناء هذا العصر، فقد خرجوا إلى المدن واتسعت بهم ضرورات الحياة، وفُرّق بين رجل البادية ورجل المدينة في المطالب اليومية لحياته ومعيشته[3].

فقـــد تذمّر أهل الكوفة من فساد عامر بن مسعود بن خلف القرشيّ (دحروجة الجُعـــل) الذي ولاّهُ أهل الكوفة عليهم سنة أربع وستين للهجرة، فأخذوا يتذمرون من سياســـته المالية فقد كتب عبدالله بن همّام السّلولّي شكوى طويلة فيهم إلى ابن الزبير يشـــكي فـــيها عمال العراق وأصحاب الخراج ومنهم عامر بن مسعود، وما نقصوا الـــناس مـــن ثمرات، فهؤلاء العمال لا يوفّون الأمانة حقّها إلاّ غصباً واحتيالاً على اقتطاع أموال الناس[4].

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص125.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص404.

(3) التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، ج5، ص118.

(4) تاريخ الطبري، ج5، ص529.

فقال عبدالله بن همّام السّلولي والبيت من قصيدة طويلة:

اشـــدُدْ يديــكَ بزيدٍ إن ظَفِرت به   واشفِ الأرامل من دُحْروجة الجُعَل

وأخـــذ يشـــكوا نهار بن توسعة إلى ابن المهلب تردي الوضع الاقتصادي في خُراســـان، ويقـــول الشـــاعر أنّهم كانوا يتأملون به خيراً، ولكن حين أخرّ يزيد بن المهلـــب البكرييّـــن بعض التأخير وأسرف في قطيعتهم، وأحتجب عنهم، وعبس في وجوههـــم، واصطنع أهل الشام وخراسان واعتمد عليهم، ولم يعاتبه عتاباً رقيقاً، بل وبّخه توبيخاً فاحشاً، كما أنذره بتمرد البكرييّن عليه، وعملهم من أجل الإحاطة به إذا هو لم يلتفت إليهم، يقول[1]:

ومـــا كُـــنّا نُؤَمّـــلُ مـــن أمـــير   كمـــا كُـــنّا نُؤَمـــلُ مـــن يـــزيد
فأخطـــأ ظنُّـــنا فـــيه وقدمـــاً   زهدنـــا فـــي معاشـــرةَ الزّهـــيد
إذا لـــم يُعطِـــنا نَصـــفاً أمـــيرٌ   مَشـــينا نحـــوهُ مِـــثلَ الأُســـود
فمهـــلاً يـــا يـــزيدُ أنِـــب إلـيـــنا   ودَعْـــنا مـــن معاشـــرةِ العبـــيد
نجـــيءُ فـــلا نـــرى إلاّ صُدوداً   علـــى أنـــا نُسَـــلم مـــن بعـــيد
ونَـــرجعُ خائبيـــنَ بـــلا نـــوالٍ   فمـــا بـــالُ الـــتجهُّم والصُّـــدودِ

كانت كرمان في أيدي الخوارج وفارس في يد المهلّب بن أبي صُفرة فبعد أن تمكـــن مـــن هـــزيمة الأزارقـــة بقيادة قطري بن فجاءة أصبحت فارس كُلهّا في يد المهلّب، فأخذها الحجاج وبعث عليها عُماله، فبلغ ذلك عبدالملك فأمر أن تكون فارس فـــي يـــد المهلـــب، فقـــال الرُّقاد بن زياد بن همّام يشكو إلى المهلب بأنّهم يقاتلون، ويجيبون الخير للآخرين[2]:

نُقـــاتل عـــن قُصـــور دار بجرد   ونجـــبى للمغـــيرة والـــرُّقاد

كتـــب عبـــيدالله بن الحُرّ الجعفي قصيدة إلى عبدالله بن الزبير يشكي فيها من ســـوء معاملـــة مصعب بن الزبير له فهو يهجوه، ويُقدّم عليه أهل البصرة، فهو يُبلّغ أمير المؤمنين أن مصعباً قد جعل وزرائه ممّن كان ابنُ الحر يحاربهم ويقول أنّ من

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص528.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص301.

حقــه أن يتولى منصباً مهماً في الدولة كيف لا وقد كان ممّن بايع عبدالملك بالخلافة ولــي عــندكم حــق وأطالــبكم به، وكذلك ساند الدولة بماله، وإذا أراد الدخول إلى مصعب منعهُ حاجبه من الدخول إليه، يقول[1]:

أبلـــغ أمـــيرَ المؤمنيـــن رســـالةً فلســتُ علـــى رأيٍ قبـــيحٍ أورابُهْ

أفي الحقّ أن أُجفى ويَجعل مُصعبٌ وزيـــريه من قد كنتُ فيه أُحاربُهْ

فكـيفَ وقـد أبليـتُكم حــقَّ بيْعتي وحقّــي يُلــوى عــندكُم وأطالُــبهْ

وأبليـــتُكُمْ مـــالاً يُضَــيعُ مِــثْلُهُ وآســيتُكم والأمــرُ صعبٌ مراتبُهْ

فلمّــا اســتنار الملكُ وانقادتِ العدا وأُدْرِكَ مــن مــال العِراقِ رغائبُهْ

جفــا مُصعبٌ عنّي ولو كان غيرَهُ لأصــبحَ فــيما بينــنا لا أعاتِــبُهْ

إذا قمــتُ عــند الباب أدْخلَ مُسلمٌ ويمنعُــنى أن أدخُــلَ البابَ حاجِبُهْ

4- التشفــي:

وقــال عبدالله بن همّام السّلولّي يتشفى بمقتل أوفى بن حُصن على يد زياد بن أبــيه، وأنّ جبنهُ شقاءه قادهُ إلى ليث عرين وحيّة صمّاء، فيُشّبه زياد بالحية السامة التي تلدغ دون أن يشعر بها أحد، فيقول[2]:

خيّــب اللهُ سَعْيَ أوْفَى بن حِصنِ حيــن أضْــحَى فــرُّوجةَ الرقّاءِ

قــادهُ الجُبْــنُ والشقاءُ إلى ليثِ عريـــنٍ وحـــيّةٍ صــــمّاءِ

وعــندما قُتل الحسين بن علي حمل قاتله وهو رجل من مذحج رأسه لينطلق بهــا إلــى عبيد الله بن زياد، ويقف أمامهُ ليصور له شعوره في شطور من الزجر تُشــيع فــيه عاطفــة الفرح والزهو، فرح القاتل بهذه الهدية الغالية التي يحملها إلى الأمــير، والتــي سينال عليها الذهب والفضة، لذلك فإنّهُ يبدأ رجزه لا بالحديث عن الحادثة التي تعني الأمير، وإنّما بالحديث عن الجائزة التي تعنيه هو، يقول[3]:

أوقَــرْ ركابــي فضّــةً وذَهَــبا فقــد قَتَلْــتُ المَلِــكَ المُحجّــبَا

قتلــتُ خــيرَ الــناس أمّــاً وأبا وخــيرَهم إذ يُنســبُون نَسَــبا

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص136.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص236.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص390.

الفصل الرابع
مواكبة الشعر للأحداث

1.4 انتقال السلطة للأمويين:

كـــان الشعر في تاريخ الطبري مواكباً للأحداث التاريخية مُنذ بدايتها إلى أن تنتهـــي، وقـــد تحدثتُ عن انتقال السُلطة للأمويين أثناء الحديث عن الحياة السياسية والذي يهمنا في هذا الفصل مواكبة الشعر للأحداث.

قدمت الوفود لمبايعة عليٍّ رضي الله عنه بعد أن قُتل سيدنا عثمان بن عفان، لكنّ معاوية بن أبي سُفيان رفض مبايعة علي، فادّعى معاوية أنّهُ ولي دم عثمان بن عفان واستطاع أن يستأثر بحكم الشام دون الخليفة الرابع(1).

أقـــنع معاوية بن أبي سُفيان أهل الشام بضرورة مُحاربة علي بن أبي طالب، فسار علي ومعه أتباعه إلى صفّين وسار كذلك معاوية وأتباعه فاقتتلوا مدة شهر ذي الحجـــة، ولمّا دخل شهر المحرّم تحاجز القوم وتوادعوا على ترك الحرب طمعاً في الصلح(2).

بعـــد شهر مُحرّم عادوا إلى القتال مرةً أخرى، وكان على من خرج من أهل الكوفة يومئذ ابراهيم بن الأشتر، وعلى أهل الشام حبيب بن مسلمة(3).

أخذ عليٌّ يشجع المسلمين على القتال، ويدعوهم إلى التحلي بالصدق والصبر، ويدعوهـــم إلى لقاء القوم بالجدّ والحزم، فقال: "الحمد لله الذي لا يُبرم ما نقض، وما أبـــرم لا ينقضُه الناقضون، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه، ولا تنازعت الأمة في شـــيء مـــن أمـــره، ولا جحد المفضولُ ذا الفضل فضله، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقـــدار، فلّفـــت بنينا في هذا المكان، فنحن من ربّنا بمرأى ومسمع، فلو شاء عجّل النّقمة، وكان منه التغيير، حتى يكذّب الله الظالم ويعلم الحقُّ أين مصيره، ولكنّه جعل الدنـــيا دار الأعمـــال، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار، ليجزي الذين أساؤوا بما

---

(1) في أدب الأسلام، محمد عثمان علي، ص330.

(2) تاريخ الطبري، ج5، ص5.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص12.

عملوا ويجزيَ الذين أحسنوا بالحسنى، ألا إنكم مُلاَقو القوم غداً، فأطيلوا الليلة القيامَ، وأكـــثروا تلاوة القرآن وسلوا الله عزَّ وجلَّ النّصر والصبر، والقوهم بالجدّ والحزم، وكونوا صادقين، ثم انصرف، فوثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها، ومرّ بهم كعب بن جُعيل التغلبيّ وهو يرتجز فقال[1]:

أصـْبَحتِ الأمّـــةُ في أمرٍ عَجَبْ والمُلــك مجمـــوعٌ غداً لمن غَلَبْ
فقلـــتُ قـــولاً صـــادقاً غيرَ كذِبْ إنّ غـــداً تهلـــكُ أعـــلامُ العربْ

أخــذ ابراهــيم بــن الأشتر يُحمس المقاتلين ويشجعهم على القتال فكان يقول للمقاتليـــن: "عضّوا على النّواجذ من الأضراس واستقبلوا القوم بِهَامِكمُ، وشدّوا شدّة قوم موتورين ...." [2].

وأخـــذ عـــبدالله بن بديل يستقدم أصحابه للقتال، فأرسل إليه الأشتر ألاّ تفعل، فـــأخذ يُقـــاتل حتّى قُتل، وكان معاوية قال لابن بُديل وهو يُقاتل: أترونه كبش القوم، فلمـــا قُتل مدّوه فقال معاوية: "والله لو استطاعت نساء خُزاعة أن تقاتلنا فضلاً على رجالها لفعلتْ، ومُدّوه، فمدُّوه، فقال: هذا والله كما قال الشاعر[3]:

أخو الحَرب إنْ عضّت به الحرب عَضَّها وإن شَّـــمرت يوماً به الحربُ شمّرا

زحـــف الأشـــتر إليهم فاستقبله معاوية بعكّ والأشعرين فقال الاشتر لمذحج: اكفونـــا عكّـــاً، ووقف في همدان، وقال بكندة: اكفونا الأشعرين، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأخـــذ يخـــرج إلى قومه فيقول: إنّما هم عكّ، فاحملوا عليهم، فيجثون على الرُكب ويرتجزون[4]:

يـــا ويـــلَ أمِّ مَذحـــجٍ مـــن عَكّ هاتـــيكَ أمُّ مَذْحِـــجٍ تُـــبكّى

فقـــاتلهم الأشتر في همدان، ثمّ شدَّ عليهم شدّةً أُخرى وكانوا مُعقّلين بالعمائم، ودعـــا معاوية بفرس فركب، وكان يقول: "أردت أن أنهزم فذكرتُ قول ابن الإطنابة

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص13 وما بعدها.
(2) المصدر نفسه، ج5، ص23.
(3) المصدر نفسه، ج5، ص23 وما بعدها.
(4) المصدر نفسه، ج5، ص24.

من الأنصار[1]:

أبـتْ لـي عفَّـتي وحياءُ نَفْسي ... وإقدامـي علـى البَطَلِ المُشيحِ
وإعطـائي علـى المكروهِ مالي ... وأخـذي الحَمـدَ بالثَّمن الرَّبيحِ
وقولـي كلّمـا جشأت وجاشت ... مكـانكِ تُحمـدي أو تَسْـتَريحي

ومِمّـن أبلـوا بلاءً حسناً في قتال صفين، شمر بن ذي الجوشن، وفي إحدى المرات دخل في قتال مع أدهم بن محرز الباهلي فقال شمر – وكان أدهم من ضرب وجهه بالسيف سابقاً –[2]:

إنّـي زعـيمٌ لأخـي باهلـهْ ... بطعـنةٍ إنْ لـم أُصـبْ عاجلهْ
أو ضـربةٍ تحـت القنا والوغى ... شـبيهةٍ بالقـتل أو قاتلـهْ

ومـن القـبائل التي كانت في صف علي أيام صفين، ربيعة وقاتلت مع علي قتالاً شديداً، وفي ذلك يقول علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه[3]:

لِمـنْ رايـةٌ سـوداءُ يخفِق ظلُّها ... إذا قـيل قدّمهـا حُضـينُ تقدّمـا
يُقدِّمُهـا في الموت حتى يُزيرها ... حياضَ المنايا تقطرُ الموتَ والدّما
أذقـنا ابنَ حربٍ طعننا وضرابنا ... بأسـيافنا حـتى تولّـى وأحجمـا
جزى اللهُ قوماً صابروا في لقائهم ... لدى الموتِ قوماً ما أعفَّ وأكرما

وعـندما أصبح الموقف العسكري لغير صالح معاوية ومن شايعه من القبائل العربـية لجأ معاوية حينئذ إلى الحيلة والدهاء، فاستعان بعمرو بن العاص المشهور بالمكـر والخداع، فأشار عليه عمرو برفع المصاحف على أسنّة الرماح وتعليقها في أعناق الخيل، ومطالبتهم بتحكيم القرآن[4].

اتفق الفريقان على التحكيم بدومة الجندل، وأن يختار كلٌّ من الفريقين مندوباً، فاخـتار أهل الشام عمرو بن العاص، واختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، فلمّا

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص24.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص28.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص37.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص48 وما بعدها.

اجتمعوا في دومة الجندل، اتفق الفريقان على خلع علي ومعاوية وترك الأمر شورى يختار المسلمون من يريدون[1].

ويــبدو أن أهل العراق كانوا قد سئموا القتال وأرادوا رجلاً ليناً ليشترى لهم السلم، ولهذا اختاروا أبا موسى الأشعري لأنه كان محايداً ولم يكن يخفي حياده، وقد عُرف عنه هذا الحياد واحتج عليّ بسببه وحده على اتخاذه حكماً[2].

كــان عمــرو بن العاص على قدر من الذكاء والحيلة فطلب من أبي موسى الأشــعري أن يــتقدم بخلع صاحبه من قبيل الاحترام لسنه، فبدأ أبو موسى بالكلام، وخلــع صاحبه عليًّا، ثم تقدم عمرو بن العاص فقال: "إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبّتُ صاحبي معاوية[3].

كان التحكيم مُنذُ رفع المصاحف على أسنة الرماح إلى أن آجتمع الحكمان في صــالح معاويــة، فقــد رُفعت الحرب عن جنده بعد أن أوشكوا على الهزيمة، بينما تورط أصحاب علي في الفتنة والخلاف[4].

ونجح عمرو بن العاص حينما اتفق الحكمان على خلع علي ومعاوية بن أبي سفيان الذي لم يكن قد بُويع حتى يُخلع[5].

لم يرضَ عليٌّ وأهل العراق بالذي جرى، فأتى علياً أصحابهُ وشيعته فبايعوه وقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت[6].

ولمّــا خرجــت الخــوارج وهرب أبو موسى الاشعري قام عليٌّ في الكوفة فخطبهم فقال: "الحمدُ لله وإن أتى الدّهرُ بالخطب الفادح، والحدثان الجليل، وأشهدُ أن لا إلــه إلا الله وأنّ محمــداً رسول الله أما بعد فإنّ المعصية تورث الحسرة، وتُعقب

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص67.
(2) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، النعمان القاضي، دار المعارف بمصر، ص51.
(3) تاريخ الطبري، ج5، ص71.
(4) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، النعمان القاضي، ص57.
(5) المرجع نفسه، ص55.
(6) تاريخ الطبري، ج5، ص76.

الـــندم، وقد كُنتُ أمرتكم في هذين الرجلين، وفي هذه الحكومة أمرى ونحلتكم رأيي، لو كان لقصير آخر، ولكن أبيتم إلاّ ما أردتم، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن[1]:

أمـــرتُهُم أمـــرى بمُـــنعَرج اللّوى فلم يستبينوا الرُشَد إلا ضُحى الغد

ظـــلّ معاويـــة يُرسل جيوشه إلى البلدان التي عليها ولاة علي ليقوموا بالنهب والتخريب؛ ففي سنة تسع وثلاثين أغارت جيوش معاوية على عين التمر وبها عاملٌ لعلـــيّ، وفـــي نفـــس العـــام وجّـــه معاوية الضحاك بن قيس ليغير مع جنوده على الأعراب[2].

وفـــي ســـنة أربعيـــن كانت المهادنة بين علي ومعاوية، فيكون لعلي العراق، ولمعاوية الشام[3].

كانت خلافة علي خمس سنين إلاّ ثلاثة أشهر[4]، وفي سنة أربعين للهجرة قَتل ابن ملجم علي بن أبي طالب[5]. ولمّا انتهى إلى عائشة قتلُ علي قالت[6]:

فـــإن يـــكُ نائـــياً فلقـــد نعـــاهُ غُـــلامٌ لـــيس فـــي فـــيه التُرابُ

وقال ابن ميّاس المراديّ يتشفى باغتيال علي بن أبي طالب[7]:

ونحـــن ضربنا يالكَ الخيرُ حَيدراً أبـــا حَسَـــنٍ مأمومـــةً فَـــتَفطَّرا

ونحـــن خلعـــنا مُلكـــهُ من نِظامه بضـــربةِ ســـيفٍ إذْ عَـــلاَ وتجبّرا

ونحـــن كِـــرامٌ فـــي الصّباح أعِزّةٌ إذا المـــوتُ بالموتِ ارتدى وتأزّرا

وبعـــد أن قُتل علي بن أبي طالب، بُويع ابنه الحسن بالخلافة، وكان لا يرى القتال، فتنازل عن الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان حقناً لدماء المسلمين[8].

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص77.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص133، 135.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص140.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص152.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص148، 145.

(6) المصدر نفسه، ج5، ص150.

(7) المصدر نفسه، ج5، ص150.

(8) المصدر نفسه، ج5، ص158.

بُويـــع معاويـــة بالخلافة سنة 40هـــ[1]، فانتهى بذلك عصر الخلفاء الراشدين ليبدأ عصرٌ جديد هو عصر الخلفاء الأمويين.

2.4 الصراع بين الأُمويّن والزبيريين:

ينسب هذا الحزب إلى عبدالله بن الزبير بن العوام من قريش[2]، وترجع نشأته الأولى إلى ما بعد مقتل عثمان، إذ كان الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله قد بايعا علـــي بـــن أبـــي طالـــب، ثـــم نقضا بيعتهما، وثارًا على الإمام بدعوة المطالبة بدم عثمان[3]، وكان يرى هذا الحزب أن تعود الخلافة إلى الحجاز وأن يتولّاها أحد أبناء الصحابة الأولين يزيد بن معاوية بن أبي سُفيان[4].

لم يُعمر سلطان الزبيريين أكثر من تسع سنوات (63-72هـــ) قضاها عبدالله ابـــن الزبير في صراع مع الأمويين من جهة، والشيعة والخوارج من جهة أخرى[5]، أخـــذ عبدالله بن الزبير يدعو لنفسه بالخلافة بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان، فنقض بـــيعة يـــزيد بن معاوية بن أبي سُفيان ونقضها أنصاره، وهرب من المدينة إلى مكة ولمّا وصل إلى مكة قال: إنّما أنا عائذ بالبيت، فلمّا استقرّ عند يزيد بن معاوية ما قد جمع ابن الزبير من الجموع بمكة، أعطى الله عهداً ليوثقنّه في سلسلة من فضّة فمرَّ بها البريد على مروان ابن الحكم بالمدينة، فقال مروان[6]:

خّذهـــا فليســـتْ للعزيـــز بِخُطّةٍ ... فـــيها مقـــالٌ لامـــرئٍ مُتضعفِ

علا أمر ابن الزُبير بمكة، فقال له الناس من أهل المدينة: أمّا إذ هلك الحسين عليه السلام فليس أحدٌ يُنازع ابن الزبير[7].

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص161.

(2) العصر الأُموي أدبه وحضارته، عزيزة بابتي، ص251.

(3) أدب السياسة في العصر الأموي، أحمد الحوفي، ص114.

(4) التطور والتجديد في الشعر الأُموي، شوقي ضيف، ج5، ص85.

(5) العصر الأموي، قصي الحسين، ص105.

(6) تاريخ الطبري، ج5، ص475.

(7) المصدر نفسه، ج5، ص475.

بعث يزيد بن مُعاوية ابن عِضاه الأشعريّ ومسعدة وأصحابهما إلى عبدالله بن الزبير بمكة ليؤتى به في جامعة لتبرّ يمين يزيد، فتوجهوا إليه وأبلغوه الرسالة فتمثّل أحدهم فقال[1]:

فخُذهـا فليسـت للعزيـز بخُطّة | وفـيها مقـالٌ لامـرئٍ مـتذلّلِ
أعامِـرَ إنّ القـومَ ساموك خُطّةً | وذلـك في الجيران غزل بِمغزلَ
أراك إذا مـا كنتَ للقوم ناصِحاً | يُقـال له بـالدّلو أدبْـر وأقـبل

فلّمـا بلّغتهُ الرُسل الرسالة تعرّض لهم فقال متمثلاً أبياتاً من الشعر تدلُّ على أنّهُ مُصرٌ على موقفه في عدم مبايعة يزيد وأنّه لن يلين أو يضعف لغير الحق[2]:

إنّـى لَمِـنْ نَبْعةٍ صُمٌ مكاسِرُها | إذا تناوحـت القصـباءُ والعُشَـرُ
فـلا أليـنُ لغـير الحقّ أسألهُ | حـتى يلين لِضرس الماضِغ الحَجرُ

وبعد أن رأى الأمويون أنّهُ لا مناص من مواجهة ابن الزبير توجهت جيوش الأمويين بقيادة مسلم بن عقبة المري إلى قتال ابن الزبير، ولمّا انتهى مسلم بن عُقبة إلـى قفـا المشـلّل مات، واستخلف على الجيش الحصين بن نمير السكوني، فسار الحصـين حـتى بلغ مكة هو وجنده فطوّقها، ونصب الحصين المجانيق والعرادات وقذفوا البيت وحرّقوه بالنار وأخذوا يرتجزون ويقولون[3]:

1- خطّـارةٌ مـثلُ الفنيق المزبدِ | 2- نَرْمي بها أعوادَ هذا المسجدِ

حاصـر الحُصـين ابـنَ الزبير أربعاً وستين يوماً حتى جاءهم نعي يزيد بن معاوية[4].

وفـي سنة أربع وستين قدم عبيدالله بن زياد إلى دمشق وكان عليها الضّحاك ابـن قيس الفهرىّ، فثار زفر بن الحارث الكلابىّ بقنسرين يُبايع لعبدالله بن الزبير[5]،

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص476.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص476.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص496-498.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص498.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص531 وما بعدها.

ثمَّ قام ابن الزبير بنفي بني أمية من المدينة ومكة والحجاز[1].

جمع مروان بن الحكم بنى أُميّة فبايعوه بالإمارة عليهم، ثُمَّ سار في جيش عظيم إلى الضّحاك بن قيس، والتقى الفريقان بمرج راهط، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل الضحاك وعامة أصحابه فأنشد زفر بن الحارث قصيدة يُعبّر فيها عن الهزيمة التي لحقت به وبأصحابه على يد الأُمويين، ويهجو فيها قبيلة كلب التي وقفت إلى جانب الأمويين في المعركة، ويتوعد فيها قبيلة كلب بالثأر لقتلى قيس، مُعلناً أنه لا هوادة في الخصومة بعد هذه الموقعة بين قيس وكلب اليمنية، محاولاً الاعتذار عن الفرار والهزيمة في هذا اليوم فقال[2]:

أريني سلاحي لا أبا لك إنّني	أرى الحربَ لا تزدادُ إلاّ تماديا
فقد يُنبتُ المرعى على دمِن الثّرى	وتبقى حزازاتُ النُّفوس كما هيا
أتذهبُ كَلْبٌ لم تَنلْها رِماحُنا	وتُترك قتلى راهِط هي ما هيا
عشيةَ أعدو بالقرآن فلا أرى	من الناس إلا مَنْ عَليّ ولا ليا
أيذهبُ يومٌ واحدٌ إن أسأتُهُ	بصالح أيّامي وحُسنِ بلائيا
فلا صُلْحَ حتّى تنحطَ الخيلُ بالقَنَا	وتثأرَ من نِسوانِ كلب نِسائيا

وتعتبر قصيدة زفر بن الحارث شاعر قيس والتي هجا بها قبيلة كلب، من أوائل شعر الهجاء الذي نشب بين القبائل[3].

أقبل عبدالملك يريد مصعباً ومعه خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد، ثُمّ التقى الجيشان فاقتتلوا أربعة وعشرين يوماً، وكانت بني تميم قد وقفت إلى جانب جيش عبدالملك بن مروان ضد الزبيريين[4]، فقال الفرزدق يستغرب من انحياز تميم تحت ظلال الأزد وهم قبيلة كبيرة، فندد بالثائرين، ونال من رجال تميم الذين انضمّوا إلى أنصار الأُمويّن، وخالفوا قومهم، وتنكروا لابن الحواري مصعب فقال[5]:

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص540 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص541 وما بعدها.

(3) العصر الأُموي، قصي الحسين، ص120.

(4) تاريخ الطبري، ج6، ص152 وما بعدها.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص153 وما بعدها.

عَجبتُ لأقـوامٍ تميمٌ أبوهُـمُ وهُمْ في بنى سعدٍ عِظامُ المباركِ

وكـانوا أعزّ الناس قبل قسيرهِمْ إلـى الأزد مُصفراً لِحاها ومالك

فما ظنُّكم بابن الحوارىّ مُصْعَبِ إذا افـترّ عن أنيابه غيْرَ ضاحِكِ

وسـار مصـعب إلى باجميرا، وكتب عبدالملك إلى شيعته من أهل العراق، والـتقى القـوم، فتقدّم مصعب وقُتل، ونزل إليه عُبيد الله بن زياد بن ظبيان، فاحتزّ رأسه[1].

قـال البعيـثُ اليشـكرُىّ بعد قتل مُصعب أبياتاً من الشعر يفتخر فيها بقتلهم لمصعب، وأنّهم لم يَرْضَوا عليهم والياً إلاّ من بنى أُميّة[2]:

ولمّـا رأينا الأمرَ نكساً صُدُورُهُ وهـمّ الهـوادي أنْ تكُـنَّ تواليا

صـبَرْنا لأمـر الله حـتّى يُقيمهُ ولـم نـرضَ إلاّ من أميّة واليا

ونحن قتلنا مُصعباً وابنَ مُصعبٍ أخـا أسـدٍ والـنّخعىّ اليمانـيا

وحـجّ عـبدالملك بعد ذلك، فدخلت عليه حُبّى، فقالت: أقتلتَ أخاك مُصعباً؟ فقال[3]:

مـن يـذُقِ الحَربَ يَجد طَعَمَها مُـرّاً وتـتُركهُ بجعجـاع

وفي مصرع مصعب بن الزبير يقول عبيد الله بن قيس الرقيّات، حيث يُقرّع القـبائل العربية مثل بكر بن وائل، وتميم لأنّها لم تُناصر عبدالله بن الزبير ومصعباً، ويعني عبدالله بـ "بني العلات" القبائل اليمانية لأنّهُ يتهجم عليهم في الهمزية يقول[4]:

حرّقـتهُ رِجـالُ لَخْـمٍ، وَعَـكٌ وجُـذامٌ، وَحِمْـيرٌ، وَصُـداءُ

يقول ابنُ قيس الرقيات في قتل مصعب[5]:

لقـد أوْرَثَ المصريْنَ خِزياً وذلةً قتـيلٌ بدَيْـرِ الجاثلـيقِ مُقـيمُ

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص157.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص160.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص161.

(4) شـعر ابـن قـيس الرقيات بين السياسة والغزل، تحقيق: ابراهيم عبدالرحمن محمد، الشركة المصرية العالمية للنشر – لو نجمان، ط1، 1996، ص255.

(5) تاريخ الطبري، ج6، ص161 وما بعدها.

فمـــا نصــحت لله بكرُ بن وائلٍ ولا صــبرتْ عــند اللّقــاء تميمُ
ولــو كــان بكرياً تعطفَ حولَه كتائــبُ يغلــى حمُــيها ويــدومُ
ولكــنّهُ ضـــاعَ الذمـــامُ ولم يكن بهـــا مُضــــريٌّ يــومَ ذاكَ كريمُ
جــزى الله كوفــيّاً هناك مَلامَةً وبصــــر يّهــم إنّ المُلــيمَ مُلــيمُ
وإنّ بنـــي العلاّت أخلوا ظُهورنا ونحـــنُ صـــريحٌ بينهم وصميمُ
فـــإن تفْـــنَ لا يبقوا ولا يكُ بَعْدَنا لِـــذي حُرمةٍ في المسلمين حَريمُ

فقـــال جَـــوّاس بن قعْطل الكلابيّ يردُّ على زفر بن الحارث ويذكر أنّ موقعة مرج راهط أبقت في زفر بن الحارث داءً باقياً لا علاج له فقد أعيا الطبيب المُداويا، لقد تراجع زُفر بن الحارث عن وعيدهُ عندما رأى فتياناً كأسد الغاب(1):

لَعمــرْى لَقــدْ أبقتْ وقيعةُ راهطِ علـــى زَفَــرَ داءً من الدّاءِ باقيا
مُقــيماً ثــوى بينَ الضلّوع مَحلُّه وبين الحشا أعيا الطّبيب المُداويا
دعـــا بســـلاح ثمَّ أحجمَ إذ رأى سُــيُوفَ جنابٍ والطوالَ المَذاكيا
علـــيها كأُســـدِ فتـــيانُ نجـــدةٍ إذا شـــرعوا نحوَ الطّعان العواليا

وفـــي ســـنة إحـــدى وســـبعين توجّه عبدالملك بن مروان إلى العراق لحرب مُصـــعب بن الزبير، ويخرج مصعب إلى باجُميرا، ثمّ تهجمُ الشتاء فيرجع كلّ واحد مـــنهما إلى موضعه، فقال عدىّ بن زيد بن عدىّ بن الرّقاع العامليّ: يَنْعت مصعب بالنفاق، ويشبه جيشهم بضجيج القطا(2).

لعمـــرى لقـــدْ أصـــحرتْ خيلُنا بأكـــنافِ دجلـــةَ للمُصـــعبِ
إذا مـــا مُـــنافق أهـــل العِـــرا قِ عُوتـــبَ ثُمّـــتَ لـــم يُعتـــبِ
دلفـــنا إلـــيه بـــذى تَـــدْرُإٍ قلـــيل الـــتّفقُّدِ للغيـــبِ
كـــأنَّ وغـــاهُمْ إذا مـــا غـــدوا ضـــجيجُ قَطَـــا بلـــدٍ مُخصـــبِ
فقدّمـــنا واضـــحٌ وجهُـــهُ كـــريم الضّـــرائب والمنصـــبِ
أُعيـــنَ بِـــنَا ونُصـــرنا بِـــهِ ومـــن يَنْصُـــر اللهُ لـــم يُغلَـــبِ

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص542.
(2) المصدر نفسه، ج6، ص151.

وفـــي سنة ثلاث وسبعين بعث عبدالملك بن مروان الحجّاج إلى مكة لمحاربة عبدالله بن الزّبير، توجه الحجاج إلى مكة فحاصرها ستة أشهر وسبع عشرة ليلة(1).

كـــان عبدالله بن الزبير ثابتاً رغم تخلي كثير من أقاربه وأنصاره عنه، توجه عبدالله ابن الزبير لوداع أُمّه فقالت له: البس ثيابك مشمّرةً، فانصرف وهو يقول(2):

إنّـــى إذا أعِــرف يومـــى أصبر   إذ بعضـــهم يعـــرِفُ ثـــمّ يُنكرْ

وروى عـــن شـــيخ من أهل حمص شهد وقعة ابن الزُبير مع أهل الشام قال: رأيتهُ يوم الثلاثاء وإنّا لنطلع عليه أهل حمص خمسمائة من باب لنا ندخله، لا يدخله غيرنا فيخرج إلينا وحده في أثرنا، فما أنسى أرجوزةً له(3).

إنّـــى إذا أعـــرفُ يومـــى أصبرْ   وإنّمـــا يعـــرف يومـــيْه الحُـــرّ

إذ بعضهم يَعرِف ثم يُنكِر

وأخذ عبدالله بن الزبير يُشجع أصحابهُ ويحرضهم على القتال ويقول لهم: ولا تقولـــنّ أيـــن عـــبدالله بـــن الزبير؟ ألا من كان سائلاً عنّى فأنى في الرّعيل الأوّل وتمثّل(4):

أبـــى لابـــن سلْمَى أنّهُ غيرُ خالدٍ   مُلاقـــى المنايا أىّ صرفٍ تيمّما

فلســـتُ بِمُبْـــتاع الحـــياة بّســـبّةٍ   ولا مُرتقٍ مِنْ خشية الموتِ سُلّما

وقـــد أراد الحجـــاج أن يشرك أهل الأمصار جميعاً في دم ابن الزبير فجعل على أبواب المسجد رجلاً من كل بلد(5).

ثُـــمَّ هاجمتهم جيوش الأمويين فُرمي بآجرة، وأصابته في وجهه، فارعش لها ودمى وجهه، فلمّا وجد سخونة الدم تَسِيلُ على وجهه قال(6):

فَلسْنَا على الأعقاب تدمى كُلُومنا   ولكـــن علـــى أقدامِنا تقطُرُ الدّما

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص187.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص190.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص190.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص191.

(5) الفرق الإسلامية في الشعر الأُموي، النعمان القاضي، ص254.

(6) تاريخ الطبري، ج6، ص192.

دخـل الحجـاج مكة فبايع من بها من قريش لعبدالملك بن مروان، وقد ترك مصرعه رنة أسى في أهل الكوفة وازدادوا أسى عندما صلبه الحجاج ليثير الرعب في قلوب أنصاره[1].

ويعــزو كثير من المؤرخين إخفاق حركة عبدالله بن الزبير إلى سبب رئيس وهو تمسكه بالحجاز الذي أصبح منذ قتل عثمان ركناً ميتاً ولم يكن من الممكن جعله مركزاً للحياة السياسية[2].

وقد كره ابن الزبير انتقال الحكومة إلى الشام وآثر بقاءها في الحجاز مسايرة لعصـــر الخلفاء الراشدين، كما كره أن ينقل عاصمة دولته إلى العراق حيث لا يمكن لأية حركة هناك أن تزاحم الشيعة[3].

ومــن الأســباب التــي أدت إلى اخفاق حركة ابن الزبير حرصه على المال وبخله بالعطاء على طلاب العطاء، وانصرافه عن تأليف القلوب بالهبات، على حين أن بني أمية كانوا أسخياء[4].

3.4 الصراع بين الأمويين والخوارج:

بـــدأ أمـــر الخوارج أثناء معركة صفّين التي وقعت بين علي بن أبي طالب ومناصـــريه مـــن جهة، ومُعاوية بن أبي سُفيان ومناصريه من جهة أُخرى، فعندما أحـــسّ معاوية وجنده بالهزيمة أشار عليهم عمرو بن العاص برفع المصاحف على أســـنة الـــرّماح وتعليقها في أعناق الخيل، وطلبوا من علي تحكيم القرآن بينهم، أخذ أصـــحاب علـــي بهذا الرأي، ولكن خرج بعض المتحاربين من صف علي احتجاجاً على قبول هذا التحكيم، وعُرِفَ هؤلاء بالخوارج[5].

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص192 وما بعدها.

(2) الفرق الإسلامية في الشعر الأُموي، النعمان القاضي، ص255.

(3) المرجع نفسه، ص256.

(4) أدب السياسة في ىالعصر الأُموي، أحمد الحوفي، ص120.

(5) تاريخ الطبري، ج5، ص48 وما بعدها.

حكـــم الخوارج بكفر عليٍّ ومعاوية ومن ناصرهما بعد التحكيم؛ لأنّهم حكموا بغـــير ما في كتاب الله، إذ عدلوا عن تحكيم الله إلى تحكيم الناس، وكانوا أشدُّ بغضةً لمعاوية لأنّهُ سطا على الخلافة، واحتكر أموال المسلمين وعبثَ بها[1].

وأســـاس مبدئهم يقوم على أن لا تُقصر الخلافة على قريش، فالخلافة ليست حقـــاً لقريش بل هي حق لله، وينبغي أن يتولاها خير المسلمين تقوى وزهداً وورعاً وإن لـــم يكن قرشيّاً وقد خرجوا على المسلمين واعتبروا دارهم دار حَرْب فيجب أن يجاهدوهم، واستمروا في هذا الجهاد طوال عصر بني أُميّة[2].

بـــدأ القتال بينهم وبين مُعاوية بن أبي سُفيان سنة إحدى وأربعين للهجرة، إذ نـــزلوا النُّخـــيلة بالقـــرب من الكوفة، فأرسل إليهم جيشاً من الشام، فانتصروا عليه، فاستثار معاوية أهل الكوفة لقتالهم، فأثخنوا في الخوارج، وانتصروا عليهم، ثُمَّ بعث إليهم مُعاوية جنداً فقتلوهم جميعاً[3].

وفـــي سنة اثنتين وأربعين تحرّكت الخوارج الذين انحازوا عمّن قُتل منهم أو ارتُـــثّ مـــن جـــرحاهُم بالـــنّهروان فبرءوا وعفا عنهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[4].

ولكـــن هزيمـــتهم لم تفت في عضدهم فسرعان ما نصبوا المستورد بن علفة إمامـــاً، وكان من الذين ارتثوا يوم النهروان فلمّا بلغه قتل عليّ عاد إلى الكوفة يفكر فـــي الانتقام، وكان المغيرة بن شعبة يسير سيرة لينة في الناس بالكوفة، وقد استغلّ الخوارج إغضاءه فأخذوا يجتمعون لتبادل الرأي في الثأر لإخوانهم في دار حيّان بن ظبيان الذي أخذ يحرضهم ويحثهم على الثأر من الظالمين بمثل قوله[5]:

خلـــيليّ ما بي من عزاءٍ ولا صبرِ   إلاّ إربـــةِ بعـــد المُصـــابين بالنهر
سِـــوى نهضـــات في كتائبَ جمّةٍ   إلى الله ما تدعو وفي الله ما تفرى

(1) أدب السياسة في العصر الأُموي، أحمد الحوفي، ص87.

(2) التطور والتجديد في الشعر الأُموي، شوقي ضيف، ج5، ص87.

(3) تاريخ الطبري، ج5، ص165 وما بعدها.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص172.

(5) تاريخ الطبري، ج5، ص173 وما بعدها.

ثُــمّ اجتمع المغيرة بن شُعبة برؤساء العشائر، واتفقوا على نفي من كان بينهم مــن الخــوارج وأخذهم، وأن يدلّوا على من يرون أنّهُ يُريُد أن يهيج فتنةً أو يُفارق جماعة[1].

وفــي سنة ثلاث وأربعين تجهّز الخوارج للقتال، بيد أن المغيرة شعر بالخطر فقام باعتقالهم، ومن داخل السجن تسربت أبيات لمعاذ بن جوين بن حُصين، وجه بها إلــى إخوانه الخوارج، والأبيات تحث الخوارج على أن يتحولوا عن ديار الجاهلين الذيــن يضطهدونهم وأن يقاتلوهم متمنياً أن يكون حرّاً طليقاً حتى يشاركهم في قتال الكفار المحلين من أهل القبلة وتفريق شملهم فقال[2]:

ألا أيّهــا الشــارونَ قــد حان لامرئٍ ... شــــرى نفســــه لله أن يــــترحلا
أقمــتم بــدار الخاطئيــن جهالــةً ... وكــلُّ امــرئٍ مــنكمُ يُصــادُ ليقتلا
فشُــدُّوا علــى القــومِ العُــداةِ فإنّمــا ... أقامــتكُمُ للذبــح رأيّــاً مُضــلَّلا
ألا فاقصِــدوا يــا قــومِ للغايــة التي ... إذا ذُكِــرتْ كانــت أبــرَّ وأعــدَلا
فــيا ليتنــي فــيكم علــى ظهر سابحٍ ... شــديد القُصــيرى دارعاً غيرَ أعزلا
ويــا ليتنــي فــيكم أعــادي عدوّكــم ... فيســــقيني كــــأسَ المنــــيَّة أوّلا
يعــزّ علــيَّ أن تُخــافوا وتطــردوا ... ولمــا أُجــرِّدْ فــي المُحلِّيــن مُنْصُلا
ولمــا يُفــرّقْ جَمْعَهــم كــلُّ مــاجدٍ ... إذا قلــتَ قــد ولَّــى وأدبــرَ أقــبلا
مُشيحاً بنصل السيف في حَمَس الوغَى ... يرى الصّبرَ في بعض المواطن أمثلا
وعــزٌّ علــيّ أن تُضــاموا وتُنقصوا ... وأصــبحَ ذا بــثٍّ أسـيراً مُكــبّلا

ثُــمّ إن المغــيرة بن شعبة أُخبر خبرهم، فدعا رؤساء الناس فقال: إنّ هؤلاء الأشــقياء قد أخرجهم الجبن وسوء الرأي فمن ترون أبعث إليهم؟ فقام إليه عديّ بن حــاتم، فقــال: "كلُّــنا لهم عدّو، ولرأيهم مسفّه، وبطاعتك مستمسك، فأيّنا شئت سار إلــيهم"، فجهزّ المغيرة بن شعبة معقل بن قيس لمقاتلتهم وجهزّ معهُ ثلاثة آلاف رجل من الشيعة[3].

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص184 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص187 وما بعدها.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص188.

بعــث ابــنُ زياد جيشاً بقيادة ابن حصن التميمي، فدارت بينهم معركة مجيدة بين جيش ابن زياد ورجال أبي بلال الأربعين الذين أرغموا ابن حصن على الفرار وقتلوا جيشه[1].

وقد أشاد شاعر الخوارج عيسى بن فاتك الحبطي بهذا الانتصار المؤزر الذي أحرزته فئة قليلة على جيش ابن زياد مرجعاً السبب في ذلك إلى قوة إيمانهم وتقواهم في قوله[2]:

أألفــا مؤمــنٍ مــنكم زعمــتم ويقُــتلُهم بآسَــكَ أربعونــــا

كذبــتم لــيس ذاك كمــا زعمتم ولكــنّ الخــوارج مؤمــنونا

هــي الفــئة القلــيلة قــد علمتُمْ علــى الفــئةِ الكثــيرة يُنصرُونا

وهالــت الهــزيمة ابن زياد فقذفهم بثلاثة آلاف رجل بقيادة عبّاد بن الأخضر التميمــي، فاتّــبعه عــبّاد يطلبه، فلحق بهم فتمكن جيش ابن زياد من القضاء على مرادس ومن معه سنة إحدى وستين[3].

وفــي ســنة خمــس وســتين اشتدت شوكة الخوارج وعلى رأسهم نافع بن الأزرق، فاســتغلوا اشــتغال أهــل البصرة بالاختلاف الذي كان بين الأزد وربيعة وتميم، فأقبل نافع بن الأزرق ومن معه نحو البصرة، فبعث إليه عُبيد الله بن الحارث مُسلم بن عبيس فخرج إليهم، فاقتتلوا أشدَّ قتال، وقُتل نافع بن الأزرق، فأمّروا عليهم عبدالله بن الماحوز، واشتدّ القتال بين الفريقين[4].

ونهض حارثة بن بدر الغدانى لقيادة أهل البصرة بعد أن قُتل مسلم بن عبيس، وكان أهل البصرة على حال سيئة، وقد فشت فيهم الجراحات، وعندما بلغ حارثة بد بدر أنَّ المهلَّب بن أبي صُفرة قد أُمّر على قتال الأزارقة قال لمن معه من الناس[5]:

---

(1) تاريخ الطبري، ص314.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص314.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص471.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص613 وما بعدها.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص617.

كرنــــــــبوا ودولــــــــبوا وحيــــثُ شـــئتم فاذهـــبوا

فــد أمّـــر المهلّــبُ

وفي سنة اثنتين وسبعين بعث عبدالملك بن مروان مُقاتل بن مسمع على جيش وألحقهُ بناحية عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد لطلب الأزارقة فنزل مُقاتل بن مســمع فقاتل حتى قُتل، وانهزم عبدالعزيز بن عبدالله برامهرمز، ثمّ طلب عبدالملك ابــن بشــر بــن مروان أن يُرسل خالد بن عبدالله ومعهُ خمسة آلاف رجل، وتوجه الجــيش وعلــى ميمنــته المهلــب، وكان مع الجيش عبدالرحمن بن محمد، فقال له المهلــب: يا ابن أخي، ما يمنعك من الخندق، فقال: والله لهم أهونُ عليّ من ضربة الجمل[1].

بلغ الخوارج قول عبدالرحمن بن محمد لهم: "أهون عليّ من ضربة الجمل" فقال شاعرهم[2]:

يــا طالــبَ الحقّ لا تستهو بالأملِ فإنّ من دون ما تهوى مدى الأجل
وأعمــل لــربّك وأســأله مثوبَــتهُ فــإنّ تقــواه فــاعلم أفضلُ العملِ
وأغــزُ المخانيثَ في الماذيّ مُعلِمة كــيما نُصبّح غدواً ضربة الجمل

ثمَّ زحف إليهم خالد بجيشه فالتقوا بمدينة الأهواز فتقاتلوا كأشدِّ قتال، فاتبعهم المســلمون يقّــتلونهم، ثم اتبعهم داود بن قحذم إلى أرض فارس، وعندما علم بذلك الخليفة عبدالملك كتب إلى بشر بن مروان أن يُرسل فارساً شجاعاً ليلحق بجيش داود ابــن قحــذم فأرسل بشر بن مروان عتّاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفــة الــتقوا مــع جيش داود بن قحذم بأرض فارس فاتبّعوا القوم يطلبونهم حتّى أصابهم الجهد والجوع، فرجعوا إلى الأهواز[3].

ولمّا دخلت سنة أربع وسبعين ولّى المهلب حرب الأزارقة من قبل عبدالملك ابــن مروان، فخرج المهلب بأهل البصرة حتّى نزل رامهرمز فلقى بها الخوارج، ثُمّ أقــبل عبدالرحمن بن مخنف بأهل الكوفة، فتراءى العسكران برام مهرمز، فلم يلبث

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص169 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص172.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص173.

الناس إلا عشراً حتّى أتاهم نعي بشر بن مروان، وتوفيّ بالبصرة فارفضّ ناس كثير مــن أهل الكوفة وأهل البصرة، واستخلف بشر خالد بن عبدالله بن أسيد وكان خليفة علــى الكوفــة عمــرو بن حريث، فكتب خالد إلى الناس الذين تركوا المعركة كتاباً يُرغّبهم بالجهاد ويحذرهم من عقاب عبدالملك[1].

فلمّــا أتاهم الكتاب دخلوا إلى رحالهم حتى قدم الحجاج بن يوسف، ثمّ ناهض المهلــب وابنُ مخنف الأزارقة برامهرمز بكتاب الحجاج إليهما، فأجلوا الأزارقة عن مهرمز من غير قتال شديد ثم لحقوا بهم إلى سابور فخندق المهلب، فزحف الخوارج إلى المهلب ليلاً فوجدوه أخذ حذره، فمالوا نحو عبدالرحمن بن مخنف فوجدوه لم يخــندق، فقــاتلوه، فانهــزم عــنه أصحابه، فنزل في أُناس من أصحابه فقُتل، فقال شاعرهم[2]:

لمــن المعســكّرُ المكّللُ بالصّر ... عــى فَهُــمْ بيــن ميّــتٍ وقتيل

فــتراهُم تَســفى الــرياحُ عليهم ... حاصِــبَ الرّمل بعدَ جرّ الذُّيول

وأقام المهلّب بسابور يقاتلهم نحواً من سنة[3].

وفــي ســنة ســبع وســبعين وبعــد تشتّت الأزارقة بالاختلاف الذي حدث بيــنهم بكــرمان فصار بعضهم مع عبد ربّه الكبير وبعضهم مع قطريّ بن الفجاءة، توجــه قطــريّ يُريدُ طبرستان فبلغ أمره الحجّاج فوجه إليهم جيشاً بقيادة سفيان بن الأبرد[4].

فــتقدم الجــيش نحو طبرستان ولحقوا بقطريّ في شعب من شعاب طبرستان فقــاتلوه، فــتفرّق عــنه أصحابه، ووقع عن دابته أسفل الشعب فهوى، ثمّ لحقوا به فقتلوه، واحتزوا رأسه وبعثوا به إلى الحجاج[5].

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص195 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص211 وما بعدها.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص215.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص309.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص309 وما بعدها.

ثـمّ أقـبل سفيان بن الأبرد إلى عسكر عبيدة بن هلال وقد تحصّن في قصر بقومس، فحاصره فقاتله أياماً، ثُمَّ أمر سفيان مناديه ينادى بهم: أيّما رجل قتل صاحبه ثمّ خرج إلينا فهو آمن، فقال عبيدة بن هلال[1]:

لَعَمـرى لقـد قـام الأصمُّ بخطبةٍ لذى الشَّكِّ منها في الصُّدور غليلُ
لعمـرى لئن أعطيتُ سفيان بيعتي وفارقـتُ دينـي إنّـنى لجهـولُ
إلـى الله أشـكو مـا ترى بجيادنا تسـاوك هـربى مُخّهـنّ قلـيلُ
تعاوَرَهـا القُـذّافُ مـن كلّ جانبٍ بقومـس حـتى صـعبهنّ ذلـولُ
فـإن يـكُ أفـناها الحِصارُ فربُّما تشـحّط فـيما بينهـنّ قتـيلُ
يُقَـدْنَ ممّـا إن يُقـدن على الوجى لهـنَّ بـأبواب القـبابِ صـهيلُ

الـتقى الأزارقة وجيش المهلّب واقتتلوا أشدّ قتال، وقُتل الأزارقة قتلاً ذريعاً، فانكفـئوا راجعيـن مقتولين، وأقام المهلّب بالأهواز، وسجل الشعر هذه الموقعة في تـاريخ الأزارقة الحربي في أبيات شعرية لقطري بن الفجاءة الذي راح يصف لأمّ حكـيم حـرب دولاب وما لقيت بكر بن وائل حين غرقت هي والأزد في ماء دُجيل وطفـت علـى وجهه لحى الغرقى من شيوخ الأزد، وجرت الخيول محمحمة على تميم، ثم عاجت على عبد القيس شفرات السيوف وعلى أحلافها قبيلة يحصب وقبيلة سليم[2]:

يـا كَبدِا من غير جُوعٍ ولا ظماءٍ ويـا كـبدى مـن حُـبِّ أمِّ حكيمِ
ولـو شهدتنى يوم دُلابَ أبصرتْ طِعانَ امرئٍ في الحرب غير لئيمِ
غداةَ طَفَتْ في الماءِ بكر بنُ وائل وعُجـنا صُـدُورَ الخيل نحوَ تميمِ
وكـان لعـبدِ القـيس أولُ حَدّنـا وذلّـتْ شـيوخُ الأزدِ وهي تعومُ

وكـان قطـري بـن الفجـاءة يؤثر في شعره أن تكون أُمُّ حكيم تشهده وهو يصارع الأبطال، وقد كان هؤلاء الشعراء الحماسيون يتمنون لو شهدتهم نساؤهم في العراك والطعان، ليملكوا قلوبهن بشجاعتهم[3].

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص311.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص614 – 619.

(3) شعر الحرب في أدب العرب، زكى المحاسنى، دار المعارف بمصر، ط2، ص71.

وفي سنة مائة للهجرة خرج شوذب اليشكري على عبدالحميد بن عبدالرحمن، فكـــان مخرجه في ثمانين فارساً فكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عبدالحميد ألاّ يقاتلهم إلاّ أن يسفكوا دماً ويُفسدوا في الأرض، وكتب إليه أن جهزّ جيشاً بقيادة رجلٍ حازمٍ فاختار عبدالحميدُ محمدَ بن جرير[1].

ثمّ كتب عمر بن عبدالعزيز إلى شوذب أن يُبينّ له سبب خروجه عليه، فبعث شـــوذب برسولين إلى الخليفة عمر ليناظرانه فدخلوا على الخليفة وسألوه عن سبب اختـــياره ليزيد من بعده خليفة فطلب منهم الخليفة عمر أن يُمهلاه ثلاثة أيام، فخاف بـــنو مروان أن يُخرج ما عندهم وفي أيديهم من الأموال، وأن يخلع يزيد فدسوا إليه من سقاه سُمّاً[2].

فلمّا ماتَ الخليفة عمر أحبّ عبدالحميد بن عبدالرحمن أن يحظى عند يزيد بن عـــبدالملك، فكتـــب إلـــى محمد بن جرير يأمره بمحاربة شوذب وأصحابه، فاقتتلوا وأصيب من الخوارج نفر، وتمكنوا من قتل عبدالحميد ومن معه، وقُتل من الخوارج في هذه المواجهة هُدبة اليشكري، وأبو شُبيل مقاتل بن شيبان وآخرين[3].

وعلـــى أثر المعركة التي دارت بين الخوارج بقيادة بسطام اليشكري الملقب بشـــوذب رثى أبو ثعلبة أيوب بن خولى قتلى الخوارج، وخص منهم هدبة اليشكري ابـــن عم بسطام، وأبا شبيل مقاتل بن شيبان، فهو يعلى فيمن رثاهما مقارعة الأعداء واقـــتحام الأهـــوال، ونجـــدة الأسير، ويغبطهما على الفوز بالشهادة ولقاء الله، وبين أيديهما كل ما قدماه في سبيل الله فقال[4]:

تركـــنا تمـــيماً في الغُبارِ مُلحّباً	تُـــبكّى علـــيه عِرسُـــهُ وقرائبُهْ
فيا هُدبَ للهَيْجا، ويا هُدبَ للندى	ويـــا هُدب للخَصْمِ الألدَّ يُحاربُه
ويـــا هُدبَ كم من مُلحم قد أجبته	وقـــد أســـلَمَتهُ للـــرّماح جوالبُهْ
وكـــان أبـــو شـــيبانَ خيْرَ مقاتلٍ	يُرجّى ويخشى بأسهُ من يُحاربه

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص555.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص556.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص575 وما بعدها.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص576 وما بعدها.

ففـــاز ولاقـــى الله بالخــير كلِّه   وخذّمـــه بالسيف في الله ضاربُهْ
تــزوّدَ مـــن دُنياهُ دِرعاً ومغفراً   وعَضْباً حُساماً لم تَخُنْهُ مضاربُهْ

إنّ رثـــاء الخـــوارج لشـــهدائهم، يخـــتلف عن رثاء القتلى في شعر الأحزان الأخـــرى، إذ يقـــلُّ فيه الأنين والشكوى والعويل ويعمر بطلب المثوبة، وتحقير أمر الدنيا، وإعظام أمر المجاهدين المستشهدين، وتمنى اللحاق بالشهداء[1].

كان الخوارج هدفاً دائماً للاضطهاد والتشريد على يد بنى أمية، فكان وضعهم سيئاً في أغلب أحوالهم، فكان الموت عندهم هو (الغاية المنشودة) ولذلك كان الشاعر الخارجي في صراع كبير مع الزمن، وسبيله إلى الانتصار عليه هو الموت[2].

وفـــي ســـنة سبع وعشرين ومائة خرج الضحاك في مائتين من أهل الجزيرة بقـــيادة ســـعيد بن بهدل الشيبانّي، فلحقوا بمروان بن الحكم بعد أن قتلوا بسطام ومن معه ممّن خرجوا عن رأيه، فقال الخيبري مفتخراً بنفسه وبشجاعته[3]:

إن يـــكُ بســـطامٌ فإنّى الخيبرى   اضرِبُ بالسّيف وأحمى عسكري

اجـــتمع مـــع الضـــحاك بن قيس الشيبانّي نحوٌ من ألف ثم توجه إلى الكوفة، فاســـتولى الضـــحاك على الكوفة، وهلك يزيد بن الوليد وعامله على الكوفة، فولّى مروان على العراق النضر بن سعيد الحرشى[4].

أقبل الضحاك فنزل النّخيلة، فخفّ إليهم أهل الشام فأصابوا منهم أربعة عشر فارســـاً، وثـــلاث عشرة امرأة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأكبّ عبدالملك بن علقمة على جعفـــر ابـــن العباس فقتله فقالت أم البرذون الصُّفريّة مفتخرة ومتشفية بقتلهم لعاصم وجعفر[5]:

نحـــن قتلـــنا عاصـــماً وجعفرا   والفـــارسَ الضّـــبىَّ حينَ أصحرا
ونحن جئنا الخندق المقعّرا

---

(1) اتجاهات الشعر في العصر الأموي، صلاح الدين الهادي، ص192.
(2) المرجع نفسه، ص191.
(3) تاريخ الطبري، ج7، ص316.
(4) المصدر نفسه، ج7، ص317.
(5) المصدر نفسه، ج7، ص319.

لـــم يأمن عبيد الله بن العباس على نفسه فجنح إلى الضّحاك فبايعه، فقال أبو عطاء السندىّ يعيّره باتباعه الضّحاك وقد قتل أخاه، وأن جعفراً لو كان حيّاً لما بايع الضّحاك ولكنّهُ سوف يأخذ بثأرك من الضّحاك فقال[1]:

قُــلْ لعُبَــيد الله لــو كان جعفرٌ هــو الحــيّ لم يجنحْ وأنتَ قتيلُ
ولـــم يتَــبع المَرّاقَ والثأرُ فيهمُ وفـــي كفّه عضبُ الذُّباب صقيل
إلـــى معشرٍ أردوا أخاك وأكفروا أبـــاك، فمـــاذا بعـــد ذاك تَقُول!

دعـــا أهـــل الموصل الضحاك إلى بلدهم، فدخله وطرد عامل مروان، وعظم شـــأن الضحاك بالكوفة، ثمّ سار الضحاك إلى نصيبين، فحاصره عبدالله بن عمر بن مروان، ثمّ لحق به مروان نفسه فهزمه وقتله[2].

4.4 الصراع بين الأمويين والشيعة:

أخـــذ الشيعة في الظهور بشكل واضح قبل أن يُقتل عثمان فلما قُتل أسرعوا إلى علي وبايعوه بالخلافة ومن حينئذ تكوّن هذا الحزب تكوُّناً سياسياً، وكان من أهم مـــبادئه أن تكـــون في بني هاشم، فهم آل الرسول، لذلك فهم أحق الناس بالخلافة[3]، كانـــت هـــناك جماعات أُخرى ترى أحقية علي بالخلافة لسابقته في الإسلام وعلمه وفضله وكمال صفاته[4].

عندما قام معاوية بن أبي سفيان بإباحة سبٍّ علي على منابر الكوفة عقب كُلِّ خطبة هاج الشيعة فقبض زياد بن أبيه والي الكوفة على كبرائهم سنة إحدى وخمسين للهجـــرة وأرسلهم إلى مُعاوية، فقتل منهم ثمانية، فيهم حُجر بن عدي، وعفا عن ستة تبرأوا من علي[5].

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص320 وما بعدها.
(2) المصدر نفسه، ج7، ص345 وما بعدها.
(3) التطور والتجديد في الشعر الأُموي، شوقي ضيف، ج5، ص91.
(4) في أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص333.
(5) تاريخ الطبري، ج5، ص253-257.

وكانـــت هذه القسوة سبباً في ضعف الشيعة أيام معاوية، وقصر التشيع على ميدان العقيدة، لا على ميدان العمل والثورة[1].

فلمّا تولى الخلافة يزيد بن مُعاوية أرسل إلى عامله بالمدينة أن يأخذ له البيّعة من كبار الصحابة في الحجاز، رفض الحسين بن علي، وراسلته الشيعة من الكوفة، فبعثوا إليه كتباً عدة يطالبونه فيها ان يشخص إليهم، فبعث ابن عمه مسلم بن عقيل، فالـــتفوا حـــولـــه، وتمكن عبيد الله بن زياد من القضاء على ثورة الشيعة التي قادها مُسلم، وصلبه بعد مقتله[2].

وكـــان هانـــئ بـــن عـــروة ممّـــن قُتل مع مسلم وصلب، فقال شاعرهم في رثائهم[3]:

فإن كنت لا تدرينَ ما الموتُ فانظرى   إلـــى هانـــئ فـــي السُّوق وابن عقيل
أصـــابهُما أمـــرُ الإمـــام فأصـــبحا   أحاديـــثَ مـــنْ يســـعى بكـــلِّ ســـبيل

خرج الحسين بن علي إلى الكوفة، فتخلى أهل الكوفة عنه، فلقيته جنود عبيد الله عند كربلاء، فحارب هو وأهله، فقُتلوا جميعاً سنة إحدى وستين للهجرة[4].

لقـــد كان هذا الحادث البشع المُنكر مذكياً للتشيع، وكان من العوامل التي أدت إلـــى وحدة الشيعة وحماستهم لنصرة مذهبهم، وسبباً في ثوراتهم الجارفة ليثأروا من قتلة الحسين[5].

لـــم يلبـــث عـــداء الشـــيعة للأمويين أن أُعلن في عهد عبدالملك بن مروان، فـــتحرّكوا بالكوفة، واتّعدوا الاجتماع بالنّخيلة في سنة خمس وستين للمسير إلى أهل الشـــام ليـــثأروا للحسين بن علي[6]، أجمع الشيعة على أنّهم أفرطوا في دم الحسين،

---

(1) أدب السياسة في العصر الأُموي، أحمد الحوفي، ص39.

(2) تاريخ الطبري، ج5، ص347-350.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص350 وما بعدها.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص452 وما بعدها.

(5) أدب السياسة في العصر الأُموي، أحمد الحوفي، ص41.

(6) تاريخ الطبري، ج5، ص551.

وندمـــوا على ما اقترفوا، وتابوا ممّا اجترحوا، فسمّوا التوابين وتزعمهم سُليمان بن صُرد الخزاعي[1].

توجّـــه الشيعة بقيادة سُليمان بن صُرد إلى قبر الحسين بن علي وبكى الناس بـــأجمعهم، وعـــندما انصرف الشيعة وقائدهم سُليمان بن صرد عن قبر الحسين أخذ عبدالله بن عوف بن الأحمر يرتجز وهو يتقدم جيش التوابين إلى عين الوردة، وأخذ يرســـم صـــورة الخيل العوابس التي تخرج للقتال وتحمل فوق متونها أولئك الأبطال الذين تلمع في أيديهم السيوف، وقد خلفوا وراءهم الأهل والأحباب والأموال، فقال[2]:

خرَجْــنَ يَلْمَعْــنَ بـــنا أرســالا ... عوابِســـاً يَحملنـــنا أبطـــالا
نُـــريدُ أن نلقـــى بـــه الأقـــتالا ... القاســـطين الغُـــدُرُ الضُّـــلاّلا
وقـــد رَفَضْـــنا الأهْــلَ والأموالا ... والخفِــراتِ البِــيضَ والحِجــالا
نُرضي به ذا النّعم المِفْضَالا

أرسل عبيد الله بن زياد الحُصين بن نُمير على رأس اثنى عشر ألفاً فقاتلوهم قتالاً شديداً، وقُتل سليمان بن صرد فأخذ الراية المسيّب بن نجبة، فقاتل المُسيّب حتّى قُتل، ثمّ أخذ الراية عبدالله بن نُفيل، وأخذ يقاتلهم وهو يقول أرْجَازاً ماسية يفتخر فيها بشجاعته وحسن بلائه في القتال، فقال[3]:

قـــد علمـــتْ مـــيالةُ الذّوائـــبِ ... واضِـــحة اللّـــبّات والتّرائـــب
أنّـــى غـــداة الـــروّعِ والتّغالُـــبِ ... أشـــجعُ مِـــنْ لِـــبَدٍ مُوَاثـــبِ
قطّاعُ أقرانٍ مَخوفُ الجانب

وقُـــتل مـــن الشيعة نفرٌ غير قليل منهم المزنّي والطائي وكان المزنّي فارساً شجاعاً فأبلى في المعركة بلاءً حسناً فقال قبل أن يُقتل[4]:

أنّـــى مـــن الله إلـــى الله أفِـــرّ ... رضِـــوانَكَ اللّهـــمّ أبـــدى وأُسِرّْ

---

(1) المكتّمات، كاظم الظواهري، ص81 وما بعدها.
(2) تاريخ الطبري، ج5، ص591.
(3) المصدر نفسه، ج5، ص600.
(4) المصدر نفسه، ص607.

عـــاد الذيـــن نجوا من معركة عين الوردة إلى العراق، وتوجهوا إلى الكوفة، فـــتزعم المختار بن أبي عبيد الدعوة، والتفّ حوله الشيعة، فعلم المختار أنّ عبيد الله ابن زياد قادمٌ بجيشه من الشام إلى العراق بأمرٍ من مروان بن الحكم، فبعث المختار جيشاً لقيه عند الموصل سنة ست وستين، فالتقوا وتقاتلوا[1].

وأسر جيش المختار خمسمائة أسير، وقتل منهم مائتين وثمانية وأربعين ممّن شـــهد قـــتل الحسين، ودعا من بقي من الاسارى فاعتقهم، وأخذ عليهم المواثيق ألاّ يجـــامعوا عليه عدوّاً، ولا يبغوه ولا أصحابه، ولمّا خرج المختار من جبّانة السَّبيع، وأقـــبل إلـــى القصـــر أخذ سُراقة بن مرادس يناديه مستعطفاً إياه على أن يعتقه من أسره، فقال[2]:

أمنـــن علـــيَّ اليَومَ يا خَيْرَ مَعَدْ ... وخَـــيْرَ مَـــن حَلَّ بِشحرٍ والجَنَدْ

وخَيْرَ من حيّا ولَبّى وسَجَدْ

فبعـــث به المختار إلى السجن، ثمّ دعاه، فأقبل سُراقة إلى المختار يعتذر منه، ويتذلل إليه من أجل حياته المهددة، ويبلغ هذا التذلل أقصاه حين يهاجم الشاعر نفسه وأصـــحابه، فهو يعلن أنهم خرجوا لقتال المختار، فكان خروجهم عليهم لا لهم، وأن خروجهم على المختار كان سفهاً وحُمقاً وجحوداً فقال[3]:

ألا أبلـــغْ أبـــا إســـحاق أنّـــا ... نَـــزونا نـــزوةً كانـــت علينـــا

خرجـــنا لا نـــرى الضعفاءَ شيئاً ... وكـــان خُروجُـــنا بطـــراً وَحَيْنا

نـــراهُمْ فـــي مصـــافِّهم قلـــيلاً ... وهـــم مـــثلُ الدَّبـــى حين التقينا

بـــرزنا إذ رأيـــناهُمْ فلمـــا ... رأيـــنا القـــومَ قـــد بـــرزوا إلينا

لقيـــنا مـــنهُمْ ضـــرباً طِلحْفـــاً ... وطعـــناً صـــائباً حـــتّى انثنيـــنا

نصـــرْتَ علـــى عَدوّكَ كُلَّ يومٍ ... بكـــلِّ كتيـــبةٍ تـــنعى حُسَـــينا

كـــان سُـــراقة بن مرادس ماكراً، فكان يرى أن خير وسيلة يضمن بها رضا المختار أن يعلن أنّهُ مؤمن به ومصدق له في ذلك الجانب الذي كان المختار يحرص

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص38-42.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص51.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص54.

على أن يصدقه الناس فيه وهي تلك الأكاذيب التي كان يذيعها في أصحابه ليوهمهم بأنه كالأنبياء يُوحى إليه، وأن السماء راضية عن حركته[1].

أدعـــى سُـــراقة أن الملائكـــة كانت تُقاتل مع المختار وأن الملائكة هي التي أسرته فقد كانت على دواب بُلق، عليهم ثياب بيض، فقال[2]:

ألا أبلـــغ أبـــا إســـحاقَ أنّـــي رأيـــتُ الـــبُلْقَ دُهْمـــاً مُصمتاتِ
أرى عيـــنيّ مـــا لـــم تـــرأياه كلانـــا عـــالمٌ بالـــتُّرّهاتِ

ولكن لم يكد سراقة يخرج من الكوفة، ويبعد عن سلطان المختار حتى ينفُض عـــن نفسه هذا الغبار الذليل، فقال أبياتاً يصور فيها هذه الثورة النفسية، ويسخر من تلـــك الأكاذيـــب والترهّات التي يذيعها المختار فيهم، والتي استغلها من أجل النجاة بحياته فقال[3]:

ألا أبلـــغ أبـــا إســـحاق أنّـــي رأيـــتُ الـــبُلقَ دُهمـــاً مُصنمتات
كفـــرتُ بوحـــيكم وجعلـــت نذْراً علـــيَّ قِـــتالكم حـــتّى المَمـــات
أُرى عينـــيّ مـــا لـــم تُبصـــراهُ كلانـــا عـــالمٌ بالـــتُّرّهاتِ
إذا قـــالوا أقـــول لهـــم كذبـــتُمْ وإن خـــرجوا لبِســـتُ لهم أداتي

خرج جيش المختار نحو عبدالقيس، وانتهوا بهم إلى المختار، فأمر بهم فقتُلوا فـــي الســـوق، وقد نجا منهم حُميد بن مسلم، فقال يحمد الله الذي نَجاه من بين يدي المختار[4]:

ألـــم ترنـــي علـــى دهـــشٍ نجـــوتُ ولـــم أكـــد أنجـــو
رجـــــــاُ الله أنقذنـــــــي ولـــــم ألكُ غـــــيرَهُ أرجـــــو

وعـــندما توجّـــه أشراف الكوفة إلى مصعب بن الزبير، وشكوا إليه ممّا فعله المخـــتار بهـــم، أرسل مصعب جيشاً بقيادة المهلب بن أبي صفرة، وهو عامله على

(1) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص396.
(2) تاريخ الطبري، ج6، ص55.
(3) المصدر نفسه، ج6، ص55.
(4) المصدر نفسه، ج6، ص58 وما بعدها.

فـارس، وبعـث المخـتار جيشـاً كثيفاً مع أحمر بن شُميط، ودارت المعركة بين الجيشين[1].

دخـل جـيش مصـعب الكوفة، وكان المختار يُسيطر على القصر والمدينة الداخلية، فقام جيش البصرة بمحاصرتهم لمدة أربعة شهور، وفضّل أصحاب المختار أن يسـلموا أنفسـهم فقال لهم: "إذا أنا خرجت فقُتلتُ لم تزدادوا إلاّ ضعفاً وذُلاًّ، فإن نزلتم على حكمهم وثبَ أعداؤكم الذين قد وترتموهم"، فخرج المختار في تسعة عشر رجلاً، فضارب بسيفه حتى قُتل[2].

أمـا بقـية أصحاب المختار فبعث إليهم مصعب بن الزبير عبّاد بن الحُصين الحـبطيّ، فكـان يخرجهم مكتوفين، وطلب عبدالله بن قُراد عصاً أو حديدة أو شيئاً يقـاتل بـه فلم يجده، وذلك أنّ الندامة أدركته بعدما دخلوا عليه، فأخذوا سيفه، فأخذ يتحسّر ويندم على مخالفة المختار وعدم قتالهم إلى جانبه فقال[3]:

مـا كنـتُ أخشى أن أرى أسيرا — إنّ الذيـن خـالفوا الأمـيرا

قد رُغّمو وتُبّروا تتبيرا

قـتل مصعب جميع الذين سلّموا، ويتراوح عددهم بين الستة والثمانية آلاف، فاسـتحقّ مـن أجل ذلك أن يلقّب بلقب "الجّزاز"[4]، فقال عَقبة الأسدىّ يرثيهم ويلوم مصعب الذي قتلهم بعدما أعطاهم الأمان ويعُيب عليهم أنهم قتلوهم وهم مُكتّفون[5]:

قتلـتم سـتّة الآلاف صَـبْراً — مـع العَهْـد الموثَّـقِ مكتفيـنا

جعلـتُم ذِمّـة الحَـبطىّ جسْـراً — ذَلـولاً ظهـرُهُ للواطئيـنا

ومـا كـانوا غَـداةَ دُعوا فُغرُّوا — بعَهْدهـمُ بـأوّل حائنيـنا

وقـال أعشى همدان يمدح جيش مصعب بما فعلوا بالمختار ومن معه، ويشّبه جيش مصعب بالصاعقة التي حلّت على جيش المختار، ويتشفى بما لقي المختار من

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص94 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص107 وما بعدها.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص108.

(4) الخوارج والشيعة، يوليوس فلهوزن، ص163.

(5) تاريخ الطبري، ج6، ص116.

خزي وعار[1]:

ألا هـلَ اتـاكَ والأنـباءُ تُنْمَى | بمـا لاقـتْ بجـيلةُ بـالمَذارِ
كـأنّ سـحابةً صـعقتْ عليهمْ | فعمّـتهُمْ هُـنالكَ بالدّمـارِ
فبشِّـرْ شـيعة المخـتارِ إمـا | مَـرَرْتَ على الكُويفةِ بالصّغارِ
أقـرَّ العيـنَ صـرعاهمْ وفـلٌّ | لهـمْ جـمٌّ يُقـتّل بالصّـحارِى
ومـا إنْ سـرَّنى إهـلاكُ قومى | وإن كـانوا وجـدِّكَ فـي خيارِ
ولكـنّى سُـررتُ بمـا يُلاقـى | أبـو إسـحاقَ من خزى وعارِ

وفـي عهـد هشـام بن عبدالملك خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة سنة إحـدى وعشرين ومائة، فجعلت الشيعة تأمره بالخروج، فأقام بالكوفة، واجتمع مائة ألف رجل من أهل الكوفة[2].

بلـغ يوسـف بن عمر، وهو والي هشام بن عبدالملك على العراق يومئذٍ أنّ زيـداً قد أزمع على الخروج، فبعث إلى الحكم بن الصلت أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم يحصرهم فيه[3].

توجّـه زيد ومن معه إلى المسجد وأخرجوا المحصورين في المسجد، والتقوا مـع أهل الشام واقتتلوا قتالاً شديداً وأصيب زيدِ بن علي بسهم ومات، وقام أصحابه بدفنه فدلّ عليه غلام زيد بن علي، فبعث الحكم بنِ الصلّت العباس بن سعيد المزنّى وابـن الحكـم بـن الصلت فاستخرجاه وبُعث برأسه إلى يوسف بن عمر، فقال أبو الجويـرية يستهجن عليهم فعلتهم هذه بانتهاكهم المحارم ونبشهم قبر زيد وحزّ رأسه، ثمّ يذكرهم ويخصُّ منهم يوسف بن الحكم بالوقائع والحروب التي كانت بينهم[4]:

قُـل للذيـنَ انـتهكوا المحـارمْ | ورفعـوا الشّـمْعَ بصحرا سالمْ
كـيف وجدتـم وقعـة الأكارمْ | يـا يوسـفَ بنَ الحكم بن القاسمْ

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص97 وما بعدها.
(2) المصدر نفسه، ج7، ص166.
(3) المصدر نفسه، ج7، ص181.
(4) المصدر نفسه، ج7، ص184-187.

ثمّ أُمر يزيد فصُلبَ بالكُناسة هو ومن كان معه من أتباعه[1].

5.4 الفتن والثورات الداخلية:

لـــم يخلُ العصر الأمويّ من الفتن والثورات الداخلية مُنذُ أن تولى معاوية بن أبـــي سُـــفيان الخلافـــة، لأنّ الأُمويين في نظر كثير من الأمة الإسلامية مغتصبُون للخلافـــة، فقـــد ناصـــبوا الدعوة الإسلامية العِداء، وظَلَمَ عُمَّالهم الناس، إضافة إلى اســـتهتار بعض الخلفاء، كيزيد بن معاوية، ويزيد بن عبدالملك وابنهُ الوليد، وعبثهم ومجونهم، فسخط عليهم أهل التقى والورع وثاروا عليهم[2].

توفـــي يـــزيد بـــن معاوية سنة أربع وستين، وكان مسلمٌ بن زياد والياً على خراســـان، فكـــتم مســـلم الخبر وأخذ البيعة لنفسه، فقال ابنُ عرادة يُشيع خبر وفاة يزيد[3]:

يأيُّهـــا الملـــكُ المُغلّـــقُ بابَـــهُ ... حدثـــتْ أمـــورٌ شـــأنهنّ عظيمُ
طرقـــت منيـــتهُ وعـــندَ وســـادهِ ... كُـــوبٌ وزقٌ راعِـــفٌ مـــرثومُ
ومُـــرِنَةٌ تبكـــي علـــى نَشـــوانهِ ... بالصَّـــنجِ تقعُـــدُ تـــارةً وتقـــومُ

فلمّا ظهر شعر ابن عرادة أظهر مسلمٌ موت يزيد بن معاوية، ودعا الناس إلى البيعة، حتى يستقيم أمر الناس على خليفة، فبايعوه، ثمَّ نكثوا به[4].

وثـــب أهل خُراسان بعمّالهم فأخرجوهم، ووقعت الفتنة فغلب عبدالله بن خازم على خُراسان، ثمّ أمر ابن خازم زهير بن حيّان فقتل عمرو بن مرشد، فقال الشاعر يذكر هذه الفتنة وقتل زهير بن حيّان لعمرو بن مرشد[5]:

أتذهـــبُ أيّـــامُ الحروبِ ولم تُبِئْ ... زهير بنَ حيّانٍ بعمرو بن مَرْثَدِ

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص187.
(2) العصر الأموي أدبه وحضارته، عزيزة بابتي، ص57.
(3) تاريخ الطبري، ج5، ص545.
(4) المصدر نفسه، ج5، ص545.
(5) المصدر نفسه، ج5، ص550.

وكمـــا كـــان الهجـــاء قبلياً في دوافعه في العصر الأموي كان قَبليّاً كذلك في طوابعـــه وســـماته، فالشاعر لا يخص بهجائه فرداً واحداً، وإنما يتناول القبيلة كلها، يجرّدها من المناقب، ويرميها بكل نقيصة[1]، ومن ذلك ما قاله المغيرة بن حبناء وهو تميمـــي مضريّ يهجو قبيلة بكر بن وائل ويذكر أن حالهم كان في تلك الحرب بين قتـــيل وســـجين، وكـــيف أن عـــبدالله بن خازم حاصرهم في خنادقهم فجعلها عليهم كالقـــبور، ويذكـــر تخليهم عن عمرو بن مرثد، وعصيانهم لأمر أوس بن ثعلبة فقد أمرهم أن يعتصموا بخنادقهم لكنهم أبوا وخرجوا للقتال. فكانت النتيجة هزيمتهم على يد ابن حازم، وقُتل منهم يومئذ ثمانية آلاف[2].

وفي الحرب كنتمْ في خُراسانَ كلِّها	قتـــيلاً ومســـجوناً بهـــا ومُسَـــيرا
ويومَ احتواكمْ في الحفير ابنُ خازم	فلـــم تجـــدوا إلاّ الخـــنادِقِ مَقْـــبرا
ويـــومَ تركتمْ في الغبارِ ابن مرثدٍ	وأوســـاً تركتمْ حيثُ سارو وعسكرا

وفـــي سنة سبع وستين خرج إبراهيم بن الأشتر للّحاق بعبيد الله بن زياد ومن والاه، لقـــتله الحسين بن علي فلحقوا به وقتلوه فقال سُراقة بن مرداس البارقيّ يمدح ابراهـــيم بـــن الأشتر وأصحابه على شجاعتهم في قتال الأعداء، ويدعو لابراهيم بن الاشـــتر ومـــن كان معه ويصفهم بأنهم شرطة الله الذين اختارهم ليثأروا للحسين بن علي من قتلته وهم بفعلهم هذا شفوا غليل الشاعر من عبيد الله، فقال[3]:

أتـــاكم غُـــلامٌ من عرانين مذْحجٍ	جـــرِيٌّ على الأعداءِ غيرُ نكولِ
فيابـــن زيـــادٍ بـــؤ بأعظم مالكٍ	وذُقْ حدّ ماضي الشّفرتين صقيلِ
ضـــربناك بالعضب الحُسام بحدّةٍ	إذا مـــا أبأنـــا قـــاتلا بقتـــيل
جـــزى الله خيراً شُرطة الله إنّهُمْ	شـــفوا من عُبيد الله أمس غليلي

وفـــي ســـنة تســـع وستين كان خروج عبدالملك بن مروان إلى عين وردة، واســـتخلف عمرو بن سعيد بن العاص على دمشق فتحصّن بها، فبلغ ذلك عبدالملك،

---

(1) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، إحسان النص، ص495.

(2) تاريخ الطبري، ج5، ص551.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص92.

فرجع إلى دمشق فحاصره وقاتله بها، وتمكن عبدالملك من قتله، وهو يقول متمثلاً[1]:

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي اضربْك حيثُ تقولُ الهامةُ اسقوني

قال خالد بن يزيد بن معاوية لعبدالملك ذات يوم: عجبٌ منك ومن عمرو بن سعيد، كيف أصبت غرّته فقتلته، فقال عبدالملك يصف لخالدٍ كيف قتل عمرو بن سعيد وأنّهُ قتله غضباً لدينه وليس سبيل المسيء كالمحسنِ[2]:

دانيتُه مِنّي ليسكنَ رَوعُه فأصولَ صولَةَ حازمٍ مُستَمكنِ

غَضَباً ومحميةً لديني إنّه ليسَ المُسيءُ سبيلُه كالمُحسن

وفي السنة الثانية والسبعين كتب عبدالملك بن مروان إلى عبدالله بن خازم مع سورة بن أشيم النُميريّ: إنّ لك خُراسان سبع سنين على أن تُباع لي، فقال ابنُ خازم لسورة: لولا أن أضرّب بين بني سُليم وبني عامر لقتلتُك، ولكن كلْ هذه الصحيفة، فاكها[3].

ثُمّ كتب عبدالملك إلى بُكَير بن وشاح – وكان خليفةَ ابنِ خازم على مرو بعهده على خُراسان ووعده بذلك، وعندما علم ابنُ خازم بذلك أخذ يستعد للقتال، فتهايج العسكران وقُتل ابن خازم، وبعث بكير بالرأس إلى عبدالملك، فقال رجل من بني سُليم، يرثي ابن خازم ويدعو إلى الأخذ بثأره[4]:

فلو شهد الفوارسُ من سُلَيْمٍ غداةَ يُطافُ بالأسدِ العَقيرِ

لنازلَ حولهُ قومٌ كِرامٌ فَعزَّ الوِترُ في طلب الوُتور

فقد بقيت كلابٌ نابحاتٌ وما في الأرضِ بعدَك من زئيرِ

تتابعت الفتن والثورات ضد الحكم الأُمويّ، ففي سنة إحدى وثمانين كانت ثورة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث التي أشعل نيرانها ضد الخليفة عبدالملك وواليه على العراق الحجاج، وكان سبب الخلاف بين ابن الأشعث والحجاج، أن ابن

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص145.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص148.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص176.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص177 وما بعدها.

الأشــعث بعــد أن أنهى غزو بلاد رتبيل وغنم أراد أن يعود فطلب منه الحجاج أن يســتمر فــي قتال العدو، ولكن ابن الأشعث رفض الاستمرار في الغزو خوفاً على جــنده، وكذلك جنوده رفضوا القتال، وقاموا بمبايعة ابن الأشعث، على خلع الحجاج وجهاده لنفيه من أرض العراق[1].

قدم جيش ابن الأشعث وعلى مقدمته عطية بن عمرو العنبريّ، فجعل لا يلقى خــيلاً إلاّ هزمها، فقال الحجاج من هذا؟ فقيل له: عطيّة، فقال الأعشى يذكر شجاعة عطيّة وحسن بلائه[2]:

فــــإذا جَعلـــتَ دُرب فــــا رسَ خَلَفُهـــمْ درْبـــاً فَدرْبـــا
فابعـــثْ عطـــيّة فـــي الخُـــيو لِ يُكبُهـــنَّ علـــيكَ كـــبّا

فتمكن ابن الأشعث من هزيمة الحجّاج[3]، ولم تتوقف الحرب بينهما، ففي سنة اثنتيــن وثمانيــن كانت وقعة الزاوية، فتقاتلوا في المحرّم واشتدّ قتالهم، فتمكن أهل العراق من هزيمة الحجاج وجنده[4].

وقُــتل الطفــيل بن عامر بن واثلة وهو أحد قادة ابن الأشعث وكان قال وهو بفــارس عــندما أقبل مع عبدالرحمن أبياتاً شعرية يتوعد فيها الحجاج بالعذاب الذي سوف يُلاقيه على أيدي المؤمنين، وأنّه لن ينجو منهم مهما هرب[5]:

ألا أبلــغْ الحجّــاج أن قــد أظلّهُ عــذابٌ بأيدي المؤمنينَ مُصيبُ
متى نهبطِ المصرَين يهرُبْ مُحمدٌ وليس بُمنجى ابن اللعين هُرُوبُ

مضـــى ابــن الأشعث نحو الكوفة فيابعوه، وعندما علم عبدالملك بن مروان بذلــك أرســل إلــيه جيشــاً فاجــتمعوا بدير الجماجم وأخذوا يتزاحفون في كلٍّ يومٍ يقتــتلون[6]، وهزم ابن الأشعث ومضى هارباً مع ابن جعده بن هُبيرة ومعه أناس من

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص334 –336.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص337.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص341.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص342.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص343.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص344.

أهل بيته، فلحق بهم بِسطام بنُ مصقلة، فقال: هل السفينة عبدالرحمن بن محمد؟ فلم يكلّموه، وظنّ أنه فيهم، فقال(1):

لا أولتْ نفس عليها تُجاذِرُ

صــــرّمَ قـــيسٌ علـــىً الـــبلاد حـــتى إذا اضـْــطَرمت أجْذَمـــا

وفـــي السنة الثالثة والثمانين كانت وقعة "مسكن" بين ابن الأشعث والحجاج، خرج الحجاج للقتال وخرج الناس معهُ إلى مسكن، وتأهبّوا للقتال، فالتقوا في مسكن وتقاتلوا فتمكن الحجاج من هزيمة ابن الأشعث(2)، ثمّ بعث يزيد بن المهلب بالأسرى إلى الحجاج، وكان الحجاج يأتي بهم واحداً تلو الآخر ليقتلهم، فأتى بعبدالله بن عامر، فلمّا قام بين يديه قال: لا رأت عيناك يا حجّاج الجنة، إن أقلت ابن المهلب بما صنع، قال: وما صنع؟ قال(3):

لأنّـــهُ كـــاس في إطلاق أُسرتِهِ وقـــادَ نحوكَ في أغلالها مُضرا

وقـــى بقومكَ ورد الموتِ أسرته وكـــان قومُكَ أدنى عنده خطرا

وتوجّه ابن الأشعث بعد هزيمته في وقعة مسكن إلى رُتبيل فكتب الحجاج إلى رُتبـــيل أن يبعث إليه برأس ابن الأشعث وإلاّ فسوف يُحاربه، وكان عند رُتبيل رجلٌ مـــن بني يربوع يُقال له عُبيد بن أبي سُبيع، فأغرى رُتبيل بالمال، فقال له: أنا آخذ لـــك مـــن الحجـــاج عهـــداً ليكفنّ الخراج عن أرضك سبع سنين على أن تدفع إليه عبدالرحمن بن محمد، قال رُتبيل لعبيد: إن فعلت فإنّ لك عندي ما سألت(4).

وأرســـل بـــرأس ابن الاشعث وبرؤوس أهله وبامرأته إلى الحجاج، فقال في ذلك بعض الشعراء(5):

هـــيهات موضعُ جُثَّةٍ من رأسها رأسٌ بمصـــرَ وجـــثّة بالـــرَّخِّجِ

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص364.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص367-372.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص379.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص389 وما بعدها.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص391.

وفـــي ســـنة إحدى ومائة قام يزيد بن المهلب بخلع يزيد بن عبدالملك، وكان يزيد بن المهلب يعطي من أتاه من الناس فكان يقطع لهم قطع الذهب، وقطع الفضة، فمال الناس إليه، وأمّا عدي بن أرطأة والي يزيد بن عبدالملك على البصرة لا يُعطي إلا درهميـــن، فقال الفرزدق يهجو عدي بن أرطأة لفرضه درهمين للناس وهو مبلغ زهـــيد[1]، وكـــان الفـــرزدق يتناول مهجويه فيقلل من شأنهم، ويرميهم بألوان اللؤم والحطة والخسة[2]:

أظُــنُّ رجـــالَ الدّرهمين يُسوقُهمْ إلـــى الموتِ آجالٌ لهُمْ ومَصَارِعُ
فأحــزمُهم من كان في قعر بيته وأبقيـــنَ أنّ الأمـــر لا شكّ واقِعُ

وخرجـــت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عديّ، فبعث إليهم يزيد بن المهلب مولـــىً له يُقال له دارس فهزمهم، فقال الفرزدق يهجو قبيلة قيس التي فرّقها دارس مولى المهلب[3]:

تَفَرّقـــتِ الحمـــراءُ إذ صاح دارسُ ولم يصبروا تحت السُّيوف الصَّوارمِ
جـــزى الله قيســـاً عن عديٍّ ملامةً ألا صـــبروا حـــتّى تكـــونَ مَلاحِـــمُ

وخـــرج يزيد بن المهلب واجتمع له الناس، حتّى نزل جبّانة بني يشكر فاقتتلوا، وانهزم أصحاب عديّ، فقال القطامي يفخر بجيش يزيد بن المهلب[4]:

لعـــلّ عيـــنى أنْ تـــرى يـــزيدا يقـــودُ جيشـــاً جحفـــلا شـــديدا
تسْـــمعُ لـــلأرض بـــه وئـــيدا لا بَـــرماً هِـــدّاً ولا حســـودا
ولا جـــباناً فـــي الوغى رعديدا تـــرى ذوى الـــتّاج له سُـــجودا
مُكفريِّـــــن خاشـــعينَ قـــودا وآخريـــن رَحّـــبوا وفُـــودا
لا يـــنقضُ العهـــد ولا المعهودا مـــن نفـــرٍ كـــانوا هِجاناً صيِدا

ثمّ توجّه يزيد بن المهلب للقاء مسلمة بن عبدالملك فقدّم يزيد بن المهلب أخاه عـــبدالملك نحو الكوفة، فشدّ عليهم أهل البصرة واقتتل القوم، وانهزم جيش يزيد بن

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص579-581.

(2) الفرزدق، شاكر الفحام، دار الفكر، دمشق، 1977، ص333.

(3) تاريخ الطبري، ج6، ص581.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص585.

المهلــب، وقُتل المنتوف من بكر بن وائل فقال الفرزدق يحرّض بكر بن وائل للأخذ بثأر مالك وعبدالملك ابني مسمع البكريين[1]:

تُــبكّي على المنتوفِ بكرُ بنُ وائلٍ وتنْهى عن ابنى مِسْمَع من بكاهما
غلاميــن شبّا في الحروب وأدركا كِــرامَ المساعى قبلَ وصل لحاهُما
ولــو كــان حــيّاً مالكٌ وابن مالكٍ إذاً أوقــدوا ناريــن يَعلــو سَنَاهُما

قُــتل يزيد بن المهلب وأسر أهل الشام نحواً من ثلثمائة رجل فسرّحهم مسلمة ابــن عبدالملك إلى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم فقام نحوٌ من ثلاثين رجلاً من بنــي تمــيم، فقالوا: نحن انهزمنا بالناس، فاتقوا الله وابدءوا بنا قبل الناس، فضُربت أعــناقهم، فقال حاجب بن ذُبيان من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم يتذمّر من قتل أسرى تميم[2]:

لَعَمرى لقد خاضتْ معيطٌ دماءنا بأســيافها حتى انتهى بهم الوحلُ
ومــا حُمل الأقوامُ أعظم من دمٍ حرامٍ ولا ذحْلٍ إذا التمس الذّحلُ
حقنــتم دِمــاءَ المصُــلتين عليكمُ وجُــرّ على فُرسان شيعتك القتلُ
وقــى بهمُ العُربانُ فُرسانَ قومِهِ فــيا عجــباً أينَ الأمانةُ والعدلُ!

وقال ثابت قطنة يُبدي عدم رضاه بقتل الأسارى من ربيعة على يد معاوية بن يزيد بن المهلب[3]:

مــا سّــرنى قــتلُ الفــزاريِّ وابنه عــديٌ ولا أحببــتُ قــتل ابن مِسْمَعِ
ولكــنها كانــت مُعــاويَّ زلّــةً وضــعْتَ بها أمرى على غير موضع

وفــي ســنة سبع عشرين ومائة توجه مروان بن محمد إلى الرّقة لتوجيه ابن هبــيرة إلى العراق لمحاربة الضّحاك بن قيس الشيباني، فتوجه إلى سليمان بن هشام بــن عبدالملك بن مروان نحو عشرة آلاف، ودعوه إلى خلع مروان ومحاربته وقالوا له: أنت أرضى منه عند أهل الشام، وأولى بالخلافة، فعسّكر بهم إلى قنسّرين وكاتب

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص591.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص599.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص600.

أهل الشام فأجابوه، واجتمع إليه نحو من سبعين ألفاً من أهل الشام، فوجّه مروان بن محمد عيسى بن مسلم في نحو من عدّتهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً[1].

وبعـد أن هُزم سليمان بن هشام في وقعة (خُساق) توجّه إلى الضحاك ليبايعه فخـرج مـع عبدالله بن عمر فبايعه، فسار مع الضحاك حين سار إلى مروان، فقال شُـبيل بـن عـزرة الضُـبعي يُشير إلى مبايعة سليمان بن هشام للضحاك بن قيس الشيباني[2]:

ألـم تـرَ أنّ الله أظهـر ديـنه فصلّتْ قريشٌ خلف بكر بن وائل

فدخل مروان بن محمد على الشام ونفى من كان يخالفه ووجّه يزيد بن هبيرة عاملاً على العراق[3].

وفـي سنة تسع وعشرين ومائة كانت الحرب بين الكرماني ونصر بن سيّار، فاقتـتلوا قـتالاً شـديداً، فلما استيقن أبو مسلم الخراساني أنّ كلا الفريقين قد أثخن صاحبه نزل بين الفريقين وكثر أصحابه، فكتب نصر ين سيّار إلى مروان بن محمد يُعلمـه حال أبي مسلم وخروجه وكثرة من معه ومن تبعه وأنّهُ يدعو إلى ابراهيم بن محمـد، وكتـب بأبـيات شعر يُخبر مروان بن محمد ويحذّره من دعوة أبي مسلم الخراساني للعباسيين[4]:

أرى بيـنَ الـرَماد وميضَ جَمْرٍ فـأحجِ بـأنْ يكُـونَ له ضِرامُ
فـإنّ الـنارَ بالعُودَيْـن تُذكـى وإنّ الحـربَ مـبدؤها الكـلام
فقُلـتُ من التَعجُب: ليتَ شعرى أأيقـاظٌ أمـيّةُ أمـن نـيامُ

ثمّ كتب نصر بن سيّار إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يطلب منه النجدة قبل أن يستفحل الأمر[5]:

أبلـغْ يـزيدَ وخيرُ القولِ أصدَقُهُ وقـد تبيّنـتُ ألاّخيرَ في الكذب

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص323 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص327.

(3) المصدر نفسه، ص368 وما بعدها.

(4) المصدر نفسه، ج7، ص369.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص369 وما بعدها.

رتبيل بذلك بعث إلى ابن الأشعث يعتذر إليه من مُصاب المسلمين ويُخبره أنّهُ كان لذلك كارهاً، ويسألهُ الصلح[1].

لم يقبل منه ابن الأشعث، فسار في جنوده، وفتح بلاد العدو، ومات عبيد الله بن أبي بكرة، فتولى ابن الأشعث على سجستان بأمرٍ من الحجاج[2].

وفي سنة سبع وثمانين غزا قُتيبة أرض بيكند، فتمكّن قتيبة ومن معه من هزيمة أهل بيكند، ثمّ ارتحل قُتيبة بعد أن صالحهم، واستعمل عليهم رجلاً من بني قُتيبة[3].

وبعد أن ارتحل قُتيبة، قام أهلُ بيكند، بقتل العامل وأصحابه، وعندما علم قُتيبة بذلك رجع إليهم، فقاتلهم شهراً وأصاب المسلمون ما لا يحصى من آنية الذهب والفضة، ورجع قُتيبة إلى مرو، وقوّى المسلمين، فاشتروا السلاح والخيل، فقال الكُميت[4]:

ويومَ بيكندَ لا تُحصى عجائبهُ وما بُخاراءُ ممّا أخطأ العددُ

وفي سنة ثمان وثمانين غزا قُتيبة نومشكث، واستخلفَ على مرو بشّار بن مُسلمٍ ثمّ توجّه إلى رامثينه، فزحف إليه التُّرك ومعهم أهل السُّغد، وأهل فرغانة، فاعترضوا المسلمين فعلم قُتيبة بذلك فرجع إليهم، وقاتلهم، فهُزم الترك، وفُض جمعهم[5].

وفي سنة تسع وثمانين غزا قُتيبة بُخارى، فلقيه السُّغد فقاتلوه، فظفر قُتيبة بهم، فانتصر عليهم، فقال نهار بن توسعة يمدح قُتيبة بفتح خرقانة السُّفلى[6]:

وباتت لهُمْ منّا بخَرقانَ لَيْلة وَلَيْلَتُنا كانت بِخَرْقانَ أطولا

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص328.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص329.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص432 وما بعدها.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص431 وما بعدها.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص436.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص439.

غـدر نـيزك بالمسلمين، فنقض الصلح الذي كان بينه وبينهم، وامتنع بقلعته، فغـزاه قتيبة، فمضى نيزك وعسكر ببغلان، وخلف مُقاتلةً على فمّ الشعب ومضايقه يمـنعونه فأقام قتيبة أياماً يقاتلهم على مضيق الشّعب، وتمكنوا من نيزك، فأخذه قتيبة ووضعه في السجن(1).

وأخـذ قتيبة يستشير الناس في أمر نيزك، فمنهم من أشار عليه بقتله، ومنهم مـن أشـار علـيه بألاّ يقتله، فقال قتيبة ما تقول يا ضرار؟ قال: أقول: إنّي سمعتك تقـول: أعطيت الله عهداً إن أمكنك منه أن تقتله، فإن لم تفعل لا ينصرنك الله عليه أبداً، فأمر قتيبة بقتله وأصحابه فقتل مع سبعمائة(2).

وصلب نيزك وابني أخيه في أصل عين تُدعى وخشن خاشان في اسكيمشت، فقال المغيرة بن حنباء يتشفى بمقتل نيزك على يد قتيبة(3):

لعمرى لنَعْمَتْ غزوةُ الجُند غزوةً ... قضـتْ نحبها من نِيزكٍ وتعلّتِ

بعث قُتيبة برأس نيزك مع مجفن بن جزء الكلابيّ وسوّار بن زهدم الجرميّ، فقال الحجاج: إن كان قُتيبة لحقيقاً أن يبعث برأس نيزك مع ولد مسلم، فقال سَوّار(4):

أقـولُ لمحفـنٍ وجـرى سـنيحٌ ... وآخَـرُ بـارح مِـن عَنْ يمينى
وقـد جعلـتْ بوائـقُ من أمورٍ ... تـرفّع حولَـه وتكـفّ دونـى
نشـدتُك هـل يُسرك أنّ سرجى ... وسَـرْجَكَ فـوق أبغُـل باذيين

وأخذ الناس يقولون: غدر قُتيبة بنيزك، فقال ثابت قُطنة(5):

لا تحسـبنّ الغـدرَ حزماً فربّما ... ترقّـتْ بـه الأقدامُ يوماً فزلّت

ولمّـا رجع قُتيبة إلى مرو وقتل نيزك، طلب ملك الجوزجان الذي هرب عن بـلاده، فطلب رُهنا يكونون في يديه ويُعطى رهائن، فأعطى قُتيبة حبيب بن عبدالله بـن عمـرو بن حُصين الباهليّ، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته، فقدم

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص454.
(2) المصدر نفسه، ج6، ص458.
(3) المصدر نفسه، ج6، ص458.
(4) المصدر نفسه، ج6، ص459.
(5) المصدر نفسه، ج6، ص459.

ملـــك الجوزجان على قتيبة فصالحه، ثمّ رجع فمات بالطاعون فقال أهل الجوزجان، ســـمّوه، فقتلوا حبيباً، فقام قتيبة وقتل الرهائن الذين كانوا عنده، فقال نهار بن توسعة لقتيبة[1]:

أراكَ الله فـــي الأتـــراك حُكمـــاً   كحُكـــمٍ فـــي قُـــريظةَ والنَّضير
قضـــاءٌ مـــن قُتيـــبةَ غيرُ جور   بـــه يُشـــفى الغليلُ من الصدُور
فـــإن يـــرَ نـــيزكٌ خـــزياً وذُلاًّ   فكـــمْ في الحرب حُمّق من أمير

وفي سنة إحدى وتسعين غزا قُتيبة بن مسلم شومان وكسّ ونسف، فعندما قام ملـــك شومان بطرد عامل قتيبة وامتنع عن دفع الفدية التي صالح عليها قُتيبة، بعث إلـــيه قُتيبة عيّاشاً الغنويّ، ومعه رجل من نسّاك أهل خراسان فقاتلهم عيّاش الغنوي وقُتل[2].

ثُمَّ سار إليهم قتيبة، ففتح القلعة وأخذها عنوةً، وفتح كس ونَسَف، وسرّح قتيبة أخاه عبدالرحمن بن مُسلم إلى السُّعد، فانتبذ الناس وعاثوا وافسدوا، فأمر عبدالرحمن أبـــا مرضـــيّة مولىً لهم أن يمنع الناس من شرب العصير، فكان يضربهم، ويكسر آنيـــتهم، ويصبُّ النبيذ، فسال في الوادي فسُميّ مرج النبيذ، فقال بعض شعرائهم في الامتناع عن شرب النبيذ بعد أن منعهم عنه عبدالرحمن بن مسلم الباهليّ[3]:

أمّـــا النَّبـــيذُ فلســـتُ أشـــربُه   أخشـــى أبـــا مرضـــية الكَلْـــبِ
مُتعســـــفاً يسنْـــــعى بشـــكّته   يتوثّـــب الحـــيطانَ للشُّـــربِ

ثـــمّ مضـــى قُتيبة إلى بُخارى فنزل قرية فيها بيت نار وبيتُ آلهة، وكان فيها طواويـــس، فســـمّوه منزل الطواويس ثمّ سار إلى السُّغد ليقبض منه ما كان صالحه عليه، فلمّا أشرف على وادي السُّغد فرأى حسنهُ تمثّل[4]:

وادٍ خصـــيبٌ عَشـــيبٌ ظَلّ يمنَعُهُ   من الأنيسِ حذار اليوم ذى الرَّهج

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص460.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص461.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص463.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص463 وما بعدها.

وردتُـــــهُ بعَنانـــــيجٍ[1] مُســــوّمةٍ   يَرْديــنَ بالشُّــعثِ سفّاكين للمُهجِ

فقـــال كعب الاشقري يمدح قُتيبة بسيطرتة على بلاد السُّغد، ويُشير إلى كثرة الأموال والغنائم التي حصل عليها من بلاد السُّغد، ويذكر حال السُّغد بين وليد يبكي فقد أبيه، وبين أب يبكي فقد ابنه، ونتيجة لكثرة جيوش قتيبة وشجاعتهم فإنهُ لا يدخل بلداً إلاّ تركت خيولُهُ بها اخدودا[2]:

كُـلَّ يـومٍ يحـوى قُتيـبةُ نهباً   ويَـزيدُ الأمـوالَ مـالاً جديـدا
بـاهليٌ قـد أُلـبس الـتاجَ حتّى   شـاب مـنهُ مَفـارقٌ كنّ سودا
دوّخ السُّـغد بالكتائـب حـتّى   تـرك السُّـغد بالعـراءِ قُعُـودا
فولـيدٌ يـبكي لفقـد أبـيه   وابٌ مُوجـعٌ يُـبكّي الولـيدا
كلمـا حـلَّ بلـدةً أو أتاهـا   تركـتْ خَـيْلُهُ بهـا اخـدُودا

وفي سنة أربع وتسعين غزا قُتيبة الشاش وفرغانة فلمّا قطع النهر فرض على أهل بخارى وكس ونسف وخوارزم عشرين ألف مُقاتل، فوجّهوا إلى الشاش، وتوجه إلى فرغانة وسار حتى أتى جُخندة، فاقتتلوا وانتصر المسلمون، فقال رجل من رجال قتيـبة يتمثل بقول عوف بن الخرع حيث تصف هذه الأبيات سيطرة المسلمين على هذه البلاد[3]:

نـؤمُّ الـبلادَ لحُـب اللّقـا   ولا نـتقى طائـراً حيـثُ طارا
سـنيحاً ولا جاريـاً بارِحـاً   علـى كـلّ حال نُلاقي اليسارا

وقال سحبان وائل يفتخر بجيش قُتيبة من المسلمين وقتالهم في خُجَنْدة:

فَسَـلِ الفـوارسَ فـي خُجـندةَ   تحـتَ مُـرهفةِ العوالـى
هـل كُنـتُ أجمَعُهـمُ إذا   هُـزموا وأقـدمُ فـي قـتالى
أم كُنـتُ أضـربُ هامـةَ الـ   ـعـاتى وأصـبرُ للعوالـى
هـذا وأنـت قـريعُ قـيسٍ   كلُّهَـا ضَـخمُ الـنَّوالِ
وَفضـلتَ قيسـاً فـي الـنّدى   وأبـوكَ فـي الحجـج الخَوالى

(1) العنانيج: الخيل النجيبة.

(2) تاريخ الطبري، ج6، ص480.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص484.

ولقـــد تبيّـــن عَـــدلُ حُكمِـــكَ فـــيهمُ فـــي كـــلِّ مـــال

تمَّـــت مـــــروءتُكُمْ ونـــــا غـــى عِـــزُكُم غُلـــبَ الجَـــبالِ[1]

وفـــي ســـنة خمس وتسعين بعث الحجاج جيشاً من العراق فقدموا على قُتيبة، فلمّـــا كان بالشاش أتاه موت الحجاج، فغمّهُ ذلك وقفل راجعاً إلى مرو، وتمثل ببيتين من الشعر يُعبران عن مدى حزنه على موت الحجاج[2]:

لعمـــرى لنِعمَ المرءُ من آل جعفر بِحَـــوْارنَ أمســـى أعلَقتْهُ الحَبَائلُ

فإن تَحْىَ لا أملكْ حياتي وإن تمُتْ فمـــا فـــي حـــياة بعد موتِكَ طائلُ

وفـــي ســـنة ســـت وتسعين غزا قُتيبة الصين، وحلف ألاّ ينصرف حتى يطأ أرضـــهم، ويخـــتم ملوكهـــم، ويُعطى الجزية، وعندما علموا بذلك أرسلوا إليه تُراباً لـــيطؤه، فـــي صحاف من ذهب، وبعثوا إليه أربعة غلمان من أبناء ملوكهم وذهب وفضـــة، فقـــبل قتيـــبة الجزية، وختم الغِلمة وردّهم، ووطئ التراب، فقال سوادة بنُ عـــبدالله الســـلوليّ يمدح هُبيرة بن المشمرج الذي بعثه قتيبة لحاكم الصين، وأنّهُ لم يرضَ إلاّ أن يختمهم ويأخذهم رهائن[3]:

لا عَيـــبَ فـــي الوَفْـــدِ الذيـــنَ بَعثْتُهمْ للصـــين إن ســـلكوا طـــريقَ المَنهجِ

كسروا الجفونَ على القذى خوفَ الرّدى حاشـــا الكـــريم هُبـــيرة بن مُشْمَرَجِ

لـــم يـــرض غـــيرَ الخـــتْمِ في أعناقهم ورهائـــنِ دُفعـــت بحمـــل مُشَـــمرَجِ

أدّى رســـالتك التـــي اســـترعيتهُ وأتـــاك مـــن حنـــثِ اليميـــن بمخرجِ

وقال ثابت قطنة يذكر من قتل من ملوك التّرك[4]:

أَقَـــرَّ العيـــن مقـــتلُ كـــارزنكِ وكَشْـــبينر مـــا لاقـــى بـــيار

وفـــي ســـنة أربع ومائة غزا سعيد الحرشيّ السَّغد، فقتل عدداً من دهاقينها، وأصاب الكثير من الأموال، فقال ثابت قطنة يذكر ما أصابوا من عظمائهم[5]:

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص480.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص492.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص500-503.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص504.

(5) المصدر نفسه ، ج7، ص10.

أقَــرَّ العيــن مصــرعُ كارز نجٍ وكشّــينِ ومــا لاقــى بــيارُ
وديــوا شــنى ومــا لاقى جلنجٌ بحصــن خُجَنْدَ إذ دَمَروا فباروا

قدم دهقان ابن ماجر على ابن هبيرة فأخذ أماناً لأهل السُّغد، فحبسه في قهندر مــرو، فلمّا قدِم سعيد الحرشيّ مرو دعا به، وقتله وصلبه في الميدان، فقال الراجز يفتخر بأفعال سعيد الحرشيّ[1].

إذا ســعيدٌ ســارَ فــي الأخماسَ فــي رجــح يــأخذُ بالأنفــاس
دارتْ علــى الــتُرك أمرُّ الكاس وطــارت الــتُّرك علــى الأحلاسِ
ولّوا مِراراً عُطّلَ القياس

وفــي سنة ثمان ومائة غزا أسد بن عبدالله الختَّل ولم يكن بينهم قتال في تلك الغزاة، بل هزموا أسداً، وفضحوه فتغنّى الصبيان[2]:

أزْ خُـــــتّلان آمــــــدى بــــرَو تَــــباهْ آمــــذِى

فأمر أسد الناس فارتحلوا ثُمّ أقبل خاقان حين انصرفوا إلى غورين، ولم يتلقِ أسدٌ معهم ورجع إلى بلخ، فقال الشاعر يمدح أسد بن عبدالله:

ندبتُ لي من كل خُمسٍ ألفين مــن كلّ كّاف عريض الدّمينْ[3]

وفي سنة تسع ومائة غزا أسد بن عبدالله أرضَ غورين وتمكن من الانتصار عليهم، فقال ثابت قطنة يمدح أسد القَسْرى، ويذكر حسن بلائه في الحرب فتمكّن أسد مــن دخــول غورين فهرب منه جنوده التُّرك، وكان دخوله إليهم كليثِ غابة، وأنّه استمدّ هذه الشجاعة من شجاعة أبيه عبدالله، فقال[4]:

أرى أســداً في الْحَربِ إذ نَزَلَتْ به وقــارعَ أهــل الحرب فازَ وأوجَبا
تــناول أرضَ السّبل، خاقانُ ردؤه فحــرّقَ ما استعصى عليه وخرّبا
أتــتك وفــودُ الــتّرك ما بَيْنَ كابلٍ وغُوريــنَ إذ لم يَهْرُبُوا منك مَهْرَبا
فمــا يَغْمُــرُ الأعداء من ليْثِ غابة أبــى ضــاريات حَرَّشُــوهُ فعقّــبا

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص12.
(2) المصدر نفسه، ج7، ص43.
(3) المصدر نفسه، ج7، ص44.
(4) المصدر نفسه، ج7، ص46 وما بعدها.

بــنى لــك عــبدُالله حِصناً ورثتهُ قديمــاً إذا عُــدّ القديــمُ وأنجــبا

وفــي ســنة اثنتي عشرة ومائة كانت وقعة الجُنيد، وكان سببها أن الجنيد بن عبدالرحمن خرج غازياً يريد طخارستان فجاشت التّرك وأتوا سمرقند، وعليها سورة ابن الحُرّ، فكتب سورة إلى الجنيد: إنّ خاقان جاش بالترك فخرجتُ إليهم، فما قدرت أن أمنع حائط سمرقند، فالغوث[1].

الــتقى التُّرك بقيادة خاقان وتقاتلوا مع المسلمين بالشّعب، قاتل المسلون قتالاً شــديداً، وقــاتل إلى جانبهم العبيد، وأمر الجُنيد رجلاً فنادى: أي عبد قاتل فهو حرّ، وقُتل سورة بن الحُرّ فقال نهار بن توسعة يصف وقعة الشعب بين المسلمين والتُّرك:

لعمــرُكَ مــا حابيتنى إذ بعثتني ولكــنّما عرّضْــتنى للمــتالفِ

دعــوت لها قوماً فهابوا ركوبها وكنــتُ امْــرَأً ركّابة للمخاوفِ

فأيقنــتُ إنْ لــم يدفــع الله أننى طعــامُ سِــباعٍ أو لَطَيرٍ عوائفِ

قريــنُ عــراكٍ وهو أيسَرُ هالك علــيك وقــد زمّلْــتَهُ بصحائفِ

فــإنّى وإنْ آثــرتَ مــنه قرابةً لأعظــمُ حظّاً في حباءِ الخلائف

علــى عهــد عثمانٍ وفَدنا وقبلَهُ وكــنّا أُولى مجد تليدٍ وطارِفِ[2]

وقال الشرعبيّ الطائيّ يصف قتال المسلمين مع الترك[3]:

بــلادٌ بهــا خاقــانُ حمٌّ زَحُوفُهُ ونَــيلانُ فــي ســبعينَ ألفــاً مُقَنّعُ

إذا دبَّ خاقــانٌ وسارت جنودُهُ أتتــنا المــنايا عــند ذلــك شُــرّع

ألا رُبَّ خَــودٍ خَدْلَــةٍ قد رأيتُها يَسُــوق بهــا جَهمٌ من السُّغدِ أصمَعُ

ألا رجــلٌ مــنكم كــريمٌ يَرُدُّنى يرى الموت في بعض المواطن ينفع

وأقــبل خاقــان فهزم المقدمة، وقتل من قتل منهم، فأصيب رجالٌ من الأزد وتميم، فأقام الجُنيد بسمرقند، وانصرف خاقان إلى بُخارى[4].

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص71.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص79.

(3) المصدر نفسه، ج7، ص85.

(4) المصدر نفسه، ج7، ص80 وما بعدها.

الفصل الخامس

الدراســة الفنّيــة

1.5 الآثار الدينية:

غـيرت الحـياة الدينية الشعر الأُمويّ، وأثّرت فيه أثراً عميقاً، كما أثّرت في نفـوس الشـعراء، وأصبح من غير الممكن أن ينظموا شعراً لا تتضح فيه المعاني الدينية[1].

امـتدّ أثـر الإسلام إلى سائر أغراض الشعر التقليدية التي ورثها شعراء هذا العصـر عن سابقيهم، فأضافوا إلى معاني هذه الأغراض ما أفادوه من معانٍ تتصل بقـيم الإسلام ومثله ومبادئه، فأصبحوا لا يمدحون أحداً ولا يهجون أحداً إلاّ وضعوا الصفات الدينية إيجاباً وسلباً في مديحهم وهجائهم[2].

فـنجد أنّ شُعراء هذا العصر حين يمدحون يتجاوزون صفات المديح المألوفة لـدى الشـعراء والمـتوارثة مـن قبل إلى صفات تدخل في صميم الدين ومعانيه، يضفونها على ممدوحيهم هادفين بذلك أن يضعوهم في مصاف عباد الله المخلصين، فقد ذكر حارثة بن بدر الغُدانّي في مدحه لزياد بن أبي سُفيان بعض المعاني الدينية، فزياد إمامٌ سيرته العدل، وقصدهُ الحق، وهو حازم في إنفاذ الأمور، فقال[3]:

ألا مـن مـبلغٌ عـنّي زيـاداً   فـنعم أخـو الخلـيفة والأمـيرُ
فأنـت إمـامُ معدلـةٍ وقصـدٍ   وحـزمٍ حيـن تَحضُرُكَ الأمورُ
أخـوكَ خلـيفة الله ابـنُ حربٍ   وأنـتَ وزيـرهُ، نعـمَ الوزيرُ

ونجد أن المعاني الدينية كانت واضحة في الفخر الشخصي، فقد قال خالد بن عبدالرحمن بن خالد بن الوليد مُفتّخراً بحسبه ودينه وأنّهُ سيف الله[4]:

---

(1) التطور والتجديد في الشعر الأُموي، شوقي ضيف، ج5، ص64.

(2) في أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص319.

(3) تاريخ الطبري، ج5، ص223.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص228.

أنـــا ابــنُ ســـيف الله فاعرفونى لـــم يـــبقَ إلاّ حســـبى وديـــنى

وصارمٌ حبلٌ به يمينى

ومـــن المعاني الإسلامية التي شاعت في الشعر الأُمويّ قتل النفس المُحرّمة، وإعلان الندم والظلم وخاصة في قتلى من قُتل من آل البيت، فعندما قُتل الحسين بن علي خرجت امرأة من بني عبدالمطلب وهي تبكي على قتلى آل البيت[1]:

مـــاذا تقولـــون إن قـــال النبيُّ لكم مـــاذا فعلـــتم وأنـــتم آخـــرُ الأُمم

بعترتـــي وبـــأهلي بعـــدَ مُفـــتقدى مـــنهم أُسارى وقتلى ضُرجُوا بدمِ

ما كان هذا جزائي إذ نصحتُ لكم أن تُخلفوني بسوءٍ في ذوى رحمى

وعـــندما قُتل الحسين بن علي أخذ عبيد الله بن الحُرّ يرتجز مُعلناً ندمه وأسفه لعدم قتاله مع الحسين بن علي[2]:

يقـــولُ أمـــيرٌ غـــادرٌ حقّ غادرٍ ألا كُنت قاتلتَ الشهيد ابنَ فاطمة

فـــيا ندمـــى ألاّ أكـــون نصرتُهُ ألا كـــلُّ نفـــس لا تُســـدد نادمة

وإنّـــى لأنّـــى لم أكن من حُماتِهِ لـــذو حسرةٍ ما إن تُفارقُ لازمة

وتحـــدث الشعراء عن التقوى وهو من المعاني الدينية السامية مصّورين أنّهُ طريقٌ للنجاة، ومن ذلك قول أعشى همدان يدعو فيه إلى التقوى وأنّهُ خيرُ مكسب[3]:

توسّـــلَ بالـــتّقوى إلى الله صادقاً وتقوى الإله خيرُ تكسابِ كاسب

ونجـــد أنّ بعض الشعراء كانوا يفتخرون بأنّهم أتقياء فحبيب بن مظاهر الذي كان يُقاتل إلى جانب الحسين بن علي يفتخر ويتباهى بالتقوى، يقول[4]:

أنـــتمْ أعـــدُّ عُـــدّةٍ وأكـــثرُ ونحـــنُ أوفـــى مـــنكمُ وأصـــبرُ

ونحـــن أعلـــى حُجـــةً وأظهـــرُ حقّـــاً وأتقـــى مـــنكمُ وأعـــذرُ

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص390.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص470.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص608.

(4) المصدر نفسه، ج5، ص439.

وكثيراً ما نجد أنّ شعراء هذا العصر كانوا يحثون على تقوى الله وأنّهُ أفضل عمــلٍ يقوم به المسلم وسوف يُجزى عليه بالأجرّ والثواب، ومن ذلك قول شاعرٍ من الخوارج[1]:

واعمــلْ لــربّك واســأله مثوبتهُ فــإنّ تقــواهُ فاعلم أفضلُ العملِ

وكــان الشعراء يهجون أعداءهم بالكفر، والضلال، وأنّهم اتبعوا غيرَ دين الله ومن ذلك قول كعب الأشقري يهجو الأزارقة باتهامهم بالكفر، والجور، وأنّهم اتّبعوا ديناً آخر يقول[2]:

إنّا اعتصمنا بحبل الله إذ جحدوا بالمُحكماتِ ولم نكفُر كما كفروا
جــاروا القصدِ والإسلام واتّبعوا ديــناً يُخالفُ ما جاءت به النُّذُرُ

وكذلك قول الأعشى يهجو الحجّاج ويتّهمه بالكفر[3].

حيــن طغــى بالكفر بعد الإيمان بالســيّد الغطــريف عبدالرحمن

ونــرى أنّ الشعراء في هذا العصر يربطون بين معاركهم، ومعارك الإسلام المجــيدة، ولا ســيّما معركة بدر، فقال سُراقة البارقي يربط الأيام التي انتصر فيها المختار بيوم بدر ويوم حنين[4]:

نصــرتَ علــى عدوّك كُلّ يومٍ بكــلِّ كتيــبةٍ تــنعى حُســينا
كنصــر مُحمــد فــي يــوم بدرٍ ويــومِ الشّــعب إذ لاقــى حُنينا

ونجــد أن الفــرزدق في موضعٍ آخر يربط بين وقعة وكيع بمعارك الإسلام السابقة ولا سيّما بدر واليرموك[5]:

ســيجزى وكيعاً بالجماعة إذ دعا إلــيها بســيفٍ صــارمٍ وبــنان
جزاءً بأعمال الرجال كما جرى بــبدرٍ وبالــيرموك فــئ جنان

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص172.
(2) المصدر نفسه، ج6، ص308.
(3) المصدر نفسه، ج6، ص337.
(4) المصدر نفسه، ج6، 54.
(5) المصدر نفسه، ج6، ص520.

وقد شاع استعمال لفظ الجلالة في الشعر الأُمويّ تعبيراً عن ارتباط المسلمين بطاعة الله، وامتثال أمره، والجهاد في سبيله فهو تعالى المُنجي، وبيده الخير، والمشيئة، والتأييد، يقول الراجز[1]:

الله أنجاكَ من القصبم ومن أبي حَرْدَبَةَ الأثيم
ومن غُويثٍ فاتح العُكُومِ ومالكٍ وسيفه المَسْمُوم

وقول الطِّرِمّاح بن عديّ[2]:

الماجدِ الحرِّ رحيبِ الصدر أتى به اللهُ لخيرِ أمرِ

وقول عبدالله بن خليفة الطائي[3]:

فها أنا ذا دارى بأجبال طيىءٍ طريداً ولو شاءَ الإلهُ لَغيّرا
نفانى عدوّى ظالماً عن مُهاجرى رضيتُ بما شاء الإلهُ وقدّرا

وقول الأعشى[4]:

أم غابَ ربُّكَ فاعترتك خصاصةٌ ولعلّ ربّك أن يعودَ مؤيّدا

وقول رضيّ بن منقذ العبديّ[5]:

لو شاءَ ربىّ ما شهدتُ قِتَالُهم ولا جعل النّعماءَ عندى ابنُ جابر

وأمّا كعب الأشقريّ فيُقسم بالله بأنّ الأمويين سوف ينتصرون في كلّ حرب على أعدائهم من مثل قطرى بن الفجاءة وغيره يقول[6]:

والله ما نزلوا يوماً بساحتنا إلاّ أصابهمُ من حربنا ظَفَرُ

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص306.
(2) المصدر نفسه، ج5، ص405.
(3) المصدر نفسه، ج5، ص283.
(4) المصدر نفسه، ج5، ص302.
(5) المصدر نفسه، ج5، ص433.
(6) المصدر نفسه، ج6، ص306.

وقـــد اقتبسَ الشعراء كلامهم شيئاً من القرآن أو الحديث[1]، ونجد أن الاقتباس من القرآن الكريم من المظاهر الإسلامية البارزة في شعر هذا العصر، فقد نضحت أســاليبهُ وصــور تعبــيره علـــى ألـــوان أدائهم، فاقتبسوا من آيه الطيبات وتعابيره الوضــيئات، وضــمّنوها أشــعارهم تمكيــناً لكلامهم، وتعضيداً لأفكارهم ومعانيهم والتماساً لضروب الجمال الفني المعجز المتمثل في البلاغة القرآنية.

فـــإذا أُريدَ للفكرةِ أن تتمكن من النفوس، وتتوكد في العقول لا بدّ من ربطها بكـــتاب الله، ومـــن الأمـــثلة على الإقتباس دالية أعشى همدان التي أنشدها في مدح الحجـــاج بعد القضاء على ثورة ابن الأشعث، وهجاء الخارجين على الدولة الأمويّة، ونعـــتهم بالكفر والفُسق، فالشاعر يقتبس في مطلعها تلك الآية القرآنية التي يقول الله تعالى فيها: "يُريدون أن يُطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلاّ أن يُتم نوره ولو كره الكافرون"[2]:

أبـــى الله إلاّ أن يُـــتمّمَ نُـــورهُ   ويُطْفـــئَ نورَ الفاسقينَ فَيخمُدا[3]

وتأثّـــر في البيت الثاني بقوله تعالى: "وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتُمْ ولا تُنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً"[4].

ويُـــنزل ذلاً بالعـــراق وأهلـــه   لما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا[5]

ويســـتمرُ فـــي قصـــيدته متأثراً في أسلوبها ومعانيها بأسلوب القرآن الكريم ومعانـــيه، مقتبساً منه كثيراً من ألفاظه وعباراته فالله قد فرّق جموع العراق ومزّقها وشرّدها بما نقضوا من عهد وثيق مؤكد:

ومـــا أحدثوا من بدعةٍ وعظيمةٍ   من القول لم تصعد إلى الله مصعدا[6]

---

(1) شرح التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني، تحقيق: محمد هاشم ذويدري، دار الجيل – بيروت، ط2، 1986، ص200.

(2) التوبة، 32.

(3) تاريخ الطبري، ج6، ص376.

(4) النحل: 91.

(5) تاريخ الطبري، ج6، ص376.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص376.

وهو يقتبس هذا من قوله تعالى: "إليه يصعد الكلم الطّيب"[1].

ثــمّ نــرى أنّـــهُ يجمع بين معنى الآية الكريمة "ومكروا ومكر الله والله خيرُ الماكرين"[2]، ولفظ الآيتين الكريمتين "أنّهم يكيدون كيدا، وأكيد كيدا"[3]:

كــذاك يُضـــلُّ اللهُ مَــنْ كان قلبهُ مريضاً ومن والى النفاق وألحدا[4]

ومن الأساليب الإسلامية التي شاعت في الشعر الأمويّ أسلوبا الدعاء والقسم ومن ذلك أرجاز ليزيد بن زياد يدعو بالنصر للحسين بن علي في موقعة كربلاء[5]:

أنـــا يـــزيدُ وأبـــى مُهاصِـــر أشـــجع مـــن ليـــثٍ بغيلٍ خادر

يـــا ربّ أنّـــى للحســـين ناصِر ولابـــن ســـعدٍ تـــاركٌ وهاجـــرُ

وكان الشعراء الأمويُّون يدركون أنّ الدعاء عبادة وأنّهُ اعتراف بعظمة القدرة الإلهـــية، فـــنجد أن المقاتليـــن وهم في ساحة الوغى يلجأون إلى الدعاء، فقال أحد المقاتلين في يوم عين الوردة متوجهاً إلى الله بالدعاء وطلب الرضى[6]:

أنّـــى مـــنَ الله إلـــى الله أفِـــرّ رضـــوانكَ اللّهـــمّ أبـــدى وأسِرُّ

والقســـم مـــن الأســـاليب الإسلامية التي ترددت في الشعر الأُموي، فقد أقسم الشعراء بالله تعالى توكيداً لمعانيهم، وتمكيناً لها في النفوس كقسم مسلم بن عقيل بأن لا يُقتل إلاّ حُراً، عندما حاصره ابن الأشعث ورجاله فأقبل يقاتلهم، وهو يقول[7]:

1- أقســـمتُ لا أُقـــتلُ إلا حُـــرّاً 2- وإن رأيتُ الموت شيئاً نُكرا

3- كُـــلُّ امرئٍ يوماً مُلاقٍ شرّاً 4- ويُخلـــط الـــبارد سُخناً مُرّا

وأمّا علي بن الحسين بن علي فيقسم بالله تعالى على أن لا يحكمهم معاوية بن

---

(1) فاطر: 10.

(2) آل عمران: 54.

(3) الطارق: 15، 16.

(4) تاريخ الطبري، ج6، ص377.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص445.

(6) المصدر نفسه، ص607.

(7) المصدر نفسه، ج5، ص374.

أبي سفيان يقيناً منهُ أن آل البيت أولى بالنّبي محمد عليه السلام[1]:

أنـــا علـــيٌّ بـــنُ حسين بن علي   نحـــن وربِّ البيـــت أولى بالنّبي
تالله لا يحلمُ فينا ابنُ الدّعي

لم تنفصل الحياة الروحية الجديدة عن الحياة الفنية للشعراء بل أثرت في كثير مـــن جوانـــبها وطوّرتهـــا، وظهـــر هذا التطور في صور مختلفة[2]، ونتيجة لحياة الاضطراب والقلق السياسي، التي ألقت بظلها القاتم على حياة الناس أن دفعت فريقاً مـــن الـــناس إلى الانصراف عن متاع الدنيا، وولوا قلوبهم إلى الدار الآخرة الباقية، مؤمنيـــن بأنّ ما عند الناس ينفد، وما عند الله باقٍ، وقد شغل هؤلاء الزهاد بالتفكير في الآخرة وما فيها من خلود عن التفكير في الدنيا الفانية[3].

وقـــد بلغت هذه الموجة من الزهد درجة المد العالي في العراق الذي يُعدُّ أهم إقلـــيم انتشـــرت فـــيه هذه الموجة، حيث ظهرت في هذا الإقليم جماعات من الزهاد ارتفعت بالزهد إلى درجة سامية رفيعة من الروحانية الخالصة، والميل الصادق عن الدنيا وما فيها من متع وملذات[4].

وكـــثر فـــي هـــذا العصر شعر الوعظ والإرشاد داعياً إلى الزهد في الحياة، ورفـــض مـــا فيها من مُتعٍ وملذات، فقد أثرّ الإسلام في نفوس الشعراء حتى انقلبوا وعاظاً يعظون الناس ويذكّرونهم بالعقاب والثواب، ويتحدثون عن الموت، وأنّ متاع الدنيا زائل، فالحسين بن علي يُعلن تبُّرمه من الدهر ويقينهُ بالموت سبيل كلّ حيّ[5]:

يـــا دهـــرُ أُفٍّ لـــك مـــن خليلِ   كـــم لـــك بالإشـــراقِ والأصيل
مـــن صـــاحبٍ او طالـــبٍ قتيل   والدّهـــرُ لا يقـــنعُ بالـــبديل
وإنمـــا الأمـــرُ إلـــى الجلـــيلِ   وكـــلُّ حـــيٍّ سَـــالكُ السّـــبيل

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص446.
(2) التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، ج5، ص64.
(3) اتجاهات الشعر في العصر الأموي، صلاح الدين الهاديّ، ص73.
(4) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص187 وما بعدها.
(5) تاريخ الطبري، ج5، ص420.

ويدعـــو عبدالحميد بن يحيى في شعرهِ إلى أخذ العبرة والموعظة من السلف الراحل[1]:

تـــرحلَ مـــا لـــيس بالقـــافل وأعقـــبَ مـــا لـــيس بالـــزائل
فلهفـــى علـــى الخلـــف النـــازل ولهفـــي علـــى الســـلف الراحل
أبكّـــى علـــى ذا وأبكـــي لـــذا بكـــاءَ مولهـــةٍ ثـــاكلِ
تُـــبكى مـــن ابـــن لهـــا قـــاطعٍ وتبكـــي علـــى ابـــنٍ لها واصلِ
فليســـت تفـــتّرُ عـــن عـــبرةٍ لهـــا فـــي الضـــّمير ومن هامل

وتظهـــر الموعظة في شعر يعقوب بن داود فيتحدث عن لعب الدهر بأحوال أهله، يقول[2]:

عجـــباً لتصـــريف الأُمـــو رِ محـــــبّةً ووكراهــــــيّةْ
والدّهـــرُ يلعـــب بالـــرّجا ل له دوائـــــرُ جاريـــــةْ

ووردت تحـية الإســلام في شعر هذا العصر التي رددها الشعراء مُنذُ العهد النبويّ، ومن ذلك قول المغيرة بنُ حَنبْاء[3]:

أبلـــغ أبـــا حفـــصٍ قُتيبةَ مِدحتى وأقـــرأ علـــيه تحيَّـــتى وسلامي

وقول عمران بن عصام[4]:

أمـــير المؤمنيـــن إلـــيك نُهـــدى علـــى الـــنأي التحـــيّةَ والسلاما

وكـــان مـــن الطبيعي أن يرد ذكرٌ للموت في سبيل الله من أجل الفوز بجنات النعيم. فيقول عبدالرحمن بن جُمانة الباهليّ[5]:

دعـــتهُ المـــنايا فاســـتجاب لربّه وراحَ إلـــى الجنّات عفّاً مُطّهرا

وقال نصر بن سيّار[6]:

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص182.
(2) المصدر نفسه، ج6، ص183.
(3) المصدر نفسه، ج6، ص460.
(4) المصدر نفسه، ج6، 413.
(5) المصدر نفسه، ج6، 521.
(6) المصدر نفسه، ج6، 101.

فامــنح جهادك من لم يرجُ آخرةً   وكــن عــدوّاً لقــومٍ لا يُصلّونا

2.5 الخصائص اللغويّة والأسلوبية:

أ- لغة الشعر وتطورها:

اللغـــة العربـــية كالكائـــن الحي تنمو وتتطور، كغيرها من اللغات الأخرى، فـــبعض ألفاظهـــا بقيت، وبعضها انقرضت وكان لتطور الحياة الاجتماعية والعقلية الأثـــر الواضح على تطور الألفاظ والتراكيب، فاللغة القديمة كانت تعتمد على ألفاظ حوشـــية جـــزلة قوية، ولكن بفعل تطور الحياة وخاصة عندما انتقل العرب من حياة الـــبداوة إلـــى حضـــارة المدن أخذ الناس يبتعدون عن الألفاظ الغريبة ويميلون إلى الألفاظ السلسة الرقيقة.

شهد العصر الأُموي تيارين فنيين متقابلين: تيار الشعراء الموالي الذين كانوا يقفون مع الشعراء العرب في ميدانهم الفني الأصيل، وتيار الشعراء العرب الذين بدأ يظهر عندهم فتور في الحس اللغوي[1].

لقـــد كان الميدان في هذا العصر ميداناً عربياً خالصاً، فالشعراء العرب كان لهـــم السيطرة اللغوية، وكان الأسلوب عربياً خالصاً يستمد مُثُله الفنية من الأسلوب الـــبدوي القديـــم تـــارة، ومن الأسلوب الإسلامي الجديد تارة أخرى، ولكنه في كلتا الحالتين بعيد عن التأثر بالحياة اللغوية المحلية[2].

وكـــان لا بُـــدّ للشعراء من تطوير وتهذيب اللغة القديمة من الألفاظ الحوشية حتى تتناسب مع الحياة الجديدة المتطورة.

ولغـــة الشـــعر وألفاظـــه يتوارثها الشعراء على مر الأجيال يصوغون فيها نـــتاجهم الشعري، ويصورون بيئتهم الطبيعية وأنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعقلـــية لأنّ الفـــن صـــدى للبيـــئة التي يعيش فيها، ومرآة تنعكس عليها ظروفها وأحداثها[3].

---

(1) حياة الشعر في الكوفة، ص689.

(2) المرجع نفسه، ص677.

(3) المرجع نفسه، ص10.

ومهمـــا أوتـــي الشعراء الموالي من مقدرة على نقل لُغاتهم أو بعض ألفاظها فـــإنّهم لا يستطيعون تبديل اللغة العربية وتغييرها ووضع لغة شعرية جديدة، وليس لهم إلاّ فضل إدخال بعض الألفاظ إلى العربية التي أصبحت بحكم التعريب عربية[1].

اختلفت عقلية الشاعر الأُموي تمام الاختلاف عن عقلية الشاعر القديم فانعكس ذلك على لغة شعره، فخضع في تفكيره لأشياء لم يخضع لها الشاعر الجاهلي، فانتج عُمقاً وطرافة في التفكير الفني[2].

فالشـــاعر الأُمـــوي تعلّـــق بمعـــرفة المعاني الجاهلية، لكنّهُ أخضعها للدرس المنّظم، فقد أسعفتهُ عقليتهُ الجديدة التي بناها في العصر الأُموي، وما اندمج فيها من طرقٍ جدال وحوار على كلٍّ ما أراد من تحوير وتوليد في المعاني[3].

لقـــد كان هُنالك اهتمامٌ بارز في اللغة العربية، فقد أخذ الشعر في هذا العصر يُعـــبّر لا عـــن حاجـــة وجدانـــية، وإنّما عن حاجة لُغويّة، وأصبحت غاية كثير من الشعراء خدمة اللغة واللغوييّن القائمين عليها بما يمدونهم من الشواذ والشوارد بحيث أصبحت بعض أراجيزهم كأنّها مُتون لغويّة للخط والتسميع[4].

انبعثـــت لغـــة الشعر عن تطور الحياة العقلية في هذا العصر فالبناء اللغويّ والفني للشعر لم تنفصل وحداته عن البناء العقلي العام، بل إنّ هذا البناء أخذ يتشكل في أوضاع جديدة تحت تأثير الرقي الفكري الذي أصاب الحياة العقلية العربية[5].

ونجد أن بعض الشعراء كان لا يزال مُحافظاً على التيار القديم في الشعر من حيث قوة الألفاظ وجزالتها ومن ذلك ما قاله مسكين مفتخراً بآبائه[6]:

ألا أيُّهـــا المرءُ الذي لستُ ناطقاً ... ولا قاعداً في القوم إلا انبرى ليا

---

(1) الفـــن ومذاهـــبه فـــي الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1965، ص129.

(2) التطور والتجديد في الشعر الأُموي، شوقي ضيف، ج5، ص81.

(3) المرجع نفسه، ج5، ص83.

(4) المرجع نفسه، ج5، ص84.

(5) التطور والتجديد في الشعر الأُموي، ج5، ص85.

(6) تاريخ الطبري، ج5، ص290.

فجئنى بعمٍّ مثل عمّى أو أب كمثلِ أبى أو خالِ صدق كخاليا
كعمرو بن عمروٍ أو زُرارة والداً أو البشر من كلٍّ فرعتُ الرّوابيا
وما زال بى مثِلُ القناةِ وسابحٍ وخطّارةِ غِبّ السُّرى من عياليا
فهذا لأيّام الحفاظ وهذه لرحلى وهذا عُداة لارتحاليا

ولكن الشعراء في أواخر العصر الأُموي أخذوا يميلون إلى الألفاظ السهلة الرقيقة البعيدة عن الألفاظ الحوشية الغريبة، ومن ذلك قول عبّاد بن الحارث(1):

ألا يا نصرُ قد برح الخفاءُ وقد طالَ التّمنّى والرّجاء
وأصبحت المزونُ بأرض مروٍ تُقضّى في الحكومةِ ما تشاءُ
يجورُ قضاءها كُلّ حُكم على مُضرٍ وإن جار القضاءُ
وحميرُ في مجالسها قعودٌ ترقرتُ في رقابهمُ الدّماءُ
فإن مُضرٌ بذا رضيت وذلّت فطالَ لها المذلّةُ والشقاءُ
وإن هى أعتبت فيها وإلا فحلّ على عساكرها العفاءُ

وتمثّل الشعراء المعاني الإسلامية بشكلٍ جعلهم يؤدّون هذه المعاني في شعرهم بطرقٍ فنيّة أبرع بكثير ممّا كانوا عليه قبلَ الإسلام(2).

وقد تطور الرجز تطوراً موضوعياً وفنيّاً نحو الإسلامية أخذت معانيه تظهر فيها أفكار إسلامية جديدة، وأخذ أُسلوبهُ يتطور من صورتهِ الشعبية الجاهلية إلى صورة شعبية إسلامية(3).

كما أخذ الرجز يتطور من موضوعاته التقليدية القديمة المحددة إلى موضوعاتٍ إسلامية جديدة، بالإضافة إلى تطوره من الناحية اللغويّة والفنيّة، ومن ذلك الأرجوزة التي كان الأعشى يتغنى بها بين يدي ابن الأشعث، وهو خارج من سجستان في طريقه إلى الكوفة(4):

شطّت نَوَى منْ دارُهُ بالإيوانْ إيوانِ كِسْرى ذى القُرى والرَّيحانْ

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص342 وما بعدها.
(2) في أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص318.
(3) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص352.
(4) تاريخ الطبري، ج6، ص337.

فالشاعر لا ينسى ذكر المحبوبة حتى يتذكّر فجيعة سليمان بن صرد ومن معه من التوابين[1]، يقول[2]:

ألـــمَّ خَـــيَالٌ مـــنكِ يـــا أُمَّ غالـــب ... فحُيِّيـــتِ عـــنّا مـــن حبيـــبٍ مُجانـــبِ
ومـــا زلـــتِ لي شجْواً وما زلتُ مُقصداً ... لِهـــمٍّ عَـــرانى فـــي فِـــراقِكِ ناصـــبِ
فمـــا أنـــسَ لا أنـــسَ انفتالكِ في الضُحَى ... إلينـــا مـــع البـــيضِ الوســـامِ الخرَاعبِ
تـــراءتْ لـــنا هَـــيْفاءَ مهضـــومةَ الحشا ... لطيفةَ طيِّ الكَشْحِ ريَّا تنكبُ بين الحقائبِ
مُبـــــتَّلةً غـــــرّاءَ، رؤدٌ شَـــــبابُها ... كشـــمس الضُـــحى تـــنكلُ عنها السحائب
فلمَّـــا تغشّـــاها السَّـــحابُ وحولَـــهُ ... بَـــدا حاجـــبٌ مـــنها وضـــنَّتْ بحاجـــب
فـــتلك الهـــوى وَهْـــي الجوى لي والمُنى ... فأحبـــب بهـــا مـــن خُلّـــةٍ لـــم تُصـــاقِبِ
ولا يُـــــبعد اللهُ الشَّـــــباب وذِكـــــرَهُ ... وحُـــبَّ تصـــافى المُعصِـــراتِ الكَواعِبِ
ويـــزدادُ مـــا أحببـــتهُ مـــن عِتابِـــنا ... لُعابـــاً وسُـــقياً للخَديـــنِ المُقـــارِبِ

لـــم يقتصـــر الشعراء الأُمويون على المقدمة الغزلية أو غيرها من المقدمات التقلـيدية الأُخـــرى كي يفتتحون بها قصائدهم، ولكننا نجد بعض الشعراء الأمويين كالأعشـــى، يـــبدأ قصيدته بمطلع إسلامي، وهذا يدلُّ على مدى تأثر هؤلاء الشعراء بالإســـلام حتى في مطالع قصائدهم، حيث يتأثر بأسلوب القرآن الكريم ويقتبس منه، يقول[3]:

أبـــى الله إلاّ أن يُـــتمِّم نـــوره ... ويطفـــئ نـــور الفاسقين فيُخمدا

وفي قصيدة لعبدالله بن خليفة الطائيّ يبدؤها بمطلع قصير يُعبّرُ فيه عن حالته النفســـية تعبـــيراً صادقاً إذ كان صدى لما يدور في نفسه من شعور بالغربة، وحنين إلـــى الوطـــن، يـــتحدث عن ليلاه البعيدة، وشبابه المفقود، وما تثيره ذكريات الصبا والشباب من حزن ووجد.

لقد كان مطلع القصيدة مُتمّما لموضوع هذه القصيدة التي بعث بها عبدالله بن خلـــيفة الطائي إلى عدي بن حاتم الطائي من جبلى طيٍّ اللذين التجأ إليهما فراراً من

---

(1) المكتمات، كاظم الظواهري، ص98.

(2) تاريخ الطبري، ج5، ص608.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص376.

أوامـــر زياد بن أبيه الذي فرض عليه أن يُغادر الكوفة لاشتراكه في ثورة حجر بن عدي.

فنتـــيجة للفـــراغ الذي كان الشاعر يعيش فيه في منفاه أُتيح له أن يُعبّر عن شـــعوره بالغربة والحنين، وأن يتحدث عن ثورة حجر وأصحابه الذين استشهدوا في ســـبيل الله، فأصبح بعدهم لا يرجو شيئاً في الحياة، بل لا يرغب في الحياة نفسها[1]، يقول[2]:

تذكّـــرتُ لـــيلى والشّبيبةَ أعصُرا وذكر الصِّبا برحٌ على من تذكّرا
وولّـــى الشّبابُ فافتقدتُ غُضُونَهُ فـــيالك مـــن وَجْد به حين أدبرا

وحيـــن نـــنظر فـــي عينية عبدالله بن همّام السّلولّي، فإننا نلاحظ أنّهُ يبدؤها بمقدمـــة غزلـــية قصيرة، يتحدث فيها عن صاحبته التي هجرته لوشاية حملها إليها واشٍ ســـعى بينهما فتركته يُعاني همّاً يملأُ عليهِ كلّ قلبه، وهي مقدمة تتصل اتصالاً قريباً بالظروف التي كانت تحيط بالشاعر، وكأنّها صدى نفسي لمحنته السياسية التي كان يمرُّ بها.

فقـــد كانت هذه القصيدة أول قصيدة أنشدها المختار بعد أن أستأمن له عبدالله ابـــن شداد[3]، فابن همام السّلولي كان في أول أمره عثمانياً أُمويّاً، وكان قد سمع أحد الموالـــي مـــن الشـــيعة يذكر عثمان وينال منه، فغضب لذلك وعنّفه، وعندما ظهر المخـــتار ارتفـــع شأنه فأصبح هذا المولى الذي ضربه ابن همّام – وهو أبو عمرة كيســـان– رئـــيس حرس المختار، فيشعر ابن همّام بالخطر، وخاصة عندما أصبح المخـــتار سيّد الكوفة، فلا يجد ابن همّام أمامه إلا أن يستخفي، ويظلّ مستخفياً حتى يستأمن له أحد أبناء قبيلته وهو عبدالله بن شداد الجشمي[4].

---

(1) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص364.

(2) تاريخ الطبري، ج5، ص283.

(3) حياة الشعر في الكوفة، يوسف خليف، ص393.

(4) تاريخ الطبري، ص391.

فكـــان من الطبيعي أن يكون مستهل حديثه عن الهجرة والوشاية اللذين عانى منهما في حبهِ ما يعانيه منهما في حياته السياسية يقول[1]:

ألا انتســـأتْ بـــالود عنك وأدبرتْ   معالــــنةً بالهجـــر أمٌّ ســـــريعِ
وحمّلهـــا واش ســـعى غيرَ مؤتلٍ   فأبـــت بهـــمٍّ فـــي الفـــؤاد جميعِ
فخفض عليك الشأن لا يُردِكَ الهوى   فلـــيس انـــتقال خُلـــةٍ بـــبديعِ

أمّـــا رائـــية كعب الأشقريّ فقد سار فيها على غرار شعراء الجاهلية وصدر الإسلام ومعاصريه، ممّن يبدءون القصائد بذكر الحبيب ووصفه، والتشوق إليه، وقد لا يكـــون هنالك من حبيب[2]، لذلك فقد جاء بالمقدمة الغزلية من باب التقليد للقدماء، وليس لأنّ الشاعر مشغول بالحبيبة لأنّ الشاعر كان مشغولاً بانتصارات المهلب بن أبي صفرة على الأزارقة، فقال:

يا حفْصَ إني عَدَانى عنكمُ السَفرُ   وقـــد أرقـــتُ فآدى عَيْنى السهرُ
عُلّقـــتَ يا كعبُ بعد الشّيب غانيةً   والشّيبُ فيه عن الأهواء مزدّجرُ
أممســـكٌ أنتَ عنها بالّذى عَهِدتْ   أم حَـــبْلها إذ نـــأتك اليومَ مُنبتِرُ
عُلّقتُ خوْداً بأعلى الطّف مَنزِلُها   في غُرفة دونها الأبوابُ والحجرُ
دُرْمـــاً مناكِـــبُها ريّـــا مآكِمُهـــا   تكـــاد إذ نهضت للمشى تنبترُ[3]

ونجـــد فـــي موضعٍ آخر أنّ مقدمة القصيدة متّممة لغرضها ومن ذلك قصيدة الأعشى في رثاء محمد بن الأشعث، فمقدمة القصيدة تتحدث عن العوار الذي أصاب عينـــي الشاعر بسبب البكاء والسهر بسبب فُراق الحبيب، وكذلك الموضوع الرئيسي الذي جاء في رثاء ابن الأشعث، والحديث عن البكاء والنُعاة[4]:

تـــأوّبَ عيـــنكَ عُوّارُهـــا   وعـــادَ لنفســـكَ تذكارُهـــا
وإحـــدى لياـــيكَ راجعـــتها   أرقـــتَ ولـــومّ ســُـمّارُها
ومـــا ذاقـــت العيـــنُ طعم الرُقاد   دِ حـــتّى تـــبلّجَ إســـفارُها

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص35.
(2) شعر الحرب في أدب العرب، زكي المحاسني، ص105.
(3) تاريخ الطبري، ج6، ص304.
(4) المصدر نفسه، ج6، ص102.

ويبدأ ثابت قطنة قصيدتهُ بمخاطبة هندٍ ويشكو إليها طول ليله، وهذا ما يسمى الزمـــن النفســـي فليلهُ يطول نتيجة لمعاناته ومقدمة القصيدة وما فيها من معاناة وألم مُتممٌ لغرض القصيدة (الرثاء) يقول[1]:

ألا يـــا هـــند طـــالَ علـــيّ ليلي ... وعـــادَ قصـــيرُهُ لـــيلا تمامـــا

كـــأنّي حيـــن حلّقـــت الـــثريّا ... سُـــقيتُ لُعـــابَ أسود أو سمَاما

وقال أيضاً[2]:

أبـــى طولُ هذا اللّيل أنْ يتصرّما ... وهـــاجَ لـــك الهمُّ الفؤاد المُتّيما

أرقـــتُ ولـــم تأرق معى أمُّ خالد ... وقـــد أرقت عيناى حولاً مُجرّما

مـــا زالَ بعض الشعراء في العصر الأُموي متأثراً بأسلوب الشعراء القُدامى من حيث افتتاح القصيدة بالوقوف على الأطلال، ومنهم ثابت قطنة الذي يبدأ قصيدته بـــالوقوف علـــى الأطلال، يقول إنّ بقايا الأطلال هي التي هاجت له الشوق، وهذه الرســـوم التـــي هاجت له الشوق والحنين قد محتها الأمطار التي تهطل على الديار، ولـــم يـــبقَ مـــن هـــذهِ الأطـــلال ســـوى الوتد، ومواقد النار التي هي رمز لفاعلية الناس الذين كانوا يملأون هذه الديار، يقول[3]:

مـــا هاجَ شوقك من نؤيٍ وأحجار ... ومـــنْ رُسُـــوم عفاها صَوبُ أمطار

لـــم يبقَ منها وَمَنْ أعلام عَرْصتها ... إلا شـــجيجٌ وإلاّ مَوقـــدُ الـــنارَ

ومـــائلٌ فـــي ديـــار الحـــيَ بعدَهمُ ... مـــثلُ الرّبيـــئة فـــي أهدامهِ العارى

ديـــارُ لـــيلى قِفـــارٌ لا أنـــيسَ بها ... دون الحُجون وأين الحجن مِنْ دارى

بُدّلـــتُ مـــنها وقد شطَّ المزارُ بها ... وادى المخافة لا يَسْرى بها السارى

جـــ- استعمال الأمثال:

مال الشعراء الأُمويّون إلى استعمال الأمثال في شعرهم فالأشعار التي وردت فـــي تاريخ الطبري كانت تتناول أحداثاً وكان الشعراء الأمويون يميلون إلى تضمين

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص603.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص603.

(3) المصدر نفسه، ج7، ص56.

أشــعارهم، مــثلاً مــن الأمثال ليشيروا إلى حادثة معيّنة، كقول زياد بن أبي سُفيان عندما علم بمحاولة حجر بن عدي دخول الكوفة مع أصحابه فقال[1]:

أبلــغ نصــيحة أنّ راعــى إبلها ... ســقط العشــاء به على سرحان

فقد ضمّن بيتهُ المثل: "سقط العشاء به على سرحان"[2].

وكقــول الشــاعر فــي أمّ هاشــم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس[3]:

انعمــــــى أمُّ خــــــالد ... رُبَّ ســــــاعٍ لقــــــاعد

فقد ضمّن بيته المثل: "رُبَّ ساعٍ لقاعد"[4].

وقال شاعر من الخوارج[5]:

واغزُ المخانيثَ في الماذيِّ مُعْلَمَة ... كــيما تُصــبح غدْواً ضَرْطة الجملِ

وهو يشير بذلك إلى المثل: "أهونُ عليّ من ضرطة الجمل"[6].

وقال حجر بن عُديّ مُتمثّلاً قول المتلمس عندما علم أنّ مُعاوية بن أبي سُفيان ولّى المغيرة بن شعبة الكوفة[7]:

لذى الحلم قبلَ اليوم ما تُقرعُ العصا ... ومــا عُلِّــمَ الإنســانُ إلا لــيعلما

والشاعر يضمن بيته المثل: "لذى الحلم قبلَ ما تُقرعُ العصا"[8].

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص256.

(2) جمهــرة الأمــثال: أبــو هــلال الحســن بن عبدالله بن سهل العسكري، تحقيق أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1988، ج1، ص420.

(3) تاريخ الطبري، ج5، ص500.

(4) جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، ج1، ص390.

(5) تاريخ الطبري، ج6، ص172.

(6) جمهرة الأمثال، ج2، ص290.

(7) تاريخ الطبري، ج5، ص253.

(8) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد البكري، تحقيق: إحسان عبّاس وآخرين، مؤسسة الرسالة، دار الأمانة، بيروت – لبنان، ط3، ص1983، ص148.

وقـال حبيب بن خدرة في طلب الأمان للحجاج بنُ جارية عندما أمر الحجاج عديّ بن وتّاد بقتله[1]:

فكـأنّي مـن غـدٍ وافقـتها مـثل مـا وافَـقَ شـنٌّ طَـبقَا

وهو يشير بذلك إلى المثل: "وافق شنٌّ طبقَ"[2].

د- الألفاظ الدَّخيلة:

اسـتعمل الشـعراء مِنْ أصل عربي بعض الألفاظ الدّخيلة في شعرهم، وكان ذلـك نتيجة لاختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأُخرى كالفرس والتُّرك، وخاصة في البلاد التي قام المسلمون بفتحها، ومن الألفاظ الدخيلة التي وردت في الشعر الأُموي في تاريخ الطبري، لفظة دختنوس في قول محمد بن عمير بن عطارد[3]:

عجبـتْ دَختـنُوس لمّـا رأتنى قـد علانـي من المَشيبِ خِمارُ

والبازل العيسجور في قول شُريح[4]:

قـد تعلـمُ الـبازلُ العيسـجورُ أنّـك بالخبـتِ حَسَّـارُها

ولفظة خاقان في قول الشرعبيّ الطائي[5]:

بـلادٌ بهـا خاقـانُ جَمٌّ زُحوفُهُ ونَـيلانُ فـي سـبعينَ ألفاً مُقَنَّعُ

ونيزك في قول المغيرة بن حنباء[6]:

وبهـنّ أنـزلَ نيزكا من شاهق والكـرز حَيْـثُ يَروم كُلّ مرامِ

وهـذه الأسـماء الأعجمـية هـي أسماء أشخاص تتفق مع تسجيل الأحداث التاريخية.

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص300.

(2) مجمـع الأمثال، للميداني، تحقيق: محمد علي قاسم، مكتبة المعارف، بيروت – لبنان، 1986، ص164.

(3) تاريخ الطبري، ج6، ص70.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص103.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص85.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص461.

وسلّى وسلّبرى وهي أسماء أماكن في قول الصلّتان العبديّ[1]:

بِســلّى وسِــلّبْرَى مَصارعُ فتيةٍ كــرامٍ وقَــتْلى لم تُوَسَّدْ خدودُها

ولفظة دير الجاثليق في قول عبيد الله بن قيس الرّقيات[2]:

لقــد أورثَ المصرين خِزياً وذِلةً قتــيلٌ بديــر الجاثلــيق مُقــيمُ

وجُبيرين في قول كعب الاشقريّ[3]:

وفــي جُبيربن إذ صفُّوا بزحفهم ولّــوا خزايا وقد فلُّوا وقد قُهِروا

وباذغيس في قول كعب الاشقريّ[4]:

وباذغــيس التي مَن حل ذُروتها عزَّ الملوكَ فإن شا جار أو ظلما

والسغْد في قول كعب الأشقريّ[5]:

دوّخ الســغْد بالكتائــب حــتّى تــركَ السُّــغد بالعــراءِ قُعُــودا

والقُطقُطَانَةْ في قول شاعر[6]:

وياسَــرَ والتّياسُــرُ كــان حَزماً ولــم يقــرَبْ قُصُورَ القُطقُطانَةْ

وهــذه الاســماء الأعجمــية هــي أسماء مواضع تتفق مع تسجيل الأحداث التاريخية.

3.5 الخيال والصورة:

يقــول الدكتور شوقي ضيف: "الخيال هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفــوا صورهم، وهم لا يؤلفونها من الهواء وإنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص619.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص161.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص306.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص386.

(5) المصدر نفسه، ج6، ص480.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص579.

حصـــر لهـــا، تختزنها عقولهم، وتظل كامنة في مخيلتهم حتى يحين الوقت، فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها[1].

إذن فالخيال استدعاء للمحسات والمدركات، ثمّ إعادة بنائها والخيال لا يكوّنه الأديــب مـــن الهواء، أو اللامنطق، كما يفعل السيرياليون وأمثالهم، لكنه يُؤلف من خبرات كثيرة مختزنة في عقول المبدعين.

والخـــيال هـــو القدرة الكيماوية التي تمزج بين الصور المتباعدة لتجعل منها صور متآلفة منسجمة[2].

ويـــرى الدكـــتور أحمد الشايب: "أنّ تعريف الخيال تعريفاً دقيقاً واضحاً أمر شـــاق لأنّ هـــذه الكلمة ترد في العبارات مبهمة عامة كأنّها تعنى شيئاً غير مفهوم، ولأنّها تدلُّ على صور عقلية مُتشابهة وإن لم تكن مُتحّدة"[3].

ولا يعنـــي الخيال البعد عن الحقائق والسعي وراء المبهمات والمحاولات أو اعتماد الكذب والتزييف.

ووظـــيفة الخـــيال أساســـاً تنظيمية، فهو الذي ينظم صور الطبيعة في وحدة مـــتكاملة، وهو الذي يختار الجزئيات وينظمها ويؤلفها في صور فنية رائعة، ولا بّد أن تكون هذه الصور منسجمة مع بعضها بعضا حتى يكون الخيال مُبدعاً لأن وظيفة الخـــيال تجســـيم الصـــورة وتحســـينها وتزيينها، من أجل إثارة الوجدان والعاطفة والإنفعـــالات من خلال إبراز الفكرة[4]، والربط بين حقائق الوجدان وانفعالاته ربطاً محكماً لا ينكره الحس والعقل، ودفع المتلقي إلى إعادة التأمل في الحياة[5].

ومصـــادر الخـــيال متعددة تستمد مخزونها من العقل ومن البيئة ومن الثقافة والمعارف المختلفة، والتجارب، اليومية، ومن الاحساسات المختزنة في الذاكرة.

---

(1) في النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة، ط7، ص167.

(2) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار العودة بيروت، 1987، ص412-413.

(3) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، ص211.

(4) المرجع نفسه، أحمد الشايب، 211.

(5) في النقد الأدبي، شوقي ضيف، 175.

ويقسّم أحمد الشايب الخيال إلى ثلاثة أنواع: فالخيال يكون ابتكارياً عندما يختار الشاعر عناصر صورته من بين التجارب السالفة ويؤلف منها صوراً جديدة كما يختار الإنسان جملة أزهار ويؤلف منها باقة جميلة تدهش الناظرين، ويكون الخيال تآليفاً إذا استخدم صوراً حسيّة لبعث مشاعر تستدعي صوراً تشابهها كأن يرى الشاعر تساقط أوراق شجرة، فهذه الصورة للأوراق عندما كانت خضراء ثمّ سقطت استدعت صورة الإنسان في حالي شبابه وهرمه أو في حياته وموته، ويكون الخيال بيانياً أو تفسيرياً إذا سبق الإدراك جمال الأشياء[1].

أمّا كولردج فيقسّم الخيال إلى نوعين: الخيال الأولي والخيال الثانوي، والخيال الأولي هو القوة الحيوية في كلٍ إدراك إنساني، ويُقابل ما يدعوه (كانت) الخيال الإنتاجي وهو علمي في وظيفته.

أمّا الخيال الثانوي فهو صدى للخيال السابق، ويصطحب دائماً بالوعي الإرادي، ويتفق مع الخيال الأول في نوع عمله ويختلف عنه في درجته وطريقة عمله، لأنّهُ يحلل الأشياء ويوحدّها وهذا النوع من الخيال يدعوه "كانت" الخيال الجمالي[2].

ويعتمد الخيال في أكثر صوره على كاهل بعض الفنون البلاغية وفي مقدمتها التشبيه والاستعارة، وقد استخدم شعراء العصر الأُموي التشبيه استخداماً واسعاً وكانت أغلب صورهم مشتقة من العالم الحسيّ المحيط بهم.

التشبيه:

أ- صورة الخليفة:

فعندما يمدح الشعراء الخلفاء يشبهون علو منزلتهم بالنّجوم في علّوها، فصورة الخليفة الوليد بن يزيد في علو منزلته تشبه النجوم في علّوها كما في قول عبدالصمد بن عبد الأعلى في مدحه للخليفة الوليد بن يزيد[3].

ألم ترَ للنجم إذ شُيّعا   يُبادرُ في بُرجهِ المرْجعا

(1) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، ص210-223.

(2) النقد الادبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص413-414.

(3) تاريخ الطبري، ج7، ص211.

ثمّ يُشبّه أمل الرعية في عدله وملكه وأملهم في أن يُصيبهم العدل والخير كأمل أصحاب الأرض القاحلة بالغيث الذي يُحوّلها إلى أرض خضراء فقال(1):

وكُنّا نؤمّلُ في مِلكه كتأميلِ ذى الجدْبِ أن يُمرِعا

والخليفة في شجاعته ليث مفترسٌ عريناً، قال الحكم يمدح مروان بن الحكم(2):

ومروانٌ بأرض بنى نزارِ كليثِ الغاب مفترسٌ عرينا

ب- صورة الولاة والقادة:

وزياد بن أبي سُفيان عند عبدالله بن همّام السلّولي في شجاعته ليث عرين وحيّةِ صماء، وهنا نرى أن الشعراء الأمويّين ما زالوا متأثرين بالصور الشعرية القديمة المستمدة من الطبيعة(3):

خيّبَ الله سعىَ أوفى بن حصنٍ حين أضحى فرُوجةَ الرقّاء

قادهُ الحينُ والشقاءُ إلى ليث عرينٍ وحيّةٍ صمّاءِ

ونفس الصورة نجدها عند الفرزدق في مدحه لزياد بن سُفيان(4):

بأنّى قد فررتُ إلى سعيد ولا يُستطاعُ ما يَحْمي سعيدُ

فررتُ إليه من ليثٍ هِزبرٍ تفادى عن فريسته الأُسودُ

وزياد بن أبي سفيان جبلٌ صعب الذرى عند الجعد بن قيس قال يرثيه(5):

كان زيادٌ جبلاً صعب الذّرى شهماً إذا شئتم نقيصاتِ أبى

وشبّه زفر بن الحارث مصعب بن الزبير بشعاع الشمس حين ترجّل(6):

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص211.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص311.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص236.

(4) المصدر نفسه، الطبري، جـ5، ص249.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص297.

(6) المصدر نفسه، ج5، ص543.

ولمّــا يكُــن للمشــرفيّة فوقكــم شُعاع كقرن الشمس حينَ ترّجلُ

وإذا ما تحدث الشعراء عن رجال الحرب شبهوهم بالأُسود القوية، قال جوّاس ابن قَعطل[1]:

علــيها كأُســدِ الغاب فتيانُ نجدةٍ إذا شــرعوا نحو الطّعان العواليا

وصـــورة قطــريّ بن فجاءة عند الطفيل بن عامر بن واثلة في جُبْنهِ وخوفه كالنعامة الهاربة، فقال[2]:

ومـــا قطــريُّ الكُفــرِ إلاّ نعامة طــريدٌ يــدوّى لــيله غير نائم

وصورة محمد بن الأشعث عند الأعشى كدجلة جوداً وكرماً وعطاءً فقال[3]:

وكنـــتَ كدجلـــة إذ تـــرتمى فـــيقذفُ فـــي الـــبحر تـــيّارُها

وصـــورة جبيــن بُكــير بــن وشــاح كالســيف عــند رجــل من بكر بن وائل[4]:

بأبــيضَ مــن أُمــيّةَ مضر حيٌّ كــأنّ جبيــنهُ ســيفٌ صــنيعُ

وصـــورة الجُنــيد كالطفلة في خِدرها التي لا تعلمُ بما يدورُ حولها، فقال ابنُ عرس يهجو الجُنيد لعدم مقدرته على مقاتلة التّرك في يوم الشِّعب[5]:

إذ أنــتَ كالطّفلــةِ فــي خِدرها لــم تــدرِ يومــاً كــيدةَ الكــائدِ

جــ- صورة الجيش:

وصورة الجيش الأُموي في كثرته وتنظيمه كالبرق الذي يُذهب البصر، فقال كعب الأشقريّ[6]:

صــفّان بالقــاعِ كالطّودين بينهما كالبرق يلمعُ حتى يشخصَ البصر

---

(1) تاريخ الطبري، ج5، ص543.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص308.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص102.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص200.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص86.

(6) المصدر نفسه، ج6، ص307.

وصورة الجيش الأمويّ عند الأعشى كالبرق في حجراته[1]:

بصــفٍّ كأنّ البرقَ في حَجَراته إذا مــا تَجلّــى بيضُــهُ وتوقّدا

ونــرى الشــعراء الأمويين يشبهون طلعة القادة عند قتالهم بغرّة البدر، قال عبيدالله بن بسّام يمدح نصر بن سيّار[2]:

ناديــتُهُ فســما للمجــد مُبــتهجاً كغُــرة الــبدر جلّى وجه إظلام

وإذا ما تحدث الشعراء عن الأبطال من القادة الشجعان شبهوهم بالأسود، فقال كعب الأشقريّ[3]:

والــتُّرك تعلــمُ إذ لاقى جُموعُهم أن قــد لقــوهُ شــهاباً يفرج الظُّلما

بفتــيةٍ كأُســود الغــاب لم يجدوا غــير التأسى وغير الصبرُ مُعتصما

ونــرى أنّ صــورة الجيش عند أعشى همدان مُستمّدة من الطبيعة فكما شبه صف الجيش بالبرق، يشبهه أيضاً بالجبال[4]:

دلفــنا إلــيه فــي صُفُوفٍ كأنّها جــبالُ شــروري لو تُعانُ فتنهّدا

وفي موضع آخر فإنّ صورة الجيش عند الاعشى كموج البحر، لذلك نرى أن صورة الجيش تعددت عند الأعشى وكلّها مُستمّدة من الطبيعة، وهذا يبرهن على أنّ بعض الشعراء ظلوا يحاكون الصور القديمة يقول[5]:

فجــاءهم جمــعٌ مــن الشام بعده جُمُوعٌ كموج البحر من كلّ جانب

د- صورة الحبيبة:

وصــورة الحبيــبة عــند الأعشــى كشــمس الضُّــحى التــي تُطلُّ من بين السحاب[6]:

مُبــتلةٌ غــرّاءَ، رؤدٌ شــبابُها كشمس الضُّحى تنكبُ بين السحائب

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص376.

(2) المصدر نفسه، ج7، ص196.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص352.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص376.

(5) المصدر نفسه، ج5، ص609.

(6) المصدر نفسه، جــ5، ص608.

فلمّــا تغشّــاها السّــحابُ وحــولهُ   بــدا حاجــبٌ منها وضنّت بحاجب

هـ- صورة القلعة:

وصـــورة قلعـــة نـــيزك بباذغـــيس عند كعب الأشقريّ يشبهها تارة بالنجوم المتلألئة في ليل معتم، وتارة بسحابة الصيف في تحليقها وارتفاعها[1]:

تخــالُ نــيرانها من بُعد منظرها   بعــض النّجوم إذا ما ليلُها عتما

مُحلقــةٍ دون الســماءِ كأنهــا   غمامــةُ صيف زلّ عنها سحابُها

ولا يبلغ الأروى شماريخها العلا   ولا الطــيرُ إلاّ نشــرُها وعُقابها

و- صورة الأعــداء:

وصـــورة الأعــداء عند عبيدالله بن الحُرّ كالمعزى في ضعفها وخوفها التي تختبئ خلف الصخور خوفاً من الذئب[2]:

أكُــرُّ علــيهمْ مُعلِمــاً وتــراهُمُ   كمعزىً تحنّى خشية الذئب بالصَّخر

ز- صورة السيوف والخيل:

وعــندما يــتحدثون عن السيوف يشبهونها بشعل النار الملتهبة يقول المتوكّل الليثي في سيوف الشيعة[3]:

ويجيــئكم قــومٌ كــأنّ سُــيُوفهُمْ   بــأكفّهم تحــت العجاجــة نــارُ

وقــال نهــار بــن توسعة التميميّ عن الخيل مشبهاً صورتها بأسراب القطا المتسرّب[4]:

أبــاح لــنا ســهلَ البلاد وحزنها   نخــيلٍ كأرسال القطا المُتسرّب

التشبيــه البليــغ:

وهــذا النوع من الشعر يُسميه بعض النقاد التشبيه التام أو التشبيه الشرعي، وفــيه تحــذف أداة التشبيه، ووجه الشبه، ومن الأمثلة على هذا النوع من الشعر في

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص386 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص135.

(3) المصدر نفسه، ج6، ص71.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص355.

الشـــعر الأمـــوي الذي ورد في تاريخ الطبري، قول كعب الأشقريّ في مدح جيوش الأمويّين[1]:

بدشـــتَ بارينَ يومَ الشّعب إذ لُحقت أُسد بسفك دماء الناس قد زأروا

التشبيه التمثيلي:

اعــتمد بعــض الشــعراء علـــى هذا النوع من التشبيه لبث الحياة النابضة فـــي صـــورهم، وخاصـــة الصـــور المســـتمدة من الطبيعة فعندما مات هبيرة قال ســـوادة يرثـــيه مشّـــبهاً إياه بالربيع على مر السنين وبشجاعة اللّيث عندما يتخاذل الأبطال[2]:

كـــان الربيعَ إذا السّنون تتابعت والليـــثَ عـــند تكعكـــع الأبطال

وعـــند عـــبدالله بن همّام السّلولي فإنّ زياد بن أبي سفيان كاللّيث العرين في شجاعته، والحيّة الصمّاء الخبيثة الذي لا يسلم مَنْ تلدغه، قال[3]:

خيّـــب الله سعى أوفى بن حصن حيـــن أضـــحى فـــرّوجه الرّقّاد

قـــادةُ الحيـــنُ والشـــقاءُ إلى ليـــ ـــثٍ عريـــنٍ وحـــيةٍ صـــمّاءِ

التشبيه الضمني:

ومـــثلما اســـتخدم التشعراء التشبيه البليغ والتشبيه التمثيلي لوضع صورهم، كذلـــك اســـتخدموا التشـــبيه الضـــمني علـــى قلّة، كقول جرير في رثاء الوليد بن عبدالملك[4]:

أضـــحى بنُوه وقد جلّت مُصيبَتُهمُ مَثل النّجوم هوى من بينها القمرُ

فالمصيبة التّي حلت بأبناء الوليد بن عبدالملك عندما توفي أبيهم ومدى الحزن والألم الذي ألمّ بهم، وحالتهم هذه كحال النّجوم التي هوى من بينها القمر.

---

(1) تاريخ الطبري، ج6، ص306.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص503.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص236.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص458.

التجسيـــــم:

أشـــاع الشعراء الأُمويّن في صوروهم ضروباً من التجسيم لإيضاح الصورة وإبرازها فقد جعلوا الشيء المعنوي شيئاً حسيّاً، كما في قول العباس الذي جسّم الفتن بالجبال لعظمها وكبرها فقال(1):

إنــي أعــيذكُمُ بــالله مــن فتنٍ   مــثل الجــبال تســامى ثمّ تندفعُ

وجسّــم شــاعر آخر الحزن والألم والحسرة الذي تجلجل في فؤاده في موت الخوارج بالنار الملتهبة(2):

كمِــداً تجلجل في فؤادى حسرةً   كالــنّار مــن وجدٍ على الرّيّان

الاستعـــــارة:

ومــن الصــور التي اهتمّ بها الشعراء الأُمويون تلك الصور التي تعتمد على الاســتعارة أو مــا يُعــرف باسم "التشخيص" فقد شخّص الشعراء كلُّ ما يقع تحت أبصارهم وبثّوا فيه الحياة(3).

فيتمــثل الزمان عند حارثة بن بدر الغُدّاني بصورة إنسان خبيث تظهر عليه الشرور يقول:

وكَنــت حــيّاً وجئتَ على زمان   خبيــث ظاهــرٌ فــيه شــرور

والحربُ عند كعب الأشقريّ تعضُّ كالكائن الحي(4):

ومــا تجــاوز بــاب الجســر من أحد   وعضّت الحربُ أهل المصر فانحجزوا

وتتمــثل الحرب وأبناؤها عند ابنُ عرسٍ بأنّها تلعبُ بالمقاتلين كلعب الصقور بالحمام الوارد للماء(5):

تلعــبْ بــك الحــربُ وأبناؤها   لعْــبَ صُــقورٍ بقطـــاً واردِ

---

(1) تاريخ الطبري، ج7، ص239.

(2) المصدر نفسه، ج6، ص577.

(3) المصدر نفسه، ج5، ص223.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص305.

(5) المصدر نفسه، ج7، ص87.

4.5 الأوزان والقوافـــي:

كانـــت القصـــيدة العربية تُبنى على نغم موسيقي مطرد هو البحر تشترك فيه جميع أبياتها من بدايتها إلى نهايتها لذلك كان للقصيدة العربية القديمة نظاماً ثابتاً في تنظـــيمها الموســـيقي، فلا بدّ وأن تنتهي كل وحدة موسيقية بقافية تشترك فيها جميع الأبيات لتكسبها توازناً آخر في نغمها[1].

وكـــان القدمـــاء من علماء العربية لا يرون في الشعر أمراً جديداً يميزه من النـــثر إلاّ مـــا يشـــتمل علـــيه من الأوزان والقوافي لأن موسيقى الشعر – أوزانه وقوافـــيه– تضـــفي على الشعر سمة واضحة، وتضفي على الكلمات حياة وحيوية، وتثير الرغبة في قراءته وترديده[2].

ويـــرى الدكـــتور شـــوقي ضيف أنّهُ لا بدّ وأن يكون هنالك نظام محكم في التفاعيل وفي الحركات نظام كأنّما تقيسه آلة من آلات الزمن الدقيقة، فكل بيت لحظة مـــن الزمـــن لا تقـــل ولا تكثر عن لحظة البيت الذي يسبقه أو يتلوه حتى لا يحدث اختلال في انفعالات السامع، وإنّه نظام دقيق يعبّر عن انفعال الشاعر[3].

إنّ موســـيقا الشعر العربي في الأوزان وفي القوافي لم تعرف بدايات التجديد إلاّ فـــي أواخـــر العصـــر الأُموي، وخاصة بعد أن استقر العرب في المدن وتأثروا بالتيارات الحضارية التي بدأت تهب عليهم وخاصة حضارتي الفرس والروم[4].

وكان نتيجة لانتشار مجالس الغناء أن تغيّر بناء القصيدة الخارجي والداخلي، ورأى الشعراء أن البحور القصيرة أطوع في الغناء والتلحين، وكان الشاعر حريصاً على أن تكون ألفاظه ومعانيه سهلة خفيفة قريبة إلى النفوس[5].

---

(1) في النقد الأدبي، شوقي ضيف، ص101.

(2) شـــعر الطبيعة في العصر العباسي، رشدي حسن، دار عمّار – عمان، ط1، 1988، ص224.

(3) في النقد الأدبي، شوقي ضيف، ص101 وما بعدها.

(4) موسيقى الشعر، ابراهيم أنيس، ط5، ص106.

(5) حياة الشعر في الكوفة، ص603.

وبالنسبة إلى العلاقة بين الوزن وموضوع القصيدة فيرى الدكتور إبراهيم أنيس "أن استعراض القصائد القديمة وموضوعاتها لا يكاد يشعرنا بمثل هذا التحيز، أو الربط بين موضوع الشعر ووزنه، فهم كانوا يمدحون ويفاخرون ويتغزلون في كلّ بحور الشعر التي شاعت عندهم، ويعود الدكتور ابراهيم أنيس فيربط بين وزن القصيدة وعاطفة الشاعر، فيقول: "إنّنا نستطيع ونحن مطمئنون أن نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع يصبُّ فيه من أشجانه ما ينفس عن حزنه وجزعه، فإذا قال الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة النفس وازدياد النبضات القلبية"(1).

ومن خلال دراسة أوزان الشعر الأُموي التي وردت في تاريخ الطبري فقد كان لبحر الطويل النصيب الأوفر من بين البحور الأُخرى التي استخدمها الشعراء، فقد نظم منه أكثر من ثلث الشعر في تاريخ الطبري، وقد كان استخدام الشعراء لهذا البحر أكثر ما يكون في موضوعات المدح والمفاخرة والمهاجاة نظراً لكثرة مقاطعه، فقد كان الوزن الذي يؤثرونه القدماء على غيره ويتخذونه ميزاناً لأشعارهم.

ونظراً لأنّ المدح احتلّ المرتبة الأُولى من بين موضوعات الشعر الأخرى في تاريخ الطبري، فكان من الطبيعي أن يكون البحر الطويل من بين الأوزان التي احتلّت الصدارة من بين الأوزان الأخرى، فالمدح ليس من الموضوعات التي تنفعل لها النفوس وتضطرب لها القلوب، فأجدر به أن يكون في قصائد طويلة وبحور كثيرة المقاطع كالطويل والبسيط والكامل.

ثمّ نرى أن البسيط يحتل المرتبة الثانية، وقد استخدمه الشعراء لنظم موضوعات متعددة كالمديح والفخر والهجاء ثمّ جاء الكامل في المرتبة الثالثة من بين البحور التي استخدمها الشعراء الأمويين، وجاء من بعدهما كلّ من الوافر والخفيف والمتقارب، وعلى هذا تكون النسب كالآتي:

الطويل 35%	البسيط 20%	الكامل 18%
الوافر 13%	الخفيف 10%	والمتقارب 4%.

(1) موسيقى الشعر، ص177-178.

القافيـــــة:

القافــية ركن من أركان القصيدة في بنائها وموسيقاها فيرى الدكتور ابراهيم أنــيس أنّها عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكرار هذه الأصوات يُعدُّ جزءاً مهماً من الموسيقى الشعرية[1].

ويركــز كثــير من النقاد على أهمية القافية في الشعر وكذلك يركزون على أهميتها الموسيقية، فهي ليست إلاّ "عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات مــن القصــيدة، وتكــررها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية فهي بمثابة الفواصــل الموســيقية يــتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة"[2].

والروي هو صوت تنسب إليه القصائد أحياناً، فيقال رائية الفرزدق، وهمزية جرير مثلاً. وهذا الصوت تُبنى عليه الأبيات، ويسميه أهل العروض بالروي[3].

إن معظــم حــروف الهجاء ممّا يمكن أن يقع رويا، ولكنها تختلف في نسبة شــيوعها، فوقــوع الراء روياً كثير شائع في الشعر العربي القديم، ولا تعزى كثرة الشــيوع أو قلتها إلى ثقل في الأصوات أو خفة بقدر ما تعزى إلى نسبة ورودها في أواخر كلمات اللغة[4].

ومــن خــلال دراسة الشعر الأُموي في تاريخ الطبري قلمّا نجد أن الشعراء ركزوا على حرف روى بعينه فقد تنوّع استخدام الشعراء لحروف الروي بين الدال والراء والعين والميم واللام، والباء. والنون وغيرها من الحروف.

---

(1) موسيقى الشعر، ابراهيم إنيس، ص246.

(2) المرجع نفسه، ص246.

(3) المرجع نفسه، ص247.

(4) المرجع نفسه، ص247 وما بعدها.

الخاتمة:

توقفـــت الدراســـة عند الشعر الأُموي في تاريخ الطبري، ففي الفصل الأول تناولت الدراسة شخصية الطبري وطبيعة الظروف التي نشأ فيها الطبري وترعرعَ، فهـــي شخصـــية موســـوعية متنوعة المعارف وبيّنتُ العوامل التي كونت شخصيته الثقافـــية والعلميّة فمن أهمها: أنّه أدرك العلم وهو صبيٌّ صغيرٌ بالإضافة إلى كثرة الشـــيوخ الذيـــن تـــتلمذ على أيديهم وتشجيع والده له، فقد جال في مختلف الأمصار والبلدان طالباً للعلم.

وعرض لنا الفصل الثاني الظروف السياسية التي ساهمت في إضعاف سلطة الأُمويّيـــن، والتـــي أدت إلى كثرة الفتن والثورات الداخلية وتعدد الأحزاب السياسية التـــي تنافســـت علـــى الحكـــم، وذكرتُ بعضاً من المظاهر التي انتشرت في ذلك العصـــر، مـــن جـــرّاء الظروف السياسية المترديّة التي تتجلى أول مظاهرها في الصـــراع بيـــن العرب والفرس وغيرهم من الموالي الذين أظهروا عداءهم للعرب وتعصبوا لبني جنسهم.

وتناولـــت الدراســـة في الفصل الثالث بعض الجوانب الاجتماعية التي كانت ســـائدة فـــي ذلـــك العصر، فقد تحدثت الدراسة عن الطبقات التي كان يتكون منها المجـــتمع الأُمـــوي بالإضافة إلى انتشار فنيّ الغناء والموسيقى بشكل كبير في ذلك العصر.

كما تناولت الدراسة في الفصل الرابع دراسة موضوعيّة لأهم أغراض الشعر الأُمـــوي فـــي تـــاريخ الطبري، وهي كما جاءت في الكتاب: المدح والرثاء والفخر والهجـــاء. وقد احتلّ الرثاء المرتبة الأولى من بين الأغراض الشعريّة وجاء المدح في المرتبة الثانية ثم الفخر والهجاء.

وفـــي الفصل الخامس بيّنتُ أهم الأحداث السياسية التي واكبها الشعر الأُموي فـــي تاريخ الطبري، ومن هذه الأحداث السياسية: (انتقال السلطة للأُمويين، الصراع بيـــن الأُمويين والشيعة، الصراع بين الأُمويين والخوارج، والفتن والثورات الداخلية والحروب الخارجية).

أمـــا الفصل السادس فقد تناول الجوانب الفنيّة في هذه الأشعار ومنها: انتشار المعاني الدينية في الشعر الأُموي، الاقتباس من القرآن الكريم، تطور اللغة الشعريّة وتأثـــر الشعراء الأُمويّين في مقدمات قصائدهم بالشعراء القدماء كما شملت الدراسة الفنيّة دراسة في الخيال والصورة.

المراجع

إسماعيل، عز الدين، (1975)، **في الأدب العباسي**، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت.

إسماعيل، عز الدين، (1994)، **في الشعر العباسي (الرؤيه والفن)**، المكتبة الأكاديمية.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (1994)، **الأغاني**، تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1.

أمين، أحمد، (1972)، **ضحى الإسلام**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8.

أنيس، إبراهيم، (د. ت)، **موسيقى الشعر**، ط5.

بابتي، عزيزة فوال، (1984)، **العصر الأُموي أدبه وحضارته**، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر، ط1.

البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، (د. ت)، **تاريخ بغداد**، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان.

البغدادي، إسماعيل باشا، (1992)، **كشف الظنون**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

البكري ، أبو عبيد، (1983)، **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، تحقيق إحسان عباس وآخرين، مؤسسة الرسالة، دار الأمانة، بيروت – لبنان، ط3.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، (د. ت)، **كتاب التاج في أخلاق الملوك**، تحقيق عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت –لبنان.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن علي بن محمد، (1992)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم**، تحقيق محمد عبدالقادر وآخرين، دار الكتب العلميّة بيروت – لبنان، ط1.

حسن، إبراهيم حسن، (د. ت)، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

حسن، رشدي، (1988)، **شعر الطبيعة في العصر العباسي**، دار عمّار، عمان، ط1.

حسن، علي إبراهيم، (د. ت)، **التاريخ الإسلامي العام (الجاهلية – الدولة العربية – الدولة العباسية)**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

حسين، قصي، (1998)، **العصر الأُموي**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1.

الحموي، ياقوت، (د. ت)، **معجم الأدباء**، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

الحوفي، أحمد محمد، (د. ت)، **أدب السياسة في العصر الأُموي**، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط5.

خليف، يوسف، (1968)، **حياة الشعر في الكوفة (إلى نهاية القرن الثاني للهجرة)**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

ابن خلِّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (د. ت)، **وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد، (د. ت)، **تذكرة الحفاظ**، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان.

زراقط، عبدالمجيد، (1983)، **الشعر الأُموي بين الفن والسلطان**، دار الباحث، بيروت – لبنان، ط1.

سالم، السيد عبدالعزيز، (2001)، **التاريخ السياسي والحضاري للدولة الأُموية**، مؤسسة شباب الجامعة.

سالم، السيد عبدالعزيز، (د. ت)، **تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأُمويّة)**، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان.

السُّبكي، تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب علي بن عبدالكافي، (د. ت)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود محمد الطناحي وآخرين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

الشاعر، محمد فتحي، (1991)، **الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، دار المعارف.

الشايب، أحمد، (د. ت)، **أصول النقد الأدبي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8.

الصـــفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (1974)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق محمد بن إبراهيم ابن عمر، ومحمد بن الحسين بن محمد، ط2.

ضيف، شوقي، (د. ت)، **التطور والتجديد في الشعر الأُموي**، دار المعارف بمصر.

ضيف شوقي، (د. ت)، **العصر الإسلامي**، دار المعارف بمصر، ط7.

ضيف، شوقي، (1965)، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، دار المعارف، القاهرة.

ضيف، شوقي، (د. ت)، **في النقد الأدبي**، دار المعارف، القاهرة، ط7.

الظواهري، كاظم، (1987)، **المكتّمات**، ط1.

الطــبري، أبــو جعفر محمد بن جرير، (د. ت)، **تاريخ الطبري**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت – لبنان.

الطبري، أبو جعفر بن جرير، (1994)، **تفسير الطبري**، تحقيق بشار عواد معروف وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط1.

العزاوي، عبدالرحمن حسن، (1988)، **الطبري**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1.

العســقلاني، شــهاب الديــن أبــي الفضل أحمد بن علي بن حجر، (1971)، **لسان الميزان**، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط2.

العســكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، (1988)، **جمهرة الأمثال**، تحقيق أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

عطــوان، حســين، (1989)، **الشــعر فــي خراسان (من الفتح إلى نهاية العصر الأُموي)**، دار الجيل، بيروت، ط2.

عطوان، حسين، (د. ت)، **مقدمة القصيدة العربية في العصر الأُموي**، دار المعارف بمصر.

علــي، محمــد عثمان، (1986)، **في أدب الإسلام**، دار الأوزاعي، بيروت – لبنان، ط2.

الفحام، شاكر، (1977)، **الفرزدق**، دار الفكر، دمشق.

فــرّوخ، عمر، (1986)، **تاريخ صدر الإسلام والدولة الأُمويّة**، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط2.

المقابلــة، زايد خالد مصطفى محمود، (1992)، **الشعر العباسي في تاريخ الطبري فــي القرنييــن الثانــي والثالث للهجرة دراسة موضوعيّة وفنيّة**، رسالة دكتوراه، إشراف أ. د. مصطفى الشكعة.

الميداني، (1986)، **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد علي قاسم، مكتبة المعارف، بيروت – لبنان.

ابن النديم، (1997)، **الفهرست**، دار الفتوى، بيروت، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ط2.

الــنص، إحسان، (1973)، **العصبية القبلية وأثرها في السعر الأُموي**، دار الفكر، ط2.

الــنّووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف، (د. ت)، **تهذيــب الأسماء واللغات**، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

نويهض، عادل، (1984)، **معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية، ط1.

الهــادي، صــلاح الديــن، (1986)، **اتجاهــات الشعر في العصر الأُموي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1.

هلال، محمد غنيمي، (1987)، **النقد الأدبي الحديث**، دار العودة، بيروت.